ردمد: ٤٥٨٦-٢٥٢١

الخزانة

مجلة علمية نصف سنوية تعنى بالتراث المخطوط والوثائق

تصدر عن مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

العدد الثالث، السنة الثانية، شعبان ١٤٣٩هـ/ آيار ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

الخزانة

مجلة علمية نصف سنوية تعنى بالتراث المخطوط والوثائق

تصدر عن

مركز إحياء التراث التابع
لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

العدد الثالث، السنة الثانية
شعبان ١٤٣٩هـ/ آيار ٢٠١٨م

مركز إحياء التراث
التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

مكتبة ودار المخطوطات العتبة العباسية المقدّسة. مركز إحياء التراث.
الخِزانة : مجلة علمية نصف سنوية تُعنى بالتراث المخطوط والوثائق / تصدر عن مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة.ــ كربلاء، العراق: مكتبة ودار المخطوطات العتبة العباسية المقدّسة، مركز إحياء التراث، 1439 هـ. = 2017-
مجلد : إيضاحيات ؛ 24 سم
نصف سنوية.-السنة الثانية ، العدد الثالث (آيار 2018)-
ردمد : 2521-4586
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
النص باللغات العربية ومستخلصات باللغة الإنجليزية.
1. المخطوطات العربية--دوريات. 2. المخطوطات التركية--العراق--دوريات. 3. العلماء المسلمون (شيعة)--المؤلفات--دوريات. الف. العنوان.
Z115.1 .M335 2018 NO. 3
مركز الفهرسة ونظم المعلومات

الترقيم الدولي
ردمد: ٢٥٢١-٤٥٨٦

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢٢٤٥ لسنة ٢٠١٧م
كربلاء المقدّسة – جمهورية العراق

يمكن الاتصال أو التواصل مع المجلة من خلال:

٠٠٩٦٤ ٧٦٠٢٢٠٧٠١٣ / ٠٠٩٦٤ ٧٨١٣٠٠٤٣٦٣

الموقع الإلكتروني: Kh.hrc.iq

الإيميل: Kh@hrc.iq

صندوق بريد: كربلاء المقدّسة (٢٣٣)

الباب الأول
دراسات تراثية

شِعرُ أحمد بن عَلَوِيّة الكاتب
(ت بينَ ٣٢٠ - ٣٢٢هـ / ٩٣٢ - ٩٣٣م)

Poetry of
Ahmed Ibn Al-elwiyah Al-Katib
Died in (320 - 322 AH / 932 - 933 AD)

جمع وتحقيق ودراسة

الأستاذ الدكتور عبد المجيد الإسداويّ

كلية الآداب / جامعة المنيا

مصر

Prof . Abdul Majeed Al-Isdawi

College of Arts / University of Minia

Egypt

الملخّص

ابن عَلَويَّة الكاتب هو أحد شعراء الشيعة في العصر العباسيّ؛ الذين لم يُسلّط المداد عليه كثيراً في مظانّ القدماء، على الرغم من جودة قريضه الشعري وكثرته؛ إذ وُلِدَ في نهاية العقد الأول من القرن الثالث الهجريّ، وتُوفّي في أوائل العَقد الثالث من القرن الرابع الهجريّ.

وأشار بعضُ ما وصل إلينا من شعره إلى مدى ارتباطه الوثيق بمذهب التشيّع للإمام عليٍّ عليه السلام وذريته من بعده، آخذاً على عاتقه مَهمّة إظهار مناقبه، والذود عن حماهُ، والإشادة ببطولاته.

تُعنى هذه المحاولةُ بجمع ما وصل إلينا من شعره، وشرحه، والتعريف به، وبيان علاقاته ببعض أعلام عصره، والإطلالةِ المُوجزةِ على أهمّ الخصائص الموضوعية والتشكيلية لشعره، مُستعينًا بما تيسّر لي من مصادر ومراجع.

ولا يفوتُني في هذا المقام أنْ أكرّر الإشارة إلى قيامي باستقراء بعض ما تيسّر لي من المظان، تعليقًا على بعض النصوص الشعرية التي أفردها الشاعرُ كغيره من مُعاصريه وسابقيهم ولاحقيهم من شعراء الشيعة، مدحًا أو رثاءً للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وآله، صادرًا في ذلك ونحوه عن بعض الآيات القرآنية التي تستند إليها الشيعة، والأحاديث النبوية، والمأثورات، والمرويات المبثوثة في كتب التفسير، وأسباب النزول، والتراجم، والسِّيَر، والحديث، وما يتصل به.

Abstract

Ibn Al-elwiyah is a Shiite poet during the Abbasid period whom he wasn't shed the light on in the old references, despite the quality and abundance of his poetry. He was born at the end of the first decade of the third century AH, and he died in the early third decade of the fourth century AH.

Some of his poetry indicates to the extent of his close loyalty with the doctrine of Shiism of Imam Ali (p.b.u.h) and his progeny. Taking upon himself the task of showing Imam Ali's talents , defending him, and praising his heroism. This attempt is meant to collect, explain, and define his poetry. It shows his relations with some of his contemporary scholars. It has a brief overview of the most important objective and formative characteristics of his poetry, using some resources and references.

I'd like to point out that I did some induction to available references I have. Commenting on some of the poetic texts that the poet wrote, like others of his contemporaries of the Shiite poets, praising or lamenting for Imam Ali bin Abi Talib (p.b.u.h). Issuing interpretations of Qur'anic verses of scholars , Hadiths, legacies, narrations , Causes of descent of the Qur'an, biographies and so on.

المقدّمة

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصَّلاةُ والسّلام على المبعوث رحمةً للعالمين، سيّدنا محمّد النبيّ الأُميّ المصطفَى الكريم، وعلى آله إلى يوم الدين...

وبعدُ، فُيسعدني أنْ أقدِّمَ في هذه المحاولة المتواضعة الأُولى حبّةً من حبّات عِقد (ديوان الأدب العربي)، ممّا أخذتُ على عاتقي قبل عقود النهوض به، ما وسعني الجهدُ.

وتُعنى هذه المحاولةُ بجمع ما وصل إلينا من شعر (أحمد بن عَلَويَّة الكاتب)، وشرحه، والتعريف به، وبيان علاقاته ببعض أعلام عصره، والإطلالةِ المُوجزةِ على أهمّ الخصائص الموضوعية والتشكيلية لشعره مُستعينًا بما تيسّر لي من مصادر ومراجع، آملًا أنْ تُتاح لي فُرصةُ النهوض بها، وإتمام بعض نواقصها في وقتٍ لاحق، إن شاء الله تعالى.

ولا يفوتُني في هذا المقام أنْ أكرّر الإشارة إلى قيامي باستقراء بعض ما تيسّر لي من المظان، تعليقًا على بعض النصوص الشعرية التي أفردها الشاعرُ كغيره من مُعاصريه وسابقيهم ولاحقيهم من شعراء الشيعة، مدحًا أو رثاءً للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وآله، صادرًا في ذلك ونحوه عن بعض الآيات القرآنية التي تستند إليها الشيعة، والأحاديث النبوية، والمأثورات، والمرويّات المبثوثة في كتب التفسير، وأسباب النزول، والتراجم، والسير، والحديث، وما يتّصل به، ونقْلي ما رأيتُه (إطارًا) ثقافيًا وفكريًا، يواكب بعض الجُمَل، والتعبيرات، والنصوص، دون أن يمثّل ذلك ونحوه قناعةً فكريةً، أو مذهبيةً خاصّة بي.

وأشكرُ المحقّقَ الثَّبْتَ والحُجَّةَ، والأديب المُبْدِع، والصديق الطيّب الصالح الرشيد أبا ليال شاكراً العاشور (أعزّه الله) وبارك فيه وفي سعيه المحمود، وجزاه عنّي كلّ خير.

كما لا يفوتُني التقدّم بأسنى آيات شُكري وتقديري وعرفاني لكلِّ مَن ساعدني على إنجاز هذه المحاولة، داعيًا المولى (تبارك وتعالى) أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم، ويجزيهم عنّي كلّ خيرٍ وتوفيق وفلاح.

والله من وراء القصد، وهو الموفّق والمستعانُ... والحمدُ لله ربّ العالمين.

الدراسة

أ- ترجمتُه:

هو[١] أبو جعفرٍ[٢]، أبو الأسـود[٣] أحمد بن عَلَوِيَّة (بفتح العين المهملة، وفتح

(١) يُنظر بالتفصيل: الفهرست: أبو الفرج محمّد بن إسحق ابن النديم: ٣١١/١، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أبو منصور الثعالبيّ: ٣٤٩/٣ الرجال: أبو العباس أحمد بن علي النجاشيّ: ٨٨، معالم العلماء وأسماء المصنّفين منهم قديمًا وحديثًا: أبو جعفر محمّد بن علي بن شهرآشوب، ٧٩، مناقب آل أبي طالب: ابن شهرآشوب، صفحات كثيرة،روح الروح: مؤلّف مجهول من القرن الخامس الهجريّ: ٤٧٩، معجم الأدباء: ياقوت الحمويّ: ٧٢/٤-٧٧، إيضاح الاشتباه: الحسن بن يوسف بن المطهّر الحلّيّ: ١٠٥،رجال ابن داود: تقي الدين الحسن بن داود الحلّيّ: ٤٠-٤١، الوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفديّ: ٢٥٣/٧ -٢٥٤، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة: جلال الدين السيوطيّ: ٣٣٧-٣٦٦/١، عوائد الأيام: أحمد بن محمّد بن مهدي النراقيّ: ٨٤٤، الشيعة وفنون الإسلام: السيّد حسن الصدر: ١١٩، الكنى والألقاب: عباس القمّيّ: ٢١٢/١ – ٢١٣، الطليعة من شعراء الشيعة: محمّد بن طاهر السماويّ: ١٠٥/١-١٠٩، أعيان الشيعة: السيّد محسن الأمين العامليّ: ٦٧/٩-٨٣، جانب أحكام أمير المؤمنين: السيّد محسن الأمين العامليّ: ٥٦، الغدير في الكتاب والسُنة والأدب: عبد الحسين الأميني: ٣٤٧/٣-٣٥٩، قاموس الرجال: آية الله التستريّ: ٥٨٩/١١. مستدركات علم رجال الحديث: عليّ النمازيّ الشاهروديّ: ٣٦٦، معجم المؤلّفين: عمر رضا كحّالة: ١٩٥/١، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: السيّد أبو القاسم الخوئيّ: ١٦١/٢، تاريخ التراث العربيّ: د. محمّد فؤاد سزكين: ٢٤٤/٤/٢، كشّاف معجم المؤلّفين: فراج عطا سالم (١٤٤٩): ١١٩/١، عليٌّ في الكتاب والسنة والأدب: حسين الشاكريّ: ٧٦/٤-٧٧، موسوعة الإمام عليّ في الكتاب والسنة والتاريخ: محمّد الريشهريّ: ٢٧/٩-٣٠، الشعراء الكُتاب في العراق في القرن الثالث الهجريّ: حسين العلّاق: ٤٨٦، المؤدبون الشعراء في العصرين الأُمويّ والعباسيّ: عبد المجيد الإسداويّ: ٤٣-٤٦.

(٢) معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: ١٦١/٢، والغدير في الكتاب والسنة والأدب: ٣٤٨/٣، وعليٌّ في الكتاب والسنة والأدب: ٧٦/٤.

(٣) معالم العلماء: ٥٩، ورجال ابن داود الحلّيّ: ٤٠، وقاموس الرجال: ٥٨٩/١١، وأعيان الشيعة: ٦٧/٩، والغدير: ٣٤٨/٣، والطليعة: ١٠٥/١، وفي القاموس، والمناقب: ١٦١/٢ ومعالم العلماء، والرجال، يعرف ب(ابن الأسود الكاتب)
وفي المناقب نفسه، ١٥٥/٣: ويعرف أيضاً(الأسود).

اللَّام، وكسر الواو، وتشديد الياء)[١] الأصفهانيُّ[٢]، الكرمانيُّ[٣]، الرحَّالُ (بالحاء المهملة، والتضعيف)[٤]؛ الكاتب[٥].

وُلدَ في نهاية العقد الأول من القرن الثالث الهجريّ / التاسع الميلاديّ لأبوين سكتت المصادرُ والمراجعُ- التي كشفت النقابَ عن بعض معالم سيرتهما الشخصية والأدبية- عن كلّ ما يساعدنا على معرفة أصولهما العرقية، وبعض جوانب حياتهما الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، والثقافية، وما يتّصل بها.

والظاهر من انتساب ابنهما الشاعر أحمد إلى كلّ من (كِرْمانَ)، و(أصفهانَ) -وهما مدينتان فارسيّتان كبيرتان، انتشر التشيّعُ لأهل البيتِ النبويّ الشريفعليهم السلام بين أبنائهما-

(١) إيضاح الاشتباه: ١٠٥، وأعيان الشيعة: ٦٧/٩، وعوائد الأيام: ٨٤٤، وروح الروح: ٤٧٩.
وفي (الروح): بفتح العين، وتشديد اللام المضمومة.

(٢) رجال النجاشيّ: ٨٨، ويتيمة الدهر: ٣٤٩/٣، ورجال الطوسيّ: ٤٤٧، والفهرست: ٣١١/١، ومعجم الأدباء: ٧٢/٤، ومعالم العلماء: ٨٩، ومناقب آل أبي طالب: ٤١/٢، ٨٦، ١٤٨، ٣٢٠، ٣٣٧، ٣٥٨، ٤٠٤، و١٤/٣، ٣٩٤، و ٤٠/٤، ورجال ابن داود: ٤٠، والوافي بالوفيات: ٢٥٣/٧، والبغية: ٣٣٦/١، وغيرها...
وهذه النسبة إلى (أصفهان)، وهي مدينة فارسية عريقة كانت تسمى في الماضي (أسبادنا)، وتقع على بعد قرابة (٤٠٠) كم جنوب (طهران)، على نهر (زندرد) الذي يصل ضفتيه معبرٌ طويل طوله (٣٤) قوسًا، وأصفهان في وادٍ خصيب، دخلها الإسلام بُعَيد وقعة (نهاوند) سنة (٢١ هـ/ ٦٤١ م)، واتخذها (السلاجقة) و(الصفويّون) عاصمةً لدولتهم، وقاموا بتعميرها، وجعلوها مركزًا تجاريًا، وثقافيًا كبيرًا .(المعجم الكبير، حرف الهمزة: ٣٢٤ – ٣٢٥، وموسوعة (١٠٠٠) مدينة إسلامية: ٥٤-٥٥).

(٣) معجم الأدباء: ٧٢/٤، وإيضاح الاشتباه ١٠٥، والكنى والألقاب: ٢١٢/١، وأعيان الشيعة: ٦٧/٩، والغدير: ٣٤٨/٣، ومعجم المؤلّفين: ١٩٥/١ وتاريخ التراث العربي: ٢٤٤/٤/٢، والمؤدبون: ٤٣.
وفي الوافي بالوفيات: ٢٥٣/٧، والبغية: ٣٣٦/١، والشيعة وفنون الإسلام: ١١٩، وحاشية (روح الروح): ٤٧٩ (الكرانيّ) وهو تصحيف.
وفي (الطليعة): ١٠٥/١ (البصريّ) .
وإن صحّت هذه النسبةُ دلّ ذلك على انتقاله إلى البصرة، وإقامته فيها بسبب أو بآخر بعض الوقت، ويقوّي هذا الاحتمال ما رُوي من خبر(ميميته) في حضرة أبي حاتم السجستانيّ البصريّ.

(٤) رجال ابن داود: ٤٠.
وفيه: " سُمّي بذلك؛ لأنّه رحل خمسين رحلةً، من حجّ وغيره.."

(٥) الفهرست: ٣١١/١، وتاريخ التراث العربي: ٢٤٤/٤/٢، والشيعة وفنون الإسلام: ١١٩.

أنّ هذين الأبوين كانا ينتميان إلى مدينة (كِرْمانَ) ذات الشهرة التجارية المزدهرة، إضافةً إلى كونهما شيعيّين، يحملان في صدريهما جذوة الإجلال والولاية والتقدير للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وذرّيته، فضلاً عن تمتّعهما بحياةٍ اقتصادية ميسورة نسبيًا؛ ممّا أعانهما على إلحاقه بمراكز التعلُّم والتأدُّب الموجودة في مُحيطهما طفلًا وصبيًّا، ودفْعِهِ إلى الانتقال صوبَ مدينة (أصفهان)،وهي المدينة الأكثر شهرةً، والأوسع نطاقًا من (كِرمان)، وخاصةً في المجالات الثقافية، وما يرتبط بها من أنشطة.

وفي (أصفهان) ظهرتْ مواهبُ أحمد بن عَلَوِيَّة، ونمت قدراتُه فصار « صاحب لغةٍ، يتعاطى (التأديب)، وكان من أصحاب أبي عليٍّ الحسن بن محمّد الأصفهانيّ المعروف بلُكْزة، أو لكذة، أو لُغْدة (ت ٣١١هـ)[١]، وروى عن إبراهيم بن محمّد بن سعيد بن هلال الثقفيّ (ت ٢٨٣هـ) كتبه كلَّها»[٢].

ثم رفض صناعةَ التأديب، وصار في نُدماء كلٍّ من دُلف بن أبي دُلف عبد العزيز (ت ٢٦٥هـ)، وأحمد بن عبد العزيز (ت٢٨٠ هـ) العجليّين[٣].

والظاهر أَنَّ انصرافه عن مزاولة هذه المهنة (التأديب) كان في العقود الأخيرة من سنيّ حياته عندما أصبح شيخًا، وخاصّةً بعد وفاة هذين العَلَمَيْن العَرَبِيَّين، مدفوعًا برغبته القوية في العكوف كثيرًا على التأليف والتصنيف في (الأدعية)، وما يتصل بها، إضافةً إلى (الرسائل) ونحوها من الفُنون التي دفعت بعض المؤرّخين إلى وصفه بـ(الكاتب)، وحفّزتْ كثيرين من طلّاب العلم والأدب في عصره إلى لزوم حلقات علمه وأدبه، وفي

(١) معجم الأدباء: ٤/٧٢-٧٣، والبغية: ١/٣٣٦، والوافي بالوفيات: ٧/٢٥٣، والشعراء الكتّاب في العراق في القرن الثالث الهجريّ: ٤٨٦، والمؤدبون: ٤٣.

(٢) رجال الطوسيّ، ٤٤٨، ورجال ابن داود، ٤١، ومعجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ٢/١٦١.
ومن كتب (إبراهيم بن محمّد الثقفيّ) التي أشار إليها مترجموه: المغازيّ، والردّة، والشورى، ورسائل عليّ بن أبي طالب، وأخباره وحروبه، والجامع الكبير في فقه الإمامية، والإمامة، ومَنْ قُتل من آل محمّدٍ (ص)، والسيرة، والأشربة، والخُطب، وفضل الكوفة ومَن نزلها من الصحابة ... (الأعلام: خير الدين الزركليّ: ١/٦٠).

(٣) معجم الأدباء، ٤/٧٢-٧٣.

مقدّمتهم: الحسين بن محمّد بن عامر(حيًّا بعد ٣٠٠هـ)، ومحمّد بن أحمد الرحّال؛ اللذان رويا له كتاب (دعاء الاعتقاد)[١]، أو (الاعتقاد في الأدعية)[٢]، وقد نقله عنه الشيخ إبراهيم الكفعميّ (٩٠٥هـ)، وجعله في آخر كتابه (البلد الأمين)[٣]، وأحمد بن يعقوب الأصبهانيّ الذي روى عنه كتابه في (باب الدعاء بين الركعات)[٤]، وأبو الحسين أحمد بن سعد الكاتب الأصفهانيّ (ت نحو ٣٥٠هـ) الذي دوَّن (رسائله المختارة) في كتابه المصنّف في الرسائل[٥]...، وربّما كانت رسالته (في الشيب والخضاب)[٦] إحدى هذه الرسائل المختارة التي تضمّنها هذا المصنَّفُ أو غيره.

وإضافةً إلى هؤلاء يزوّدنا بعضُ المؤرّخين بأسماء آخرين ممّن رووا عنه؛ ومنهم: محمّد بن الحسين بن محمّد بن عامر(حيًّا بعد ٣٠٠هـ)[٧]، ومحمّد بن الحسين بن الوليد[٨]، وسعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعريّ (ت نحو ٣٠٠ هـ)[٩]، وعبد الله بن الحسين المؤدّب، والحسين بن محمّد بن عمران الأشعريّ القمّيّ[١٠]، وأبو جعفر محمّد ابن الحسن بن الوليد القمّيّ (ت ٣٤٣هـ)[١١]، وغيرهم.

---

(١) رجال الطوسيّ: ٤٤٨، ورجال ابن داود: ٤١، وأعيان الشيعة: ٩٧/٩، ٨٢، ومستدركات علم رجال الحديث: ٣٦٦.

(٢) الغدير: ٣٥٠/٣.

(٣) أعيان الشيعة: ٦٨/٩، والغدير: ٣٥٠/٣.

(٤) الغدير: الصفحة السابقة نفسها.

(٥) معجم الأدباء: ٧٣/٤، والوافي بالوفيات: ٣٥/٧.
وينظر في هذا المجموع وغيره، من مؤلّفات أحمد بن سعد الكاتب: بغية الوعاة: ٣٠٨/١، وكشف الظنون: ١٢٨٠، ١٤١٣، ١٤٦٤، ١٤١٧، وأعيان الشيعة: ١٨٤/١، وغيرها.

(٦) معجم الأدباء: ٧٣/٤، والشيعة وفنون الإسلام: ١١٩، والشعراء الكتّاب في العراق في القرن الثالث الهجريّ: ٤٨٦، وغيره.

(٧) رجال ابن داود الحلّيّ: ٤١، ومعجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: ١٦١/٢.

(٨) معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: ١٦١/٢، ومستدركات علم رجال الحديث: ٣٦٦.

(٩) الغدير: ٣٤٩/٣، وعليٌّ في الكتاب والسنة والأدب: ٧٦/٤.

(١٠) الغدير: ٣٤٩/٣ .

(١١) أعيان الشيعة: ٦٧/٩، وعليٌّ في الكتاب والسنة والأدب: ٧٦/٤.

ب-وفاته:

عمّر أحمد بن عَلَوِيَّة طويلًا، وتشير الرواياتُ إلى أنه قد تجاوز في سنة (٣١٢هـ) المئة من عُمره، ثم عاش بعد ذلك نحو عشر سنين، حتَّى لحق ببارئه الأعلى في أوائل العقد الثالث من القرن الرابع الهجريّ/ العاشر الميلاديّ[١]، مُخلّفًا من قريضه الشعري ما يُصَوِّرُ بعضَ أحواله، وهو ابن ثمانية وتسعين عامًا[٢]، ثمّ وهو ابن مئة سنة[٣].

جـ-علاقاته بأعلام عصره:

أشار بعضُ ما وصل إلينا من شعره إلى مدى ارتباطه الوثيق مُؤدّبًا، ونديمًا، ومادحًا بدلف بن أبي دلف عبد العزيز العجليّ (ت ٢٦٥هـ)، وابنه أحمد (ت ٢٨٠ هـ)؛ فقد أنشد ثلاثة نصوصٍ في مدحه[٤]، منتقلاً إلى هجو الموفَّق بالله بن جعفر المتوكل (ت ٢٧٨هـ)؛ تعضيدًا لهذا المدح[٥].

د-مذهبه الدينيُّ والسياسيّ:

تَدلُّ فحوى ما وصل إلينا من أبيات (نونيّته) المطوّلة الشهيرة المعروفة بـ(الألفية)، أو (المحبّرة)[٦]، إضافةً إلى ما تبقّى من بيتي بائيةٍ[٧] على مدى تشبّعه بمذهب التشيّع للإمام عليٍّ عليه السلام وذرّيّته من بعده، آخذًا على عاتقه مَهمّة إظهار مناقبه، والذود عن

---

(١) ذهب الطوسيّ في (رجاله): ٤٤٨، والسماويّ في الطليعة: ١٠٩/١، إلى أنّه توفّي سنة (٣٢٠هـ). وفي الكنى والألقاب: ٢١٢/١، والشيعة وفنون الإسلام: ١١٩، ومستدركات علم رجال الحديث): ٣٦٦، و(الغدير): ٣٤٧/٣: أنّه تُوفّي بعد نيّف وعشرين وثلاثمائة، وفي عليّ في الكتاب والسنة والأدب: ٧٦/٤: أنّه توفّي سنة (٣٢٢هـ/ ٩٣٣م)، وفي موسوعة الإمام عليّ في الكتاب والسنة والتاريخ: ٢٧/٩: (أنّه من أئمة المحدّثين والأدباء في القرن الرابع الهجريّ).
وفي هذا الأخير تجوُّز واضح.

(٢) مجموع شعره، النصّ السابع.

(٣) مجموع شعره، النصّ الرابع .

(٤) مجموع شعره، النصوص: (٣، ٦، ٩) .

(٥) مجموع شعره، النصّ الخامس.

(٦) مجموع شعره، النصّ الثاني عشر.

(٧) مجموع شعره، النصّ الأول.

حماهُ، والإشادة ببطولاته.

هـ- شعره:

قال ياقوتُ الحمويُّ (ت ٦٢٦هـ)، في حديثه عن أحمد بن علويّة: «له شعر جيّدٌ كثيرٌ»[١].

وربّما كانت كثرةُ هذا الشعر وجَودتُه من دوافع ذكر عبد الملك بن محمّد الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) إيّاه، ضمن (محاسن أشعار أهل العصر من أصبهان)[٢].

وفي الوقت نفسه يعدّه محمّد بن إسحاق ابن النديم(ت ٣٨٥ هـ) في عداد (الشعراء الكُتّاب)، مُشيرًا إلى أنَّ (ديوانه الشعريّ) كانَ مكوَّنًا من (٥٠) ورقةً[٣]، ولعلّه يقصد (الورقة السليمانية) ذات العشرين سطرًا[٤]، ممّا يسمح لنا بالذهاب إلى أنّ مجموع شعره ربّما جاوز ألف بيتٍ على أقلّ تقدير.

وقد ضاع معظمُ هذا (الديوان) فيما ضاع من تراثه الأدبيّ والعلميّ، ولم يتبقَّ منه إلَّا القليلُ جدًّا الذي يشهد على مدى شاعريته، وتنوّع اتجاهاتها.

وإضافةً إلى هذا (الجزء) المتبقّي من شعره هناك أبياتٌ من تلك النونية المطوّلة الملقبة بـ(الألفية)[٥] و(المحبَّرة)[٦] في مدح الإمام عليٍّ عليه السلام، وهي المطوّلة المكوّنة من ثمانمائة ونيّف وثلاثين بيتًا، وقيل: إنّها كانت في ألف بيتٍ؛ ولذلك لُقّبتْ بـ(الألفية).

وقد شاعت هذه (النونيةُ) في عصر الشاعر، وذاع صيتُها في أوساط مجتمعه الأدبية

(١) معجم الأدباء: ٧٣/٤، وينظر أيضًا: الكنى والألقاب: ٢١٢/١ – ٢١٣، وأعيان الشيعة: ٨٦/٩، ومعجم المؤلّفين: ١٩٤/١ .

(٢) ينظر: يتيمة الدهر: ٣٤٩/٣.

(٣) الفهرست: ٣١١/١ .

(٤) الفهرست: ٣٠٠/١.

(٥) رجال الطوسيّ: ٤٤٧، ومناقب آل أبي طالب: ٣٢٤/١، ٧٩/٣، ١١٦، ٣٠١، ٣٢٤، ٣٢٥، ومعالم العلماء: ٥٩.

(٦) معالم العلماء: ٥٩، والمناقب: ٩٣/٢، ٢١٧، و ٣٠/٣، ٤٧، ٩٩، ١٢٥، ٢٤٤، ٢٦٧ .

وغيرها، وعُرضتْ على أبي حاتم سهل بن محمّد السجستانيّ (ت ٢٤٨هـ)؛ فأعجِبَ بها، وقال لأصحابه البصريين: يا أهل البصرة، غلبكم والله شاعرُ أصبهانَ في هذه القصيدة، في إحكامها، وكثرة قوافيها[١]...

وقد وصل إلينا (٢١١) بيتًا من هذه النونية[٢] في مواضع مُتفرقةٍ من كتاب (مناقب آل أبي طالب) لابن شهرآشوب؛ الذي يبدو أنّه سلكَ صاحبَها في الشعراء المجاهرين لذلك[٣].

وأيًا ما كان الأمرُ في شأن هذه (النونية) وما وصل منها، فإنّ خبرَي شيوعها وعرضها على أبي حاتم السجستانيّ إن صحّا، فإنّهما يدلّان على أنّ ابن علويّة أنشدها قُبيل منتصف القرن الثالث الهجريّ، وهو زمنٌ كان عمرُ الشاعر فيه لم يتجاوز أربعين عامًا؛ ممّا يشي بمدى تمكُّنه من فنّه الشعريّ، وثقافته التاريخية التي اعتمد عليها عند نظمها.

موضوعات شعره وخصائصه الفنّية:

واكب أحمدُ بن علويّة مواقفه المعيشية التي غلب عليها طلبُ العلم والفقه، وما يتّصل به من علوم الدين والدنيا، فضلًا عن مُزاولة مهنتي (التأديب) و(المنادمة) وما تستوجبانه من أعمال، وممارسته فنّ الكتابة، والتحبير، وكذلك واكب اتجاهات معاصريه وسابقيهم من شعراء الشيعة بخاصّة إنشاده الجزءَ الأكبرَ ممّا تيسّر لنا من شعره في مدح الإمام عليّ بن أبي طالب، وأهل بيته عليهم السلام، إضافةً إلى مدح أحد أعلام

(١) رجال الطوسيّ: ٤٤٧، ومعالم العلماء: ٥٩، وإيضاح الاشتباه: ١٠٥، والشيعة وفنون الإسلام: ١١٩، والكنى والألقاب: ٢١٣/١، وأعيان الشيعة: ٧٦/٩ – ٦٨، ٧٠ وما بعدها.
وفي معجم الأدباء: ٧٦/٤، والوافي بالوفيات: ٢٥٤/٧، والغدير: ٣٤٨/٣، والشعراء الكتّاب في العراق في القرن الثالث الهجريّ: ٤٨٦: يا أهل البصرة، غلبكم أهل أصبهان ...

(٢) في أعيان الشيعة: ٧١/٩: إنّ مجموع ما وصل إلينا منها هو (٢٢٤) بيتًا. في حين لم يتجاوز عددها في المصدر نفسه: ٧١/٩ – ٧٢ – على ما تيسّرتْ لي معرفتُه –(٢١١) بيتاً .
وجاء في مُستهل هذه (النونية) قول مؤلّف الكتاب: وصاحب (الطليعة) يقول: إنّه جمع منها ما يقرب من (٢٥٠) بيتًا، ولعلّه وجد منها في غير (المناقب) أيضًا، أو بقي في (المناقب) شيء لم يقع عليه نظرنا بعد طول التفتيش .

(٣) ينظر: معالم العلماء: ٥٩.

عصره ونديمه وهو أحمد بن عبد العزيز العجليّ، وهجاء خصومه، مُتطرّقًا- إلى جانب ذلك – إلى هجاء زامر داعر، وخبيث؛ بوصفهما وجهًا قميئًا من وُجُوه مجتمعه وعصره الذي بات يُعاني –كغيره من أطراف الدولة آنذاك– ترف المعيشة، وفساد بعض أبنائها- مُنكفئًا على ذاته، مُتأخّرًا، شيخًا، يراوح ويلات الهرم، وتقدّم العُمر بأعراضهما القاسية مُتساميًا بها نحو استيحاء بعض الِحكَم الجليلة، والنصائح العملية السديدة من ثمرات هذه المعايشة المضنية لتقدُّم السنّ وضعف الأحوال، مُرتديًا ثوب بعض رجال الدين، مُخصّصًا للفتوى جانبًا ما من جوانب شعره، ومُفرِدًا لإحدى (البقرات) الفتيات وصفًا تفصيليًّا ضافيًا.

ويحتلّ مدحُ الإمام عليٍّ عليه السلام بوصفه(الغائب الحاضر)، والثناء عليه، والإشادة ببطولاته، أكبر مساحةٍ فيما تيسّر لنا من (مجموعه الشعريّ)، آتيًا في نصّين اثنين[١] من نُصوصه الاثني عشر، مُتابعًا سابقيه من شعراء الشيعة ومعاصريهم في مُوالاته التامّة، والتغنّي بأمجاده، والردّ على مُخاصميه ومُنكري فضله.

وتتصدّر هذا (المجموعَ الشعريَّ) بائيةٌ من بيتين[٢]؛ وصف بهما جانبًا حيويًا من جوانب شجاعة الإمام عليٍّ عليه السلام يوم (خيبر)، مشيرًا إلى تساقُط أبراجها، هشّةً، بُعيد دفعه بابها بقوة، وإلى ما رُوي عن قتاله الِجنَّ في البئر، مُتسائلًا بتحَدٍّ وإصرار، بقوله:

مَـــنْ قاتـــلَ الِجـــنّ الطغـــاة فأســـلموا
فـــي البئـــر كُرهًـــا يـــا أُولـــي الألبـــاب ؟!
مَـــنْ هـــزّ (خيبـــرَ) هـــزّةً فتســـاقطت
أبراجُهـــــا لمّـــــا دحـــــا بالبـــــابِ؟!

وفي (النونيّة) المطوّلة[٣] بدأ حديثه الشعريَّ بالتساؤل، وإبداء مظاهر القلق والحيرة عن أسباب غزارة دموعه، وسُقم عينيه، رائيًا في (ممدوحه الأسنى) نورًا تُضيءُ به البلادُ،

(١) مجموع شعره، النصّان: (١، ٢).
(٢) مجموع شعره، النصّ الأول.
(٣) مجموع شعره، النصّ الثاني عشر.

وجُنَّةً تحفظ الخائفين، وعصمة الملهوفين بنهجه عِبْرَ الأزمان، مُنتقلًا إلى الإشادة بعددٍ من مناقبه وكراماته التي تناقلتْها الأجيالُ، وسطّرتْها المصنّفاتُ المختلفة، وخاصةً كُتُب السُّنة، وأسباب النزول، والتفسير، و التاريخ، ونحوها، مُعتمدًا على دلالات (الروايات الشيعية) الخاصّة لعشرات الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، خاصّةً فيما يكشف النقاب عن كلٍّ من قرابته من النبيِّ ﷺ، وإحيائه سُنّته، وبطولاته النادرة أيام (بدر، وأحد، وخيبر، وفتح مكة) ونحوها، إضافةً إلى علمه، وعدْله، وسُمُوّ شأنه، وولايته، وأقضيته، وأهل بيته، وفضلهم في الدنيا والآخرة، ومن ذلك قوله:

مـــا بـــالُ عينـــك ثـــرةَ الإنســـانِ
عبـــرى اللّحـــاظ ســـقيمة الأجفـــانِ؟!
نُـــورٌ تُضـــيءُ بـــه البـــلادَ وجُنَّـــهُ
للخائفيـــــن وعصمـــــة اللهفـــــانِ
ختـــنُ النبـــيّ وعمّـــهِ أكـــرمْ بـــه
خِتْنًـــا وصِنْـــو أبيـــهِ فـــي الصّنـــوانِ
أحيـــا بـــه سُـــنَن النبـــيّ وعدلـــه
فأقـــام دار شـــرائع الإيمـــانِ
وسـقَى مـواتَ الديـن مِـن صَـوْبِ الهُـدَى
بعـد الجُـدُوب فقـرْنَ فـي العُمْـرَانِ

.....

أمَّـــنْ لـــه قـــال النبـــيُّ: فإنّنـــي
وأخـــي بـــدارِ الخُلْـــدِ مُجتمعـــانِ؟!
نرعـــى ونرتـــعُ فـــي مـــكانِ واحـــدٍ
فـــوق العبـــاد كأنّنـــا شمســـانِ
أمـــنْ بســـيّدةِ النســـاءِ قَضَـــى لـــهُ
ربّـــي فأصبـــحَ أســـعدَ الأختـــانِ؟

مِـــنْ بَعـــدِ خُطَّـــابٍ أتـــوْهُ فَرَدّهُـــمُ
رَدًّا يبيّـــــن مُضمـــــرَ الأشـــــجانِ؟

.....

وفي الوقت نفسه حظي نديمُهُ أحمدُ بن عبد العزيز العجْليُّ بثلاثة (مدائح) مُوجزةٍ[1]، تشبه كلّ منها (شذرة تقدير)، أو (بطاقة شُكر)، وصفه فيها بسعة الصدر، وتهلّل الوجه، والعفو والرفق الفطريين، اللذين يُحسن بهما مُعاملة مُخالطيه بقوله:

إذا مـــا جنـــى الجانـــي عليـــه جنايـــةً
عفـــا كرمًـــا عـــن ذنبـــه لا تهيُّبـــا
ويُوســـعُه رفقًـــا يـــكادُ لبســـطِهِ
يـــودُّ بـــريءُ القـــوم لـــو كانَ مُذْنبـــا

وقوله:

إذا مـــا جنَـــى الجانـــي عليـــهِ جِنَايَـــةً
عفـــا كرمًـــا عَـــن ذنبـــهِ لا تكرُّمـــا
ويُوســـعُه رفقًـــا يـــكاد لبســـطه
يـــودُّ بـــريءُ القـــوم لـــو كان مُجرمـــا..

وفي النصّ الآخر رَأَى في الممدوحِ نفسِه رجلًا شجاعًا، قويّ البصيرة، عليمًا بعواقب الأمور، قويّ الشكيمة، لا يتردّد، ولا يخاف، قائلًا[2]:

يـــرى مآخيـــرَ مـــا يبـــدو أوائلُـــهُ
حتـــى كأنّ عليـــه الوحـــي قـــد نَـــزَلا...
رُكـــنٌ مِـــنَ العلـــم لا يهفُـــو لمُحْفِظـــةٍ
ولا يحيـــدُ وإن أبرمْتَـــهُ جَـــدَلا

(١) مجموع شعره، النصوص (٣، ٧، ١١) .

(٢) مجموع شعره، النصّ السابع .

إذا مضَــى العــزمُ لــم ينكــثْ عزيمتَــهُ
ريــبٌ، ولا خِيــفَ منْــه نقــضُ مــا فَتَــلا
بــل يُخــرِجُ الحيّــةَ الصمــاءَ مُطْرِقــةً
مِــن جُحْرهــا ويَحُــطُّ الأعْصَــمَ الوعــلا

وفي المقابل نراهُ يُنشدُ ثلاثةَ نصوصٍ مُوجزة أخرَى[1]، تحمل رسائل (هجاء) مُقذعةً، استهلّها بالتعرُّض للموفّق بعد إنفاذه (الأصبغ) رسولًا إلى ممدوحه أحمد بن عبد العزيز العجليَّ؛ لكي يُنفذَ قطعةً من جيشه؛ لنُصرته، مُسفِّهًا رأيه الذي لم يجدْ له قبُولًا لدى ممدوحه؛ بسبب ما قد يُعرّض مُلكه- بأصبهان- لخطر الأعداء الطامعين، بقوله:

أدّى رســـــالته وأوصـــــل كُتْبَـــــهُ
وأَتَــى بأمــرٍ –لا أبــا لــك – مُعْضِــلِ
قــال: اطّــرِحْ مُلْــكَ (أصبهــانَ) وعزَّهــا
وابعــثْ بعســكرك الخميــسِ الجَحْفــل
فعلمــــــتُ أَنَّ جَوَابَــــهُ وخِطابَــــهُ
عَــضُّ الرسُــول بــ... أُمِّ المُرْسِــل

وانتقل في النصّ الثاني إلى هجاء أحد الزامرين الداعرين، - واقعًا أو تخيُّلًا- واصفًا إيّاه بالنهم الشديد في اقتراف الفواحش، مدفوعًا بسَوْرة شهوته الضارية، مُنقادًا لطبعه الدنيء، غير مُكترثٍ بمَن تقع عليه نزواتُه الضروسُ، محذّرًا من مغبّة الانسياق وراء شِباك فتنته، وحبائل إغوائه، قائلًا:

حــذارِ يــا قــوم، مــن (حمــدانَ) وانتبهُــوا
حــذارِ يــا ســادتي مــن زامــرٍ زانــي!!
فمــا يُبالــي إذا مــا دبَّ مُغتلمًــا
بــــدا بصاحــــب دارٍ أو بضيفــانِ

(١) مجموع شعره، النصوص: (٥، ١٣، ١٤) .

يُلهـــي الرجـــالَ بمزمـــارٍ فـــإنْ ســـكروا
ألهـــى النســـاءَ ... لـــهُ ثانـــي!!

ووصف خبيثًا دبّابًا ماهرًا شديد التأثير في ضحاياه، كُلُّ همّه الإيقاع السريع بفرائسه من طلّاب المتعة الحرام، دون الاكتراث بجرائرها المهلكة، وعواقبها المدمرة، بقوله:

فـــاقَ البريـــةَ طُـــرًا فـــي (قيادتـــه)
و...كُـــلَّ ذوي نـــــوْمٍ وسَـــكْرانِ
يســـتنزلُ العُصْـــمَ جهـــدًا مـــن معاقلهـــا
حِذْقًـــا ويجمـــع بَيْـــنَ الذيـــب والضـــان

ونراه في وصفه جانبًا من جوانب(ذاته) شيخًا، عجوزًا يصارع أحوال ضعفه وهزاله، وانحناء ظهره، وانتشار علامات السُّقم والتهالك في كلّ عضوٍ من أعضاء بدنه ومفاصله، فبدا مُستسلمًا لسُنّة الدهر في الخلق، بيقين راسخٍ وانشراح صدرٍ قائلًا[1]:

حنـــى الدهـــر مـــن بعـــد اســـتقامته ظهـــري
وأفضـــى إلـــى ضَحْضـــاحِ غَايتـــهِ عُمـــري
ودَبَّ البلـــى فـــي كُلّ عُضـــوٍ ومِفصـــلٍ
ومَـــن ذا الـــذي يبقـــى ســـليمًا علـــى الدهـــر

ويستمدّ من هذا اليقين قدرته على معايشة هذه الأهوال المُضنية، مكابدًا آلامها، يستنبط منها مجموعةً من الحِكَم الجليلة، والنصائح العملية الغالية، وخلاصتُها الإيمانُ بزوال الدنيا ومتعها، والتسامي على أحلامها المُخادِعة، وبريقها الكذوب، رائيًا أنّ المرء لا يجني من دنياه غير كؤوس الندم و التحسُّر دون جدْوى، مُوجِّهًا أَنظَارَ مُخَاطبيه في كلِّ زمانٍ ومكان إلى أهمّيّة الاستفادة من ثمرات تجربته الطويلة الممتدّة أكثر من قرنٍ من الزمان، والتفكّر في حقيقة الموت وأحواله؛ فوزًا بخير الزاد الذي يساعد على الحياة

(١) مجموع شعره، النصّ الرابع.

الكريمة بطاعة الله (تعالَى)، وحسن عبادته، والقناعة برضًا، وقلب سليم، بما قسمه (سبحانه) من رزقٍ، وعدم الاغترار بمظاهر الجاه والأُبّهة والسلطان ونحوها ممّا يؤول مصيرُه إلى زوالٍ، بقوله[١]:

دنيـــا مغبّـــةُ مَـــنْ أثـــرى بهـــا عَـــدَمُ
ولـــذةٌ تنقضـــي مِـــنْ بعدهـــا نَـــدَمُ
وفـــي المَنُـــون لأهـــل اللُّـــب مُعتبـــرٌ
وفـــي تزوُّدهـــم منهـــا التُّقَـــى غَنَـــمُ
والمـــرء يســـعى لفضـــلِ الـــرزقِ مُجتهـــدًا
ومـــا لـــه غيـــرُ مـــا قـــد خَطَّـــهُ القَلَـــمُ
كـــم خاشـــع فـــي عُيـــون النـــاس منظـــرُه
واللهُ يعلـــمُ منـــه غيـــرَ مـــا علمـــوا...

ومواكبة لذلك ونحوه، نراه يجلس فوق منصّة (الفتوى)؛ إرشادًا لبعض مُريديه في شأن الغناء والمُغنِّين وما يصاحبهما غالبًا من مفاتن ومفاسد تفتن بعضَ الناس، وتُوقعهم في شراكٍ مرذولةٍ من الآثام والمعاصي، آخذًا على عاتقه مَهمة التحذير من مغبّة هذه الأجواء، وما ينتابها من مخاطر، مُشيرًا إلى مدى الحُرمة التي تتهدّد سالكي طريقها، قائلًا[٢]:

حُكـــمُ الغنـــاء تســـمُّعٌ ومُـــدامُ
مـــا للغنـــاءِ مـــعَ (الحديـــثِ) نظـــامُ
لـــو أنّنـــي قـــاضٍ قَضيـــتُ قَضيّـــةً
إنَّ (الحديـــثَ) مـــع الغنـــاءِ حَـــرامُ

وامتدّتْ بعض جوانب شاعريته إلى مَعْلَمٍ بارزٍ من معالم (بيئته الزراعية)، بثروتها الحيوانية الغنية، مخصّصًا (بائية) من عشرة أبيات لوصف (بقرة) قويةٍ فتية شامخة، وفيرة اللبن ومُشتقّاته الشهية، رائيًا فيها (عروس باقورةٍ) بين أترابها، وهضبة عالية،

(١) مجموع شعره، النصّ التاسع .
(٢) مجموع شعره، النصّ العاشر.

متماسكة الخَلْق، تزهو بأعضائها الدقيقة في مواضعها، بقوله[1]:

يـــــا حبّـــــذا مخضُهـــــا ورائبُهـــا
وحبّـــذا فـــي الرجـــال صاحبُهـــا
عَجُولَـــــةٌ ســـــمحةٌ مباركـــــةٌ
ميمُونـــــةٌ طُفَّـــــحٌ محالبُهـــــا
كأن ألبانهـــــا جَنَـــــى عَسَـــــلٍ
يلذُّهـــا فـــي الإنـــاء شـــاربُها
عـــــروسُ باقُـــــورةٍ إذا بـــــرزَتْ
مـــــن بيـــــن أحبالهـــا ترائبُهـــا
كأنّهـــــا هَضْبَـــــةٌ إذا انتســـــبتْ
أو بكـــــرةٌ قـــــد أنـــــافَ غاربُهـــا
تُزهَـــــى بروقيْـــــنِ كاللُّجَيْـــــن إذا
مَسَّـــــهما بِالبنـــــانِ طالبُهـــــا
لـــــو أنّهـــا مُهـــــرةٌ لمـــا عدمـــتْ
مِـــــن أنْ يضـــــمَّ السُّـــــرورَ راكبُهـــا

ويبقى وقوفنا على (آفاق موضوعية) أخرى مُرتبطًا بالوقوف على بعض ما غاب عنّا في عالم الضياع أو النسيان، ممّا قد تكشف عنه الأيام القادمة إن شاء الله.

ومن جهةٍ أخرى يطالع قارئُ البقية الباقية من (شعره) مدى شغفه بالعزف على أوتار الرويّ المكسور الذي يَرِد في (٢٣٨) بيتًا، معظمها أبيات (المحبّرة) موازنة بالرويِّ المضموم الذي يجيءُ في (١٢) بيتًا، والرويّ المفتوح في (٨) أبياتٍ فقط.

كما أنشد الشاعر هذه النصوص على خمسة حروف رَوِيٍّ، تتقدّمها النون في (٢١٦) بيتًا، والباء الموصولة بالهاء في (١٠) أبياتٍ، والميم في (٨) أبياتٍ، واللام في (٧) أبياتٍ،

(١) مجموع شعره، النصّ الثاني .

والراء في بيتين، والغين في بيتين آخرين.

ولا يخفى مدى مواكبته اتجاه معاصريه وسابقيهم من شعراء الجاهلية والإسلام بالعزف على أوتار هذه الحروف وحركاتها، ومدى حرصه على (التصريع) في خمسة نصوصٍ من هذه النصوص الاثني عشر، تتقدّمها (المحبّرة) التي يستهلّها بقوله:

مـــا بـــالُ عينـــك ثـــرةَ الإنســـانِ
عبـــرى اللحـــاظ ســـقيمة الأجفـــانِ؟

تليها (البائية) التي يقول في مطلعها:

يـــا حبـّـــذا مَخضُهـــا ورائبُهـــا
وحبـّـــذا فـــي الرجـــال صاحبُهـــا

و(رائيته) الذاتية التي صدّرها بقوله:

حنـى الدهـرُ مـن بعـد اسـتقامته ظهـري
وأفضـى إلـى ضحضـاح غايتـه عُمـري!!

و(ميميته) التي أنشدها قريبًا من المئة من عُمره، مستهلًا بقوله:

دنيـــا مغبَّـــةُ مـــن أثـــرى بهـــا عَـــدَمُ
ولـــذةٌ تنقضـــي مـــن بعدهـــا نَـــدَمُ!!

و(ميميته) الأخرى التي بدأها قائلًا:

حكـــم الغنـــاء تســـمُّع ومُـــدامُ
مـــا للغنـــاء مـــع (الحديـــث) نظـــامُ

ويطرح وقوع التصريع في (نتفتين) اثنتين؛ تحتوي كلّ منهما على بيتين اثنين، ومقطوعةٍ شعرية من أربعة أبيات فقط - إلى جانب (البائية) ذات عشرة الأبيات، و(النونية) المطوّلة – سؤالًا أو أكثر عن مَدَى تعرُّض هذه النصوص المُصرَّعة الثلاثة الأولَى المشار إليها هنا بخاصة إلى نقصٍ أو ضياع بقية أبياتها بسببٍ أو آخر؛ وذلك نظرًا لما قد

يطالعه قارئُ عيون الشعر العربي القديم بعامة، وفي شعر شعراء عصره بخاصّة من ارتباطٍ قويّ بين تصريع مطالع القصائد المتوسّطة والمطوّلة من جهةٍ، وكثرة عدد أبياتها من جهة أخرى، وهو الاحتمال القويّ لدينا؛ تفسيرًا لغياب كثيرٍ من النصوص الشعرية التي ترتبط بصورةٍ أو أخرى بمواقف الشاعر وذويه، شابًّا ذا مشاعر وأحاسيس فيّاضة تترجم بعض خلجاته الوجدانية والعاطفية تجاه المرأة، محبوبةً، وزوجةً، وأُمًّا وابنةً، وتجاه (الطبيعة) الخلّابة في (كرمان) و(أصبهان) جنبًا إلى جنب مواقفه كطالب علم، كثير الأسفار، يجوب البلاد؛ بحثًا عمّا يُروِّي غُلّته الصادية من معارف عصره وعلومه وآدابه، ثم مواقفه مؤدّبًا، ونديمًا، وكاتبًا، ذا علاقات إنسانيةٍ متنوّعة ببعض أعلام عصره، ومجتمعه.

أمّا الاحتمال الآخر الذي يواكب مجيءَ هذه النصوص مُصرَّعةً مع قلّة عدد أبياتها، فيجنح بنا إلى الظنّ بأنّ الشاعر ربّما أنشدها كغيرها من نصوصه الموجودة والمُغيَّبة الأُخرى بصورتها التي وصلت إلينا بها (نُتَفًا) و(مقطوعاتٍ) دون تغييرٍ بسبب من نقص أو ضياع، ويسمح لنا في الوقت نفسه بافتراضٍ لا تنقصه الأدلّةُ عن مدى شغف الشاعر بمحاكاة بعض شعراء عصره وسابقيهم في الاحتفال بعوامل (البناء الإيقاعيّ) المكتملة في (النتف) و(المقطوعات)، كما هي أو قريبة من أمثالها في (القصائد) المتوسطة والمطولة على السواء.

وإلى جانب هذا (التصريع) في بدايات هذه النصوص الخمسة نقف على بعض المحاولات الإيقاعية المقصودة أو غير المقصودة، للاستفادة من تكرار بعض الحروف أو الكلمات في نهايات (صدور) بعض الأبيات وفي (أعجازها)، كما يتضح لنا من إعادة إنشادنا الأبيات (٤، ٥، ٧، ٨، ١٠) من (بائيته)، وهي قوله:

فتيـــــــة ســـــــنُّها مُهذَّبـــــــةٌ
مُعنَّـــــف فـــــي النـــــديِّ عائبهـــا
كأنّهـــــا لعُبـــــةٌ مُزيّنـــــةٌ
يطيـــــر عُجبًـــــا بهـــــا مُلاعبهـــا
عَـــرُوسُ باقُـــورة إذَا بَـــرزَتْ
مـــــن بيـــــن أحبالهـــــا ترائبُهـــا

كأنّهـــا هَضْبَـــةٌ إذا انتســـبتْ
أو بكـــرةٌ قـــد أنـــافَ غاربُهـــا
لـــو أنّهـــا مُهـــرةٌ لمـــا عدمَـــتْ
مـــنْ أنْ يضـــمّ السّـــرورَ راكبُهـــا

فقد عزف الشاعرُ هنا على تكرار كلٍّ من(التاء) المنوّنة في البيتين الأوّلين، وتكرار (التاء) الساكنة في الأبيات التالية لهما، إضافةً إلى عزفه على تكرار (كأنّها)، ومزاوجته بينها وبين (لو أنّها) في الأبيات (٢، ٤، ٥)، وأفادَ من (حسن التقسيم) في قوله: (كأنّها هضبةٌ... أو بكرةٌ...)، و(ردّ الأعجاز على الصدور) في البيت الثاني بقوله: (كأنّها لعبة.... ملاعبها).

كما ردّ (المصدر) الثلاثي (جناية) على كلٍّ من (اسم فاعله)، و(فعله) الثلاثيّين بصدر البيت الأول، وردّ (اسم الفاعل) الرباعيَّ في البيت الثاني على (مصدره) الثلاثي في (عجز سابقه)، بقوله:

إذا مـــا جنـــى الجانـــي عليـــه جنايـــةً
عفـــا كرمًـــا عـــن ذنبـــه لا تهيُّبـــا
ويُوســـعه رفقًـــا يـــكادُ لبســـطِهِ
يـــودُّ بَـــريءُ القـــوم لـــو كان مُذنبـــا

وردّ كلمة (الدهر) آخر كلمات (عجز) البيت الثاني على ثاني كلمات (صدر) سابقه بقوله:

حنـــى الدهـــر مـــن بعـــد اســـتقامته ظهـــري
وأفضـــى إلـــى ضحضـــاح غايتـــه عمـــري
ودَبَّ البِلـــى فـــي كلّ عُضْـــوٍ ومِفْصَـــلٍ
ومَـــنْ ذا الـــذي يبقـــى ســـليمًا علـــى الدهـــر

وكرّر كلمة (الغناء) ثلاث مرّاتٍ، وزاوجَ بينَ كلٍّ من (قضيةٍ) و(قاضٍ) و(قضيتُ)،

بقوله:

حُكمُ الغناء تسمُّعٌ ومُدامُ
ما للغناء مع (الحديث) نظامُ
لو أنني قاضٍ قضيتُ قضيةً
إنّ الحديث مع الغناء حرامُ

وسار في الاتجاه نفسه، معضّدًا حرصه على المجانسة الصوتية التامّة، وشبه التامّة، وحسن التقسيم، وردّ الأعجاز على الصدور، بمحاولة بناء قافيةٍ داخلية أو أكثر، بما نواكب أصداءه بمعايشة قوله في (المحبّرة):

وانفضَّ عنه المسلمون وأجفلُوا
متطايرين تطايُرَ الخيفانِ
ونداؤهم: قُتِلَ النبيُّ وربّنا
قُتِلَ النبيُّ فكانَ غيرَ مُعانِ
ويقول قائلُهُم: ألا ياليتنا
نِلْنَا أَمانًا مِنْ أبي سُفيانِ

فقد جمعَ بينَ كُلٍّ مِن اسمِ الفاعل (متطايرين) ومصدره (تطاير)، وكرّر جملة (قُتل النبي)، وجمع بين (يقول) واسم فاعله (قائلهم)، وجانَسَ بين كلٍّ من (وربّنا) و(ياليتنا)، و(نلنا) سالكًا ذلك في عدة مواضع أخرى من هذه النونية المطوّلة، وخاصّة فيما نطالعه في قراءتنا الأبيات[1] (٦٣، ٦٤، ٩٠، ٩١، ١٠٩، ١١٠، ١١٣، ١١٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٨٢، ١٨٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٩، ١١١) وغيرها.

وفي الوقت نفسه ندرك في مطالعتنا ما تبقّى من (مجموعه الشعريّ) تصدُّر بحر

(١) وهي قوله:

كذبوا وربّ محمّدٍ وتبدَّلُوا وجَرَوْا إلى عَمَهٍ وضدّ بيان
وتجنّبوا وُلْد النبيّ وصيَّروا عهد الخلافة في يديْ خوَّان

(الكامل) بتفعيلاته الست في الجزء الأكبر من شعره، بمجيئه في (٢١٨) بيتًا، معظمها من أبيات المطولة (النونية)، يليه بحر (البسيط) بتفعيلاته التامّة في (١٣) بيتًا، فـ(المنسرح) في أبيات (بائيته) العشرة التي وصف بها البقرة، فـ(الطويل) الذي جاء في ثلاث نُتَف؛ ومجموعها (٦) أبياتٍ وهو قدر ضئيل جدًّا يدعونا إلى التساؤل عن سرّ هذا التأخّر، وعن أسرار اختفاء أبحرٍ أُخرى شاعتْ في دواوين مُعاصريه وسابقيهم، وفي مقدّمتها: (الوافر، والرجز، والمتقارب، والخفيف)، إضافةً إلى كلٍّ من (المجزوءات)، و(المشطورات)، و(المنهوكات) التي يبدو أنّه لم يهمل استعمالها كغيره من شعراء الشعر السياسيّ، والمذهبيّ، والتعليميّ الذي ينضمّ معظم (مجموعه الشعريّ) تحت مظلّته، ولكن ضياع الجزء الأكبر من ديوانه ربّما غَيَّبَ عنّا وقوفنا على هذه الأوزان التامة، وغيرها من المجزوءات، ونحوها، والأيامُ القادمة وحدها كفيلةٌ بالقطع في شأن هذه المسألة ونحوها من الظواهر الفنية في شعره.

ومن جهةٍ أخرى يتّضح لقارئ ما تبقّى من هذا (المجموع الشعريّ) مدى تأثُّره بالتشيّع لأهل البيت عليهم السلام ومواكبته لعصره ما أفرد نصوصه لتناوله من أغراض، ومضامين، وخاصةً شعره السياسيّ المذهبيّ ذا الطوابع الشيعية الواضحة التي تتجه بقوّةٍ نحو (الحِجَاج) ومُقارعة الخُصوم ومحاولة إفحامهم من جهة، وتعليم الناشئة مبادئ الفكر الشيعيّ ومعالمه المستندة إلى تسليط كلّ الأضواء المتاحة على الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وسيرته، وبطولاته، وأقضيته، ومناقبه، وكراماته في السلم والحرب من جهةٍ أخرى، فضلاً عن مواكبة كلّ الآفاق النصّيّة الدينيّة، وما يتّصل بها من أحداثٍ ومواقف واقعية حقيقية أو مُهوَّلة أو أُسطورية مُتخيَّلة، تناصًّا، واقتباسًا، ومُقابلةً، وتضمينًا ونحوه، ما نَرَى بعض مظاهره جليّة في مدى حرص الشاعر على الاستعانة بعددٍ غير قليل من الألفاظ والتعبيرات ذات الدلالات الدينية الإسلامية في شتى مواقفه الشعرية التي سبقتِ الإشارةُ إلى بعض آفاقها؛ وفي مقدّمتها (الإسلام، وأولو الألباب، وأهل اللُّبّ، و التزوُّد بالتُّقى، وخطّ القلم، ونُزول الوحي، وسُنن النبيّ، وعدله، وشرائع الإيمان، وسقاية الدين، وصَوْب الهُدى، وإشراق الحرمين، وصلوات الله (تعالَى)...) ونحو ذلك، ممّا نطالعه مُوظَّفًا في مواضعه خير توظيف في قراءتنا قوله في شأن الإمام عليّ عليه السلام:

مَـــنْ قَاتَـــل الجِـــنَّ الطغـــاةَ فأســـلموا
فـــي البئـــر كُرْهًـــا يـــا أُولـــي الألبـــاب

وقوله في الحَضِّ على أخذ العبرة من أحوال الموت:

وفـــي المَنُـــون لأهـــل اللُّـــب مُعتبـــرٌ
وفـــي تزوُّدهـــم منهـــا التُّقـــى غَنَـــمُ
والمـــرءُ يســـعَى لفضـــلِ الـــرزقِ مُجتَهِـــدًا
ومـــا لـــهُ غيـــر مـــا قـــد خَطَّـــهُ القَلَـــمُ

وقوله مادحًا أحد أعلام عصره:

يـــرى مآخيـــرَ مـــا يبـــدو أوائلـــه
حتـــى كأنَّ عليـــه الوحـــيَ قـــد نـــزلا...

وقوله مادحًا الإمام عَلِيًّا:

أحيـــا بـــه سُـــنَنَ النبـــيِّ وعدلَـــهُ
فأقـــامَ دارَ شَـــرائع الإيمـــانِ
وسـقى مـواتَ الديـنِ مـن صَـوْبِ الهُـدَى
بعـــدَ الجُـــدُوبِ فقـــرْنَ فـــي العمـــرانِ
وتفرَّجَـــتْ كُـــرَبُ النفـــوسِ بِذِكْـــرِهِ
لمّـــا اســـتفاضَ وأشـــرقَ الحرمـــانِ
صلـــى الإلـــهُ علـــى ابـــن عـــمِّ محمّـــد
منـــه صـــلاةَ تغمُّـــدٍ بحنـــانِ...

وإضافةً إلى هذه الاستعانة المقصودة وشبه المقصودة ببعض هذه المفردات، واستثمار دلالاتها الدينية والتاريخية الوضّاءة في الوصول بأغراضه إلى أقصى غاياتها المنشودة نراه ينهل من معين بعض الأقباس القرآنية، سورًا وآياتٍ، ومروياتٍ؛ يستوحي من فُيوضها المتجدّدة الخالدة ما يتسامى بغرضه الأكبر على صفحات شعره، وهو الاحتفاء بممدوحه الإمام عليٍّ عليه السلام إلى أقصى درجات الاحتفاء، والإجلال، والإطراء، مُعتمدًا على دلالات بعض السور والآيات أو أسباب نزولها، مُشيِّدًا بها وبنحوها لبناتِ صَرْحه الأكبر في

الثناء والإشادة، ومن ذلك ما يتضح بقراءة قوله:

وبـــــه تنـــــزل: إن أُذنـــــي وحيُـــهُ
للعلـــم واعيـــةٌ فَمَـــنْ ســـاواني

وهو الذي تسامى إلى آفاق قوله سبحانه: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾. (الحاقة / ١٢)

ومثل هذا البيت ومنهله القرآني قوله:

أو تعلمـــون حديـــث (نجـــم قـــد هـــوى
فـــي داره مـــن دون كـــلّ مـــكان)

وهو الذي يستشرف جانبًا من آفاق مطلع (سورة النجم)، بكلّ ما يواكبها من أسباب نزول وتفسيرات، وهو قوله(سبحانه): ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢)﴾ (النجم/١-٢).

وقوله الذي يستلهم آفاق سورة (الإنسان):

أمَّـــنْ علـــى المســـكين جـــاد بقُوتـــه
وعلـــى اليتيـــم مـــع الأســـير العانـــي
حتـــى تـــلا التالـــون فيهـــا سُـــورةً
عُنوانهـــا (هَـــلَ اتـــى علـــى الإنســـان)

وقوله الذي يستوحي آفاق (آية التطهير):

إذ ذاك أذهـــب كُلَّ رجـــسٍ عنهـــمُ
ربّـــي وطهَّرهـــم مـــن الأدران

وواكب هذه المواقفَ التي تناصّ فيها الشاعرُ مع نُصوصٍ قرآنيةٍ كريمةٍ مواقفُ أخرى تفرّعت عنها، وسارت جنبًا إلى جنبها، تُعضِّدُها وتستلهمُ بعضَ نفحاتها النورانية المتجدّدة، بعكوفه المتتالي على أقباسٍ نبويّةٍ شريفةٍ تواترت الرواياتُ المختلفة على إيرادها في كتب

الحديث، والسنة، والسّير والتراجم باختلاف اتجاهات أصحابها، واختلاف مذاهبهم الدينية والسياسية على مرّ الأزمان، وهي الأقباسُ التي تسجّل جوانبَ حيويةً من فوز الإمام عليٍّ عليه السلام مُتفرّدًا بشرف صحبته النبيّ الكريم (صلوات الله عليه)، ومُصاهرته إيّاه، وفوزه بتقريبه، ومؤازرته، وتزكيته، ورَفْع ذِكْرِه بين أقرانه من الصحابة الأجلّاء بوصفه أخًا ووصيًّا، يخصف نعله عليه السلام، ويحمل رايته، ويُبلِّغُ عنه، ويقاتل بأمره على (تأويل القرآن) الكريم كما قاتل معه شديدًا علَى (تنزيله)، وعليمًا أوتي الحكمة؛ فصار (باب النبوّة)، حكمتها، وعِلْمها على مرّ الدهور، يطيب له ما يطيب للنبيّ الكريم، ويسوؤه ما يسوؤه عليه السلام بقوله:

إذ قـــال أحمـــدُ: إن خاصـــفَ نَعْلـــهِ
لمُقاتـــــل بتـــــأوُّل القُـــــرآنِ
مُـــوفٍ كمـــا قاتلـــتُ عـــن تنزيلـــه
فـــإذا الوصـــي بكفِّـــهِ نعـــلان...

وهو القول الذي جاء ترجمانًا لقول المصطفَى (عليه الصلاة والسلام) في شأن عليٍّ عليه السلام: «هو خاصف النعل».

ومثله قوله (عليه الصلاة والسلام): «أقضاكم عليٌّ»[1]، أو «عليٌّ أقضاكم» و«أنا دار الحكمة وعليٌّ بابها»، و«أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمَن أراد العلم فليأتِ بابه»[2]... وهو ممّا استرشد به الشاعرُ وصاغه نظمًا بقوله:

ولـــه يقـــول محمّـــدٌ: أقضاكُـــمُ
هـــذا وأعلمُكُـــم لـــدى التبيـــان
إنّـــي مدينـــةُ علمكـــم وأخـــي لهـــا
بـــابٌ وثيـــقُ الركـــن مصراعـــان

كما صاغ بقوله:

أصبحـتَ منّـي – يـا علـيُّ – كمثـل مـا
هـــارون أصبـــح مـــن فتـــى عمـــران

(١) كشف الغمّة: ١١٠/١.

(٢) نفسه: ١٠٧/١.

إلّا النبـــــوّة إنّهـــــا محظـــــورةٌ
مـــن أنْ تصيـــر ســـوايَ فـــي إنســـان

معنى قول المصطفىﷺ يخاطب عَلِيًّا: «أنت منّي بمنزلة هارونَ من مُوسى، إلَّا أنَّهُ لا نَبيَّ بعدي»[١]، وقوله: «أَمَا تَرضَى أنْ تكون منِّي بمنزلةِ هارونَ»[٢] ؟!

ونحو ذلك من الاسترشاد بمعاني الحديث الشريف الدائر في فلك الثناء على الإمام عليٍّ في شعر الشاعر كثيرٌ، وخاصة فيما يحذّر من التعرّض لهعليه السلام بالإيذاء أو السبّ، وفيما ينوّه بجانبٍ من حمل رايته المظفّرة، وجانبٍ من تبليغه عنه، وأكله معه.

وفضلًا عن هذين الرافدين المتجدّدين- من منابع صوره – يطالعنا ابنُ علويّة بعكوفه المتجدّد على مواقفَ وأحداثٍ تاريخيةٍ بعينها، ظهرت فيها مخايلُ نادرةٌ من بطولات ممدوحه، قبس منها روافدَ ولبَناتٍ، يشيد بها معالمَ شامخةً وراسخةً من مكارم الإمام عليّ، بطلًا مغوارًا، يفدي النبيّﷺ بنفسه ليلة الهجرة، ويحقّق المعجزات الخالدة أيام (بدر)، و(أحد)، و(خيبر)، و(فتح مكة)، وغيرها، جنبًا إلى جنب بعض معالم من سيرته، قاضيًا، سديدَ الفهم، حسنَ الإدراك، عادلًا، وخطيبًا حكيمًا، بليغًا مُفوّهًا، يخلب الألباب، ويأسر الأفئدة، وذلك بقوله في شأن ليلة الهجرة، ومبيت الإمام في فراش النبيّ(عليه الصلاة والسلام):

أمَّـــن شـــرى لله مُهجـــة نفســـه
دُون النبـــي عليـــه ذو تـــكلان
هـــل جـــاد غيـــرُ أخيـــه ثـــمّ بنفســـه
فـــوق الفـــراش يغـــطُّ كالنصّـــان

وقوله، في شأن يوم (بدر) وبلاء عليٍّعليه السلام فيه:

ولـــه ببـــدرٍ إنْ ذكـــرتَ بـــلاءه
يـــومٌ يُشـــيب ذوائـــبَ الوِلْـــدان

(١) كشف الغمّة: ٦٢/١.
(٢) نفسه: ٣٤٧/١.

كـــم مـــن كمـــيٍّ حـــلّ عقـــدة بأســـه
فيـــــه وكـــــانَ ممَنَّـــــع الأركـــــان
فـــرأى بـــه هَصْـــرًا يهـــاب جنابـــه
كالضيغـــــم المُستبسِـــــل الغضبـــــان
يســـــقي مُمَاصِعَـــــهُ بـــــكأس منيّـــــةٍ
شِـــيبَتْ بطعـــم الصَّـــاب والخُطبـــان
إذ مـــن ذوي الرايـــات جَـــدَّل عُصبـــةً
كانـــوا كأُسْـــدِ الغـــاب مـــن (خِفَّـــان)

وقوله في شأن بطولاته يوم (خيبر):

مـــن هـــزَّ (خيبـــر) هـــزّةً فتســـاقطت
أبراجُهـــــا لمـــــا دحـــــا بالبـــــاب

وقوله في الشأن نفسه مُفصّلًا:

أمّـــن أقـــل بخيبـــرَ (البـــاب) الـــذي
أعيـــا بـــه نفـــرًا مـــن الأعـــوان
هـــل مـــدَّ حلقتـــه فصيَّـــر متنـــه
ترسًـــا يفـــلّ بـــه شـــبا القضبـــان
ترسًـــا يصـــكّ بـــه الوجـــود بمُلتقـــى
حـــربٍ بهـــا حَمـــيَ الوطيـــسُ عَـــوَان

وأمثال هذه المواقف البطولية التي أشاد بها في شعره كثيرةٌ[1].

(١) يُنظر في استلهام بعض مواقف الإمام في (النونية) المطوّلة الأبيات (٢٦-٣٧) في شأن (أُحد)، والأبيات (١٢٢-١٣٤) في شأن يوم فتح (مكة)، والأبيات (٣٨-٤٨) في شأن يوم (تبوك)، والأبيات (٤٩-٥٦) في شأن (يوم الغدير)، والأبيات (٨٦-٩٨) في مدحه (قاضيًا)، والأبيات (٧٥-٨٥) في الإشادة به (خطيبًا) .

وقد ضمّن الشاعر في هذه النصوص السابقة وغيرها من بعض مواضع قريضه رافدًا آخر سار جنبًا إلى جنب ما أسلفنا الإشارة إليه من روافد؛ ونقصد به استيحاء بعض معاني الأمثال، والتشبيهات، والكنايات التي تجري مجراها، وخاصّةً في قوله: (... حرب بها حمي الوطيسُ عوان)، مشيرًا إلى جانبٍ من ضراوة الحرب، وشدّة وطأتها، وجَلَبتها، متناصًّا مع ما تواتر على ألسنة بعض معاصريه، وسابقيهم من العرب: (حمي الوطيسُ) أو (الآن حمي الوطيس)، أو (قد حمي الوطيس).

إضافةً إلى استيحائه مَعْنَى قوله: (أجرأ من ليثٍ بخفان)[1]، مضمّنًا إياه قائلاً:

إذْ مـــن ذَوِي الرايـــاتِ جَـــدَّل عُصْبـــةً
كانُـــوا كأُسْـــدِ الغَـــابِ مِـــنْ خفـــانِ

ونحو ذلك في العزف على أوتار هذه المعزوفة الشعبية التي تنحو نحو الإقرار والتصديق بقوله:

ولـــه إذا ذُكـــرَ الغديـــرُ فضيلـــةٌ
لـــم ننســـها مـــا دامـــتِ المَلَـــوانِ

وهو القول الذي استعان فيه بدلالات المثل العربيّ: (لا أفعل ذلك ما اختلفَ المَلَوَانِ)[2]، أو (لا أفعل ذلك ما كرّ الجديدانِ والملوانِ)؛ كنايةً عن التجدُّد الدائم أبد الدهر، وقوله الذي يحضّ فيه على التزام جادّة الصواب، والمحبّة البالغة، والقول الفصْل، دون التهاوي في دركات التخرُّص والأكاذيب، وتُرَّهات القول التي يلخِّصُها في إشارته إلى (حديث فُلانةٍ وفُلان)، بقوله:

أدلُـــوا بحُجّتكـــم وقُولـــوا قولَكُـــم
ودَعَـــوا حديـــثَ فُلانـــةٍ وفُـــلانِ

ومن جهةٍ أخرى نلحظ جانبًا من استيحائه بعض مفردات معجمه الشعري من

(١) مجمع الأمثال: الميداني: ١٩٧/١ .
(٢) الأمثال: ابن سلام: ٣٨١/١.

آفاق بعض مجالس العلم والفتوى بإشارته إلى كلٍّ من (حكم الغناء، والتسمُّع والمُدام، والحديث، والحرام..) إضافةً إلى بعض آفاق القضاء، والتعزير، والتأديب، وما يتّصل بها من ذُنوب، وجنايات، وخوف، وبراءة، ورفق، وكرم، ونحوه ممّا يتجلّى في قوله:

إذا مـــا جنـــى الجانـــي عليـــه جنايـــةً
عفـــا كرمًـــا عـــن ذنبـــه لا تهيُّبـــا
ويُوســـعه رفقًـــا يـــكادُ لبســـطِهِ
يـــودُّ بـــريءُ القـــومِ لـــو كان مُذنبـــا

وقوله:

إذا مـــا جنـــى الجانـــي عليـــه جنايـــةً
عفـــا كرمـــاً عـــن ذنبـــه لا تكرُّمـــا
ويُوســـعه رفقًـــا يـــكادُ لبســـطِهِ
يـــودُّ بـــريءُ القـــومِ لـــو كان مُجرِمـــا

وقوله:

حُكْـــم الغنـــاء تســـمُّعٌ ومُـــدامُ
مـــا للغنـــاء مـــع الحديـــث نظـــامُ
لـــو أننـــي قـــاضٍ قضيـــتُ قضيـــةً
إنّ الحديـــث مـــع الغنـــاء حَـــرَامُ!!

وتجذب أسماعَ قارئ النصّين الأوّلين من هذه النصوص الثلاثة اشتراكُهما في جميع مُفرداتهما عدا كلمات القافية، وحرف رويّها في النصّين اللذين يتنوّعان من (الباء) في النصّ الأول، إلى (الميم) في النصّ الآخر، وإن صحّ أنّ الشاعر قد أنشدهما بصُورتيهما اللتين وصلتا إلينا جاز لنا تفسيرُ ذلك في إطار حرص الشاعر على توفير (التكرار)؛ للإفهام والإيضاح، وهُما غايتان يبدو أنّهما كانتا نُصب عينيه (شاعرًا مُؤدِّبًا)، يمارس مهنة التعليم وتربية النشء، وما تستلزمه من وسائل تُساعد على نجاح المُؤدِّبين في الوصول

بتلاميذهم إلى درجاتٍ سامقة من (الاستيعاب) و(التحصيل)، وإنْ صحّ هذا التفسيرُ في هذا الشأن؛ جاز لنا السيرُ في اتّجاه هذه الظاهرة - وهي التكرار؛ تكرار الأصوات، والحروف، والكلمات، والجمل، ونحوها - خطواتٍ متقدّمةً، نتوقّف بها عند معالم متنوّعةٍ من هذه الظاهرة، مشفوعة بـ(الاستفهام) الذي يتصدّر الجملة بوصفه معلَمًا بارزًا من معالم عملية التعليم والتأديب بقوله:

مَـــنْ هَـــزَّ (خَيبـــرَ) هِـــزَّةً فتســـاقَطَتْ
أبراجُهـــا لمـــا دحـــا بالبـــاب

وهو القول الذي يتّضح فيه تكرار مادة (هـ زز) فعلًا ثلاثيًا ماضيًا، ومصدرًا، تنبجس منهما آياتُ الحركة العنيفة التي تنبعث من الهزّ، والتساقُط، ودحو الباب، إضافةً إلى ما يجذب أنظارنا وأسماعنا من (حركات) دؤوب تُواكب مدَّ الناظريْنِ بإنعام، وبصيرةٍ نافذة، فضلاً عن كلٍّ من: نُزول الوحي، والحيد، والإبرام، والنقض، والفتل، وإخراج الحيّة الصمّاء من جُحْرها، وحَطّ الوعل، وغيره ممّا يتراءى لنا بقوله مادحًا:

يـــرى مآخيـــرَ مـــا يبـــدُو أوائلُـــه
حتَّـــى كأنّ عليـــه الوحـــيَ قـــد نـــزلا
رُكـــنٌ مِـــنَ العلـــم لا يهفُـــو لمُحفظـــةٍ
ولا يحيـــدُ وإن أبرمتَـــه جَـــدَلا
إذا مضَـــى العـــزمُ لـــم ينكـــثْ عزيمتـــه
ريـــبٌ ولا خِيـــفَ منـــه نقـــضُ مـــا فَتَـــلا
بـــل يُخـــرِجُ الحيـــةَ الصمّـــاءَ مُطرِقَـــةً
مـــن جُحْرِهـــا ويحـــطُّ الأعْصَـــمَ الوعـــلا

وفي موضع آخر من شعره يعكف الشاعرُ على تصوير (بقرة) ولُود، حَلُوب، معطاء، متّخذًا من عنصر (اللون) باختلاف أنواعه، وشياته، ومستوياته، ودلالاته المنبعثة من (المخْض الرائب، والمحالب الطُفَّح، واللُعبة المُزَيَّنة، والألبان، وجَنَى العسل، والهضبة، والبكرة، والروقيْنِ، واللُّجين)، وغيرها، وما يواكبها من (حركة) متعدّدة الاتجاهات،

و(روائح)، و(أصواتٍ)، إضافة إلى (التشبيه) بكلّ طاقاته البيانية، والإيحائية، والكنائية أدواتٍ فنيةً تنزعُ إلى إبراز لوحته الفنية المفعمة بالألوان، والحركات، والأصوات، والمشمومات بصورةٍ مؤثّرةٍ بقوله:

يـــا حبَّـــذا مَخْضُهـــا ورائبُهـــا
وحَبَّـــذا فـــي الرجـــال صاحبُهـــا
عَجُولَـــــةٌ سَـــــمْحةٌ مُباركـــــةٌ
ميمُونـــــةٌ طفَّـــــحٌ محالبُهـــــا
تقبـــــلُ للحَلْـــــبِ كُلّمـــا دُعِيَـــتْ
ورامهـــــا للحِـــــلابِ حالبُهـــــا
فتيـــــةُ ســـــنُّها مُهذَّبـــــةٌ
مُعنَّـــــفٌ فـــي النـــــدى عائبُهـــا

وقوله:

كأنّهـــــا لُعبـــــةٌ مُزَيَّنـــــةٌ
يطيـــــرُ عُجْبًـــا بهـــا مُلاعبُهـــا
كأنّ ألبانهـــا جَنَـــى عَسَـــلٍ
يلذُّهـــا فـــي الإنـــاء شـــاربُها
عـــرُوسُ باقُـــورةٍ إذا بَـــرَزَتْ
مِـــنْ بيـــن أحبالهـــا ترائبُهـــا
كأنّهـــا هَضْبَـــةٌ إذا انتســـبتْ
أو بكـــرةٌ قـــد أنـــافَ غاربُهـــا
تُزْهَـــى بروْقيْـــن كاللُجيْـــنِ إذا
مسَّـــهما بالبَنَـــانِ طالبُهـــا...

وفي موضعٍ آخر نراه يستعين بـ(المقابلة) بِطاقاتها المتجدّدة في إظهار المتضادات

المختلفة؛ توضيحًا لما يريد إظهاره من معنى، وهو الوقوف على مَدَى مناقضة الظاهر للباطن بقوله:

كـم خاشـعٍ فـي عُيـون النـاسِ منظـرُهُ
واللهُ يعلـمُ منـه غيـرَ مـا عَلِمُـوا

وفي الوقت نفسه نراه -وقد بلغ من العمر عتيّاً، ووصل إلى أقصى غاياته من تجارب الحياة الدنيا وأسرارها - يعكف على استعمال (الأساليب الخبرية) جُمَلًا اسمية تتتابع لتقديم خُلاصة تجربته حكَمًا، ونصائحَ واقعيةً، تأخذُ بأيدي مُخاطبيه ومُدْركاتهم إلى استشراف آفاق الحياة الكريمة الصالحة قائلًا:

دنيـا مغبَّـةُ مـن أثـرى بهـا عَـدَمُ
ولـذةٌ تنقضـي مـن بعدهـا نَـدَمُ
وفـي المَنُـون لأهـل اللُّـب مُعتَبَـرٌ
وفـي تزوُّدهـم منهـا التُقـى غَنَـمُ
والمـرءُ يسـعى لفضـل الـرزقِ مُجتهـدًا
ومـا لـهُ غيـرُ مـا قـد خطَّـه القلَـمُ

ومن الجُمل الاسمية في أساليبه الخبرية المتوالية، إلى الإخبار بالجمل الفعلية التي تواكب أساليب القيادة والسعاية في سبيل الفُحش، وارتكاب الرذيلة، والمُجون قائلًا:

فـاق البريـةَ طـرّاً فـي قيادتـه
و...كـلَّ ذَوي نَـوْم وسـكران
يسـتنزل العُصـم جهـدًا مـن معاقلهـا
حذْقًـا ويجمـعُ بيـن الذّيـب والضـان

ومن الإخبار بالجمل الفعلية بدلالاتها الحَركية والصوتية المتعاقبة، إلى المزاوجة بين كلٍّ من الإنشاء، تحذيرًا وأمرًا، والإخبار بجُملٍ فعليةٍ تتوالى بدلالاتها الصوتية والحركية المتناغمة، كما في قوله يحذّر من مغبّة الاطمئنان إلى حيل أحد الداعرين،

والمغنّين الفَجَرة:

حـذارِ يـا قـوم مـن (حمـدانَ) وانتبهُـوا
حـذارِ يـا سـادتي مـن زامـرٍ زانـي
فمـا يبالـي إذا مـا دبَّ مُغتلمًـا
بـدا بصاحـبِ دارٍ أو بِضيفـانِ

وفي مطلع (المحبّرة) نراه يستهلّ بسؤالٍ إنشائيّ، معقّبًا عليه بأكثر من خمس عشرة جُملةً اسميةً وفعليةً، ذات دلالات خبرية في اثني عشر بيتًا متواصلًا، ختمها بسؤالٍ إنشائيّ يتّفق وسابقه مع مضمون هذه الجمل الخبرية في الإشادة بمكانة ممدوحه رحمه الله بقوله:

مـا بـالُ عينـكَ ثـرّةَ الإنسـانِ
عبـرَى اللحـاظ سـقيمةَ الأجفـانِ
نُـورٌ تضـيء بـه البـلادَ وجُنـةٌ
للخائفيـن وعصمـةُ اللهفـان

.....

وبـه تنـزل: إن أُذنـي وحيُـهُ
للعلـم واعيـةٌ فَمَـنْ سـاواني
ولـه إذا ذُكِـرَ الفَخَـارُ فضيلـةٌ
بَلَغَـتْ مـدى الغايـات باسـتيقان

....

هـل بعـد ذاك علـى الرشـاد دلالـةٌ
مـن قائـل بخلافـه ومعانـي

ومن جهةٍ أخرى تتراءى لقارئ شعر أحمد بن علويّة ظاهرةٌ فنّية، امتدّت أبعادها

التشكيلية لتشمل بعض مفردات معجمه الشعريّ، لغةً وتصويرًا، يجسّد فيها بعض مواقفه الشعرية المختلفة؛ مُواكبًا بعض شعراء عصره وسابقيهم ولاحقيهم من الكُتّاب[١]، وهي التأثّر المباشر المقصود وغير المباشر وغير المقصود بممارسة أعمال الكتابة، تأليفًا، وتحبيرًا، وتصنيفًا في تشكيل عشرات المفردات ذات الارتباط الوثيق بهذه المهنة، وفي مقدّمتها: (الخطّ، خطّ القلم وصاحبُه، والرسائل والكتبُ، والخطابُ، وجوابُه، ومُرسلُه، والوحيُ، والعلمُ، والحروفُ وإملاؤُها، والكتابةُ، والألفاظُ، والشواهدُ، والمعاني...)، وما يتّصل بها من أدوات معجمٍ لغويّ مواكبةً وتجسيدًا لمواقفه الأدبية والإنسانية المختلفة السالفة الذِّكْر، مدحًا، وهجاءً، وبوحًا ذاتيًا، ونحوه.

ومن ذلك ما يوجّه أنظارنا بحديثه الوعظيّ الرشيد الذي راح يلخّص فيه ثمرةً من ثمرات رحلة عمره الطويلة، مشيرًا إلى ما (قد خَطّه القلم)؛ ويعني به اللوح المحفوظ بأرزاق العباد في علم الله المكنون وحسن مشيئته، إضافةً إلى خُشوع المرء كاتبًا، ومنظره عند الكتابة والتحبير، واقعًا أو مجازًا بقوله[٢]:

والمـرء يسـعى لفضـل الـرزق مُجتهـدًا
ومـا لـه غيـرُ مـا قـد خطَّـه القَلَـمُ
كـم خاشـعٍ فـي عيـون النـاس منظـرُه
واللهُ يعلـم منـه غيـرَ مـا علمـوا

ونراه يُعيد الإيماء إلى مظهر من مظاهر ضعفه وشيخوخته وهرمه بتقوُّس ظهره، ذاهبًا إلى أنّ الدهر قد أتى على صحّته بالضعف والهزال، مُتّخذًا من انحناء ظهر الكاتب

(١) ينظر في تسجيل هذه الرؤية النقدية:
العمدة في صناعة الشعر ونقده: ابن رشيق، ٧٥٧/٢، وآل وهب من الأسر الأدبية في العصر العباسي: يونس السامرائيّ: ١١٣، والشعراء الكتّاب في العراق في القرن الثالث الهجري، ٤٦٩-٤٧١، وأحمد بن أبي طاهر وشعره: هلال ناجي، ضمن: (أربعة شعراء عباسيون)، ٢٦٣، تاريخ الأدب العربي العصر العباسيّ الأول: شوقي ضيف، ١٩٣، وفي أدب أحمد بن يوسف الكاتب والشاعر: محمد يونس عبد العال: ١٩٠-١٩١، وشعر آل أبي أميّة الكاتب: عبد المجيد الإسداويّ ٧٦-٨٩، وشعر أحمد بن يوسف الكاتب: عبد المجيد الإسداويّ: ٦٤-٧٧، وشعر الموسوسين في العصر العباسيّ: عبد المجيد الإسداويّ: ٢١٨-٢٢٦، وشعر اليوسفيين: عبد المجيد الإسداويّ: ٨٠-٨٧.

(٢) مجموع شعره، النصّ التاسع.

عند مزاولة الكتابة والخطابة أداةً يجسد بها جانبًا من معاناته قائلًا[١]:

حنـى الدهـرُ مـن بعـد اسـتقامته ظهـري
وأفضـى إلـى ضحضـاح غايتـه عُمـري

وفي تعريضه برسول الموفّق بالله إلى نديمه أحمد بن عبد العزيز العجليّ، وسخريته من أمره، يطالعنا بالحديث عن كُلٍّ من: أداء الرسالة، وإيصال الكتُب والجواب، والخطاب، والمرسل، إضافةً إلى الاطّراح والأمر المعضل، والبعث، والعلم، وما يتصل به بقوله[٢]:

أدّى رسـالته وأوصـل كُتْبـه
وأتـى بأمـرٍ –لا أبـا لك– مُعْضـلِ
قـال: اطَّـرِحْ ملـك اصبهـان وعزّهـا
وابعـثْ بعسـكرك الخميـسِ الجحفـلِ

وفي رؤيته الفنية لممدوحه راح الشاعر يصوّر ركنًا من العلم راسخًا، ذا نظرٍ ثاقب، وبصيرة نافذة، يدرك جيّدًا أوائل ما يعنُّ له وأواخرُه، لا يُخطئُ جادّةَ المنطق، ولا يحيد عن الصواب، كأنّه رسولٌ معصومٌ يتنزّل عليه الوحيُ بالكتاب تباعًا، مُتخذًا من مجاليْ الرؤية بدءًا ونهاية، ورسوخ العلم، وعدم الميل أو الحيْد عن الطريق المستقيم، إضافةً إلى (إطراق الحيّة) الذي يشبه إطراق الكاتب أحيانًا، وحطّ الأعصم الوعل الذي ينزع من حطّ القلم ونحوه في الدواة بين فينةٍ وأُخرى دلالاتٍ ناطقةً بانبثاقه عن إطار الكتابة، ودواوينها الزاخرة بالكُتّاب، وأدواتهم قائلًا[٣]:

يـرى مآخيـر مـا يبـدو أوائلـه
حتـى كأن عليـه الوحـيَ قـد نـزلا
رُكـنٌ مِـنَ العلـم لا يهفـو لمُحفِظـةٍ
ولا يحيـدُ وإن أبرمْتَـهُ جَـدَلاَ

(١) مجموع شعره، النصّ الرابع.
(٢) مجموع شعره، النصّ الخامس.
(٣) مجموع شعره، النصّ السابع.

بـــل يُخـــرج الحيـــةَ الصمّـــاءَ مُطرقـــةً
مـــن جُحرهـــا ويحُـــطُّ الأعصـــم الوعـــلا

ونراه في (نونيته المحبّرة)، التي خصّصها لمدح الإمام عليٍّ عليه السلام يُكثر من الكلمات والجُمل والإيماءات، والإيحاءات المرتبطة صراحةً أو ضمنًا بالكتابة ومضامينها وغاياتها، وأحوال القائم بها (ثرّ إنسان العين، عبرى اللحاظ، سقيم الأجفان) بسبب طُول معاناته ومُداومة عمله، في حين يبدو الممدوح الكريم بنائله العظيم المتجدّد على كلّ من طلب ودّه، ونهج سبيله على مرّ العصور بحرًا زاخرًا بالفضل والنعمة والسؤدد، تتلاطم حافّتاه بالخير والمعروف، مُتخذًا من الإشارة إلى كلٍّ من غزارة الحبر- مادة الكتابة الأُولى - وتدفّقها بالعلم والهدى اللذين يسقيان موات الدين بعد الجدوب، وطول التيبُّس، إضافةً إلى كأس المنية الملأى بالسُّم الزُعاف الذي يفتك بخُصومه من الفرسان والأبطال الصناديد، بقوله[1]:

مـــا بـــالُ عينِـــكَ ثـــرّةَ الإنســـان
عبـــرَى اللحـــاظِ ســـقيمةَ الأجفـــانِ
بحـــرٌ تَلَاطَـــمُ حافتـــاه بنائـــلٍ
فيـــه القريـــبُ ومَـــنْ نـــأى ســـيانِ
وسـقى مـواتَ الديـن مـن صَـوْب الهُـدى
بعـــد الجُـــدُوب فَقَـــرْن فـــي العمـــرانِ
يســـقي مُماصعَـــهُ بـــكأس منيـــةٍ
شِـــيبَتْ بطعـــم الصَّـــاب والخُطبـــانِ

وفي إشارته إلى إحدى مناقب الإمام عليه السلام نراه يتخذ من كلٍّ من (الوحي وإملائه، والكتابة، وما يعتري القائم بها من رعدة عند ممارستها)، إضافةً إلى كلٍّ من (وعي المسامع، وحلاوة الألفاظ، وسحرها الفتّان، والرؤية الجلية ومجالاتها) دلالاتٍ ناطقة، تنبثقُ عن الكتابة ومحرابها معالمَ بيّناتٍ لسرد أحداثِ تواصُل الأمين جبريل عليه السلام والإمام

(١) مجموع شعره، النصّ الثاني عشر.

عليٍّ عليه السلام ذات يومٍ بحضرة المصطفى (صلوات الله وسلامه عليه) قائلًا[1]:

أمَّـــنْ عليـــه الوحـــيُ أملـــى واثقًـــا
جبريـــلُ وهـــو إليـــه ذُو اطمئنـــان
إذ قـــال أحمـــدُ: يـــا علـــيُّ، اكتُـــبْ ولا
تُلمِـــحْ، وذاكَ بـــهِ الأميـــنُ أتانـــي !!
وخـــلا خليـــلُ خليلـــهِ بخليلـــه
ويـــداه عنـــد الوحـــي تكتنفـــانِ!!
ووعـــتْ مســـامعُه حـــلاوةَ لفظِـــهِ
ورآه رؤيـــة غيـــر مـــا رُؤيـــانِ!!!

.....

ونحو هذا وسابقه في شعره كثير، وفيما أسلفناه كفاية في بلوغ المراد، وتبقى الكلمةُ الفاصلةُ في هذا الشأن وغيره مرتبطةً بوقوفنا على صفحاتٍ مطويّةٍ من شعره، وهو ما نرجوه في المستقبل القريب، إن شاء الله.

(١) مجموع شعره، النصّ نفسه.

مجموع شعره

(١)

أولًا: الباء

أ- قال يصف جانبًا من شجاعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم (خيبر) وغيره:

(الكامل)

١-مَـــنْ قَاتَـــلَ الجـــنَّ الطُغـــاة فأسَـــلمُوا
فـــي البئـــر كرْهًـــا يـــا أُولـــي الألبـــابِ
٢-مَـــنْ هَزَّ(خيبـــرَ) هـــزَّةً فتَسَـــاقَطَتْ
أبراجُهـــا لمَّـــا دَحَـــا بِالبـــابِ ؟!!

(❖) المفردات والتعليقات:

١- الألباب: العقول الراجحة السليمة، وأُولو الألباب: أهل الإدراك والتمييز.

- ويقصد الشاعر بقوله: (..قاتل الجنَّ..) ما ورد في بعض الروايات من قتال الإمام عليٍّ عليه السلام الجنَّ في البئر، وزجره إيّاهم بالقرآن الكريم، وتخويفه إيّاهم بأسماء الله الحسنى؛ حتى سحقهم. (يُنظر-مثلًا- غزوات الإمام عليّ بن أبي طالب: جعفر النقديّ: ١٨/٢).

٢- الأبراج: الحصون، والأبنية العظيمة

- دحا: دفع.

- ويقصد الشاعر بهذا البيت ما رواه كلٌّ من ابن هشام (ت٢١٣هـ)، و أبي نعيم الأصفهانيّ (ت ٤٣٠هـ)، والبيهقيّ (ت ٤٥٨هـ)، والهيتميّ المكيّ (ت ٩٧٤ هـ) من معالم بطولة الإمام عليه السلام في ذلك اليوم، «إذ دنا من حصن (خيبر)، فخرج إليه أهله، فقاتلهم، فضربه رجل من اليهود، فطرح ترسه من يده، فتناول

عليٌّ بابًا عند الحصن، فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يُقاتل؛ حتَّى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده، حين فرغ».

- وقال أبو رافع مولى رسول اللهﷺ: «فلقد رأيتُني في نفر سبعة معي أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه».
- ورُوي عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ رضي الله عنه (ت ١٨هـ): «إنّ أربعين رجلًا لم يستطيعوا أن يحملوا هذا الباب».
- وفي روايةٍ أخرى: «إنّ سبعين رجلًا لم يتمكّنوا من حمل هذا الباب، فأعادوه إلى مكانه بعد أن أجهدهم...»: (السيرة النبوية، ٤٦٧/٣، وحلية الأولياء، ٦٢/١ -٦٣، ودلائل النبوة، ٢١٢/٤، والصواعق المحرقة، ٨٦، وأيام العرب في الإسلام، ٧٢- ٧٥)، وينظر أيضًا: (صحيح ابن حبان ١٢٠٠ – ١٢٠١، الأحاديث: (٦٨٩٣– ٦٨٩٥)، وصحيح البخاريّ، ٢٦٨/٢، (مناقب عليّ) الحديثان رقما:(٣٤٢٥– ٣٤٢٦)، وصحيح مسلم، ١٨٧١/٤ – ١٨٧٢، الحديثان رقما: (٢٤٠٥ – ٢٤٠٦)، وغيرها).

(❖) التخريج:

- مناقب آل أبي طالب، ١٠٣/٢.

(٢)

ب–وقال يصف بقرةً:

(المنسرح)

١- يـــا حبّـــذا مخْضُهـــا ورائبُهـــا
وحبّـــذا فـــي الرّجَـــال صاحبُهـــا
٢- عَجُولـــةٌ سَـــمْحةٌ مُبَاركـــةٌ
ميمُونـــةٌ طُفَّـــحٌ محالبُهـــا
٣- تُقبـــلُ للحَلْـــبِ كُلَّمـــا دُعِيَـــتْ
ورامهـــا للحِـــلاَب حالبُهـــا

٤- فَتِيَّـــــةٌ سِـــــنُّها مُهَذَّبَـــــةٌ
مُعنَّـــــفٌ فـــــي النـــــدى عائبُهـــا

٥-كأنّهـــــا لُعبـــــةٌ مُزيَّنـــــةٌ
يطيـــــرُ عُجْبًـــــا بهـــا مُلاعبُهـــا!!

٦- كأن ألبانهـــا جَنـــى عَسَـــلٍ
يلذُّهـــا فـــي الإنـــاء شـــاربُها !!

٧- عـــروسُ باقُـــورةٍ إذا بَـــرَزَتْ
مـــن بيـــن أحبالهـــا ترائبُهـــا

٨- كأنّهـــا هَضْبَـــةٌ إذا انتســـبتْ
أو بَكْـــرةٌ قـــد أنـــافَ غاربُهـــا !!

٩- تُزهَـــى بروقيْـــن كاللُّجيْـــن إذا
مَسّـــهما بالبَنَـــان طالبُهـــا

١٠- لـــو أنّهـــا مُهـــرةٌ لمـــا عدِمـــتْ
مِـــنْ أنْ يُضـــمَّ الســـرورَ راكِبُهـــا !!

(❖) الروايات:

١-في نهاية الأرب:

- يا حبّذا محْضها... (بالحاء المهملة)

٥- فيه: (... تطير بها عُجبًا...)

(❖) المفردات:

١- المخض: استخراج الزبد من اللبن.

- المحض: اللبن الخالص، بلا رغوة.
- الرائب: اللبن الخاثر الفاتر.

٢- العَجُولة: أنثى العجول، وهي ولد البقرة.

- السمح: الجواد المعطاء، والليّن غير المستصعب.
- الميمون: المبارك الطيّب.
- الطُفَّح: الملأى حتَّى الفيضان..
- المحالب: الأثداء فهي طافحة بالحليب.

٣- رام: طلب، ورجا، وأمَّل.

٤- المُعنَّف: المُلام، والمُعاتَبُ بشدّة.

- النديُّ: مكان اجتماع القوم، ومجالسهم.

٥- العُجْبُ: الزهو، والكبْر.

٦- الجَنَى: ما يُجنَى من العسل.

٧- الباقورة والباقور: جماعة البقر.

- الترائب: جمع (التريبة)، وهي العَظْمة من الصدر، وتُطلق على أعلى الصدر بعامّة، وتريبةُ البقرة: منحرُها.

٨- الهضبة: الجبل المنبسط على وجه الأرض، أو ما ارتفع من الأرض. ويقصد بها -هنا- الكثيرة اللبن.

- البكرة: البقرة الفتيّة العذراء.
- وأناف: ارتفع، وأشرف.
- والغارب: الكاهل، أو ما بين الظهر أو السنام والعُنق.

٩- تُزهَى: تختال كِبْرًا وإعجابًا.

- الرَّوْق: القرن.
- اللُجين: الفضة.
- البنان: الإصبع، أو العقدة العليا منه.

١٠- المُهرة: أُنثى الفرس، وأول ما ينتج من الخيول وغيرها.

(❖) التخريج:

مباهج الفكر ومناهج العبر، ٣٣٧ – ٣٣٨، ونهاية الأرب في فنون الأدب، ١٢٢/١٠ – ١٢٣. وعوائد الأيام، ٨٤٤، والغدير في الكتاب والسنة والأدب، ٣٥١/٤ – ٣٥٢.

(٣)

جـ–وقال يمدح أحمد بن عبد العزيز العجليّ[١]:

(الطويل)

١–إذا مـــا جنـــى الجانـــي عليـــه جنايـــةً
عفـــا كرمًـــا عـــن ذنبـــه لا تهيُّبـــا

٢–ويُوســـعه رفقًـــا يـــكادُ لبســـطِهِ
يـــودّ بـــريءُ القـــوم لـــو كان مُذنبـــا!!

(❖) المفردات:

١- الجاني: المُذنب. والجناية: الذنب والجُرم الكبير.

- التهيُّب: الخوف، والخشية، والتحرُّج، والحياء.

٢- أوسع: أكثر.

- الرفق: لينُ الجانب، ولُطف المعاملة.
- والبسط: تهلُّل الوجه، والمُفاكَهَة، و المداعبة.

(❖)التخريج:

- معجم الأدباء، ٧٣/٤-٧٤.

(١) أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَفٍ العجْليُّ: أميرٌ من بيت مجدٍ ورياسةٍ، كان من الولاة في أيام المُعتمد على الله (ت ٢٧٩ هـ)، والمُعتضد بالله (ت ٢٨٩ هـ) العباسِيَّين، تُوفّي سنة (٢٨٠هـ): (الأعلام، ١٥١/١).

(٤)

ثانيًا: الراء:

أ-وقال يصفُ جانبًا من شيخوخته وهرمه بعد أنْ أتت عليه مئةُ سنةٍ:

(الطويل)

١- حنَـى الدهـرُ مِـنْ بعـد اسـتقامته ظهري
وأفضـى إلـى ضَحْضَـاحِ غايتـه عُمـري
٢- ودبَّ البِلَـى فـي كلِّ عُضـوٍ ومِفْصَـلٍ
ومَـن ذا الـذي يبقى سـليمًا علـى الدهر؟!!

(❖)الروايات:

١-رواية البيت الأول في (الطليعة):

- حنى الضر... وأقضى إلى ضحضاح عيشته..

(❖) المفردات:

١- أفضى: أوصل، وأقضى: أوفى.

- والضحضاح: الماء القريب القعر، ويقصد به: أنّ غاية عُمره أشبه بالضحضاح، قريب النهاية.

٢- دبَّ: سرى وتحرّك.

- البِلى: الفناء، والموت، والهلاك.

(❖) التخريج:

- معجم الأدباء، ٧٥/٤-٧٦، والوافي بالوفيات، ٢٥٤/٧، وبغية الوعاة، ٣٣٧/١، وأعيان الشيعة، ٦٩/٩، والغدير، ٣٥١/٤، وعوائد الأيام، ٢٥، والطليعة من شعراء الشيعة، ١٠٥/١.

(٥)

ثالثًا: الغين:

أ- وقال في المَطْل وآثاره السيّئة

(الطويل)

١- إذا شـــئتَ أن تُبْلـــي امـــرأً بِبَلِيَّـــةٍ
وتحرمَـــهُ سَـــيْبَ العطايـــا الســـوابغِ
٢-فَعِـــدْهُ وماطِلْـــهُ فإنـــكَ بالـــغٌ
بـــه فـــي الأذَى والضُّـــرّ أقْصَـــى المبالـــغِ!!

(❖) المفردات:

١-أبلى: أصاب، وفجع.

- والسّيب: العطاء، والمعروف، والفضل.
- والسوابغ: الوفيرة.

٢- المبالغ: الدرجات.

(❖) التخريج:

- محاضرات الأدباء، ٤١٠/٢.

(٦)

رابعاً: اللام:

أ-قال يهجو الموفّق[١] لمّا أنفذ الأصبغَ[٢] رسولًا إلى أحمد بن عبد العزيز العجليّ يأمره بإنفاذ قطعة من جيشه:

(الكامل)

١- أدّى رسـالتهُ وأوصـل كُتْبـه
وأتـى بأمـرٍ – لا أبـا لـكَ – مُعْضِـلِ!!

٢- قـال: اطَّـرِحْ مُلْـكَ (اصْبهـان) وعزَّهـا
وابعـثْ بعسـكركَ الخميـس الجحفَـلِ!!

٣- فعلمـتُ أن جوابَـه وخِطابَـه
عـضُّ الرسُـول ب... أمّ المرسِـلِ!!

(❖)المفردات:

١- قوله: لا أبا لك: شتمٌ موجعٌ، ودُعاء على المخاطب بفقد والده.

- الأمر المُعضل: الشديد الصعب، القبيح.

٢- اطَّرِحَ: ترك، ورمى، وتجنَّب، وتخلَّى.

- العسكر الخميس: الجيش العظيم؛ لأنّه خمس فِرقٍ، وهي: المقدّمةُ، والقلْبُ،

(١) الموفَّق: هو أبو أحمد طلحة الموفَّق بالله بن جعفر المتوكِّل على الله ابن المعتصِم بالله العباسيّ، أمير من رجال السياسة والإدارة والحزم، لم يلِ الخلافة اسمًا، ولكنه تولّاها فعلًا، وُلد ومات في (بغداد)، ابتدأت حياتُه العمليةُ بتولية أخيه المعتمد على الله الخلافة سنة (٢٥٦هـ)، وآلت إليه ولايةُ العهد، وظهر ضعفُ المعتمد عن القيام بأعباء الخلافة، فنهض بها الموفَّقُ، وصدَّ عنه غارات الطامعين بالمُلك، ثم حجر عليه، وعُرِفَ الموفَّقُ بأنّه كان شجاعًا، عالمًا بالأدب والأنساب والقضاء، حتَّى تُوفّي سنة (٢٧٨ هـ): (الأعلام، ٢٢٩/٣).

(٢) الأصبغ: قائد، أو وزير، لم تتيسّر لي معرفتُه، والظاهرُ أنه كان أحدَ عُمَّال الموفّق، أو قادة جيوشه.

والميمنةُ، والميسرةُ، والساقة.

- الجحفل: الجيش الكثير، ولا يكون كذلك حتى يكون فيه خيل.

(❖) التخريج:

- معجم الأدباء، ٧٦/٤ -٧٧، وأعيان الشيعة، ٦٩/٩.

(٧)

ب- وقال، يمدح أحمد بن عبد العزيز العجليّ:

(البسيط)

١- يـــرى مآخيـــرَ مـــا يبـــدُو أوائلُـــه
حتـــى كأنَّ عليـــه الوحـــيَ قـــد نَـــزَلا..!!

٢- رُكـــنٌ مِـــنَ العِلْـــمِ لا يهفُـــو لمُحفِظـــةٍ
ولا يحيـــدُ وإنْ أبرمْتَـــهُ جَـــدَلا

٣- إذا مضَـــى العَـــزْمُ لـــم ينكـــثْ عزيمتَـــه
ريـــبٌ ولا خيـــفَ منـــه نقـــضُ مـــا فَتَـــلا

٤- بـــل يُخـــرِجُ الحيَّـــةَ الصَّمـــاءَ مُطرِقـــةً
مـــن جُحْرِهـــا ويحُـــطُّ الأعصَـــمَ الوَعِـــلا

(❖)المفردات:

١- المآخير: ضدُّ المقدّماتِ والأوائلِ، ويراد بها العواقبُ والأواخرُ.

- يبدو: يظهر، ويتّضح. وهو هنا يصف ممدوحه برجاحة العقل، وبُعْد النظر.

٢- هفا: سارع.

- المُحفِظةُ: المُغضِبة، المُغيظة.

- حاد: مال، وعدل، وانحرف.

- وأبرم: أحكم العقد ونحوه.

- جدل: المراد هنا أنّه لا يحيد وإن أبرمته جدلاً، أي أضجره وألحّ عليه في

الجدال قاصداً إفحامه.

٣- العزم: النيّة، وعقد الضمير، والجد.

- ونكث: نقض، ونبذ، وأضعف، وصرف.
- والريب: الشكّ، والتُهمة، والظنّة.
- فَتَل: عقد، وأحكم، وأوثق، فهو يصف ممدوحه بقوّة الإرادة، وشدّة الحزم، وعدم التردّد، أو التوجّس.

٤- الحيّة الصّماء: الداهية الشديدة، الصلبة كثيرة الأخطار.

- المُطرِقُ: المُرْخِي عينيه، ينظر إلى الأرض في شُرودٍ وضعف وذُهول.
- حطّ: أسقط.
- الأعصم: المنيع القويّ.
- الوعل: تيس الجبل، يكون له قرنانِ مُنحنيانِ، وهنا يصفُ ممدوحه بالشجاعة.

(❖)التخريج:

- معجم الأدباء، ٧٣/٤، وأعيان الشيعة، ٦٨/٩-٦٩.

(٨)

جـ- وقال مُتدبّراً:

(مجزوء الكامل)

١- يـــــــا واثقًـــــــا بزمانِـــــــهِ
أَخْطِـــــــرْ تَصَرُّفَـــــــهُ ببالِـــــــكْ!!

(❖)المفردات:

١- خطر: جال، وسرى.

- وتصرُّف الزمان: تقلّباته بالمصائب، والبلايا والمحن.

(❖) التخريج:

محاضرات الأدباء، ٦٣/٤.

(٩)

خامساً: الميم:

أ- وقال بعد تجاوزه الثامنة والتسعين من عمره، يلخّص ثمرة تجاربه في الحياة:

(البسيط)

١- دنيا مغبَّةُ مَنْ أثرَى بها عَدَمُ
ولذّةٌ تنقضي مِنْ بعدها نَدَمُ!!

٢- وفي المَنُونِ لأهلِ اللُّبِّ مُعتَبَرٌ
وفي تَزَوُّدِهِمْ منها التُقى غَنَمُ!!

٣- والمرءُ يسعَى لِفَضلِ الرزقِ مُجتهدًا
وما لهُ غيرُ ما قد خطَّه القَلَمُ!!

٤- كمْ خاشعٍ في عيُونِ الناسِ مَنظرُه
واللهُ يعلمُ منهُ غيرَ ما عَلِمُوا!!

(❖) المفردات:

١- المغبَّةُ: العاقبة، والغاية.

- أثرى: كَثُر مالُه، وعددُه، واغتنى.
- العَدَمُ: الفُقدان، والافتقار.

٢- المَنُونُ: المصائبُ المُهلِكةُ، والمِحنُ المُفجِعَةُ.

- اللُّبُّ: العقل المُدْرِك، والقلب السليم.
- المُعتبرَ: العِظة، والعبرة.
- الغَنَمُ: الربح، والمكسب، أصلُها بالنون المتوسطة الساكنة التي حرّكها الشاعر؛ لضرورتي الوزن والقافية.

٣- فضل الرزق: زيادتُه، ونماؤُه.

٤- الخاشع: المُتذلِّل المسكينُ، ومراد الشاعر في البيت أنّه يُظهِرُ التقوى وهو علَى عكسِ ذلك.

(❖) التخريج:

- معجم الأدباء، ٧٥/٤، والوافي بالوفيات، ٢٥٤/٧، وبغية الوعاة، ٣٣٦/١، وأعيان الشيعة، ٦٩/٩، وعوائد الأيام، ٢٥، والغدير، ٣٥١/٣، و(١-٢) في الطليعة من شعراء الشيعة، ١٠٧/١.

(١٠)

ب-وقال يكشف عن جانبٍ من رأيه في شأن الغناء والمغنِّين:

(الكامل)

١- حُكمُ الغناءِ تسمُّعٌ ومُدَامُ
ما للغناءِ مع (الحديث) نظامُ
٢- لو أنني قاضٍ قضيتُ قضيةً
إنَّ (الحديثَ) مَعَ الغناءِ حَرَامُ!!

(❖)المفردات:

١- التسمُّع: الإصغاء، وتناقل المسموع، وإذاعته، والطرب له.

- المُدام: الخمر ونحوها؛ ممّا يُذهبُ العقلَ، ويُعطّل الذهنَ، ويُخدِّر الجسمَ.
- والنِدَام: التحسُّر والتندُّم (في الراواية الثانية للبيت).
- الحديث المقصود – هنا- هو: علوم الدين بعامّة، وطلب السنّة النبوية درايةً بخاصّة.

(❖)التخريج:

- معجم الأدباء، ٧٤/٤، والوافي بالوفيات، ٢٥٤/٧، محاضرات الأدباء، ٦٣/٤. محاضرات الأدباء، ٧٢٠/٢.

(❖) الروايات:

١- رواية الأول في محاضرات الأدباء:

حُكـــمُ الغنـــاء تسَـــمُّعٌ ونِـــدَامُ
مـــا للحديـــثِ مـــع الغنـــاءِ نظـــامُ

٢- والثاني فيه: لو كان لي أمرُ قضَيتُ قضيّةً...

(١١)

جـ- وقال يمدح أحمد بن عبد العزيز العجليّ:

(الطويل)

١- إذا مـــا جَنَـــى الجانـــي عليـــهِ جِنايـــةً
عَفَـــا كرمًـــا عـــن ذنبِـــه لا تكرُّمـــا
٢- ويُوسِـــعُه رفقًـــا يَـــكادُ لبســـطِهِ
يـــودُّ بـــريءُ القـــوم لـــو كان مُجرمَـــا!!

(❖)المفردات:

١- التكرُّم: التفضُّل، وسعة العطاء بتكلُّف.

٢- المُجرِم: الجاني، المُقترِف الذنوب والآثام.

(❖) التخريج:

- الوافي بالوفيات، ٢٥٣/٧، وبغية الوعاة، ٣٣٦/١، وأعيان الشيعة، ٦٩/٩، والطليعة، ١٠٦/١ -١٠٧، والكنى والألقاب، ٢١٢/١، ومحاضرات الأدباء، ٧٢٠/٢، وعقّب عليهما الصفديّ (ت ٧٦٤ هـ) بقوله:

هما من قول الأول:

مـــا زلـــتَ فـــي البـــذلِ والنـــوالِ وإطـــلا
قِ لِعَـــــانٍ بجُرمـــــــهِ عَلِـــــــقِ

حتّـــــى تَمَنَّـــــى البُـــــراةُ أنّهُـــمُ
عنـــدك أضْحَـــوْا فـــي القـــدِّ والحَلَـــقِ!!

(١٢)

سادساً: النون:

أ-وقال في المنظومة المسمّاة (الألفية)، و(المحبّرة)، يمدح الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام مستهلًّا:

(الكامل)

١- مـــا بـــالُ عينِـــكَ ثـــرَّةَ الإنســـانِ
عَبْـــرَى اللِّحـــاظِ سَـــقِيمةَ الأجفـــانِ؟

ومنها قوله:

٢- نُـــورٌ تُضِـــيءُ بـــه البـــلادُ، وجُنَّـــةٌ
للخائفيـــــن وعِصْمـــــةُ اللَّهْفـــــانِ

٣- بَحْـــرٌ تَلاطَـــمَ حافتـــاهُ بنائـــلٍ
فيـــه القريـــبُ ومَـــنْ نـــأى ســـيَّانِ

٤- خَتْـــنُ النبـــيِّ وعمّـــهِ، أكَـــرِمْ بـــهِ
ختنًـــا وصِنْـــوُ أبيـــهِ فـــي الصنـــوانِ!!

٥- أحيـــا بـــه سُـــنَنَ النبـــيِّ وعدلَـــهُ
فأقـــــام دارَ شَـــــرائعِ الإيمـــــانِ

٦- وسـقَى مَـوَاتَ الدينِ مِنْ صَـوْبِ الهُدَى
بعـــدَ الجُـــدُوبِ فقـــرْنَ فـــي العُمـــرانِ

٧- وتفرَّجـــتْ كُـــرَبُ النفـــوسِ بذكْـــرِهِ
لمّـــا اســـتفاضَ وأشـــرَقَ الحَرَمـــانِ

٨- صلَّـــى الإلـــهُ علـــى ابـــنِ عَـــمِّ مُحمّـــدٍ
منـــــهُ صـــــلاةَ تغمُّـــــدٍ بِجنَـــــانِ

٩- وبـــه تنـــزّل: إنّ (أُذْنـــي) وحيُـــهُ
للْعلْـــم (واعيـــةٌ) فَمَـــنْ سَـــاَواني ؟!

١٠- ولَـــهُ إذا ذُكِـــرَ الفَخَـــارُ فضيلـــةٌ
بلغـــتْ مـــدَى الغايـــاتِ باســـتيقانِ

١١- إذ قـــال (أحمـــدُ): إنَّ خَاصِـــفَ نعلِـــهِ
لَمُقاتـــــلٌ بتـــــأوُّل القـــــرآنِ

١٢- قومـــاً كمـــا قاتلـــتُ عـــن تنزيلـــهِ
فـــإذا (الوصـــيُّ) بكفِّـــه نعـــلانِ

١٣- هـــل بعـــدَ ذاكَ عَلَـــى الرشـــاد دلالـــةٌ
مَـــنْ قائـــلٍ بِخلافـــه ومُعَانـــي؟!

١٤- ولـــه يقـــولُ (مُحمّـــدٌ): أقضاكُـــمُ
هـــذا وأعلمُكـــم لـــذِي التِّبيـــانِ

١٥- (إنّـــي مدينـــةُ علمِكُـــم) وأخـــي لهـــا
بـــابٌ وثيـــقُ الركـــنِ مصْرَاعـــانِ

١٦- فَأْتـــوا بُيُـــوتَ العِلـــمِ مـــن أبوابهـــا
فالبيـــتُ لا يُؤتـــى مِـــنَ الحِيطَـــانِ

١٧- لـــولا مخافـــةُ مُفتـــرٍ مِـــن أمّتـــي
مـــا فـــي (ابـــن مريـــم) يفتـــري النصْرانـــي

١٨- أظهـــرتُ فيـــكَ مناقبًـــا فـــي فَضْلِهـــا
قلـــبُ الأديـــب يظـــلُّ كالحَيْـــرانِ

١٩- وتســـارَعَ الأقـــوامُ منـــكَ لأخـــذِ مـــا
وَطِئَتْـــهُ منـــك مـــن الثّـــرى العقبـــانِ

٢٠- مُتبرّكيـــنَ بِـــذاك ترأمـــهُ لَهُـــم
شُـــمُّ المَعَاطِـــسِ أيَّمـــا رئْمَـــانِ

٢١- ولــهُ بـ(بــدْرٍ) إنْ ذكــرتَ بَــلاَءَهْ
يَــومٌ تَشــيبُ ذَوائــبُ الوِلْــدانِ

٢٢- كَـم مِـن كمـيّ حـلّ عُقـدة بأسِـهِ
فيــــه، وكانَ مُمنَّــــعَ الأَركــــانِ

٢٣- فــرأى بــه هَصْــرًا يُهــابُ جَنَابُــه
كالضَّيغــم المُستبسِــلِ الغَضْبَــانِ

٢٤- يَسْــقي مُمَاصِعَــهُ بــكأسٍ منيّــةٍ
شِــيْبَتْ بطعــمِ الصَّــابِ والخَطْبــانِ

٢٥- إذ مِــن ذَوي الرايــاتِ جَــدّل عُصْبَــةً
كانُــوا كأُسْــدِ الغــابِ مــن (خِفَّــان)؟!

٢٦- ولــه ب(أُحْــدٍ) بعــدَ مــا فــي وجهــه
شُــجَّ النبــيُّ وكُلِّــمَ الشَّــفتانِ

٢٧- وانفــضَّ عنــهُ المســلمُونَ وأَجفلُــوا
مُتطايريــنَ تطايُــرَ (الخَيفَــانِ)

٢٨- ونِداؤُهــم (قُتِــلَ النبــيُّ وربِّنــا
قُتِــلَ النبــيُّ فــكان غيــرَ مُعــانِ)!!

٢٩- ويقُــول قائِلُهُــم: (ألا يــا ليتنــا
نلنــا أمانًــا مــن أبــي سُــفيانِ)!!

٣٠- و(أبــو دُجانــة) و(الوصــيُّ) وصيُّــه
بالــرُوح (أحمــدَ) منهمــا يقِيــانِ

٣١- فــرُّوا ومــا فــرَّا هنــاكَ وأدبــرُوا
وهمــا بحبــل الله مُعْتصِمــانِ

٣٢- حتَّــى إذا ألــوَى هُنالــك مُثْخنًــا
يُغْشَــى عليــه أيّمــا غَشَــيَانِ

٣٣- و(أخُــو النبــيّ) مُطاعِــنٌ ومُضَــاربٌ
عنــهُ ومنــهُ قــد وَهــى العَضُــدَانِ

٣٤- يدعُــو: (أنــا القضــمُ القضاقِضَــةُ الذي
يُصْمِــي العــدوَّ إذا دنــا الزحفَــانِ)!!

٣٥- لا سَــيْفَ إلّا ذُو الفقَــارِ ولا فتَــى
إلَّا أبــو حَسَــنٍ فَتَــى الفِتيــانِ!!

٣٦- قــال النبــيُّ: أَمــا عَلمــتَ بأَنَّــهُ
مِنّــي ومنــه أنــا؟ وقــد أبلانــي ؟!!

٣٧- (جبريــلُ) قــال لَــهُ: (وإنّــي منكُمــا)!
فَمَضَــى بِفَضْــلِ خُلاصــةِ الخِــلَّانِ !!

٣٨- رَحَــل النبــيُّ إلــى (تبُــوكَ) وإنــهُ
لمُخلَّــفٌ عنــه بأمــرِ المانــي

٣٩- حــذرًا علــى أموالهــا وضِعَافِهــا
وكرائــم النُّسْــوانِ والصّبيــانِ

٤٠- مــن ماكريــنَ مُنافقيــن تخلَّفــوا
فثَنَــوْا إلــى أهليــهِ صــرْفَ عِنَــانِ

٤١- ولكاشــحيه عــداوةٌ فــي تَرْكِــهِ
خــوضٌ بــلا مــرضٍ ولا نســيانِ

٤٢- فَأَتَــى (النَّبــيَّ) مُبــادرًا وفــؤادُهُ
مُتخلِّــعٌ مــن لاعــجِ الرُّجفــانِ

٤٣-: "لِــمَ يــا (أميــنَ اللهِ) أنــتَ مُخلّفــي
عنهــا ولســتُ عــن الجهــادِ بوانــي؟!!

٤٤- أَوَ لَــمْ تِجدْنــي ذا بــلاءٍ فــي الوَغَــى
حَســنٍ بحيــثُ تناطَــحَ الكبشــانِ؟!

٤٥- قـال (النبـيُّ) لـه: (فَـداك أحبتـي!
لـم تُـؤْتَ مـن سـامٍ ولا اسـترزانِ

٤٦- بأبـي (أبـا حَسَـنٍ) ! أمـا ترضَـى بـأن
بُوِّئـتَ أكـرَمَ منـزلٍ ومـكانِ

٤٧- أصبحـتَ منّـي يـا (علـيّ) كمثـلِ مـا
(هـارون) أصبـحَ من(فتَـى عمـرانِ)!!

٤٨- إلَّا (النبـوّةُ) إنَّهـا مَحْظُـورةٌ
مـن أن تصيـرَ سَـواءَ فـي إنسـانِ!!

٤٩- ولـه إذا ذُكِرَ(الغَديـرُ) فضيلـةٌ
لـم ننْسَـها (مـا دامـتِ المَلَـوَانِ)!!

٥٠- قـام (النبـيُّ) لـه بشـرْح (ولايـةٍ)
نَـزَلَ (الكتـابُ) بهـا مـن الديَّـانِ

٥١- إذ قـال (بلِّـغْ مـا أُمـرْتَ بـهِ وثِـقْ
منـهُ بعصْمَـةِ كالـيءِ حَنَّـانِ)!!

٥٢- فدعـا: (الصـلاةُ جماعـةٌ) وأقامَـهُ
عَلَمًـا بفضْـل مقالـةٍ وبيَـانِ!!

٥٣- نـادى: «ألسـتُ وليّكـم»؟ قالُـوا: بلـى
حقًّـا! فقـال: فـذا الولـيُّ الثانـي!!

٥٤- فدعـا لـه ولمـنْ أجـابَ بنصـرِهِ
ودَعَـا الإلـهَ علـى ذَوِي الخُـذْلانِ

٥٥- نـادى ولـم يـكُ كاذِبًـا: بَـخٍّ (أبـا
حَسَـن) ربيـعَ الشـيْب والشُـبَّانِ!!

٥٦- أصبحـتَ مولَـى المؤمنيـنَ جماعـةً
مولـى إناثهـمُ مـع الذُّكْـرانِ!!

٥٧- لِمَــن الخلافــةُ والــوزارةُ هــل هُمــا
إلّا لَـــــهُ وعليـــــهِ يتفقـــــانِ؟!

٥٨- أَوَمَــا هُمــا فيمــا تَــلاهُ إلهُنــا
فـــي مُحكَـــمِ الآيـــاتِ مكتُوبـــانِ؟!

٥٩- أدلُــوا بحُجَّتِكُــم وقُولُــوا قَولَكُــم
ودَعُـــوا (حديـــثَ فُلانـــةٍ وفـــلانِ)!!

٦٠- هيهــاتَ ضــلَّ ضلالُكــم أن تهتــدُوا
أو تفهمُـــــوا لمُقطّـــــعِ السُّـــــلْطانِ!!

٦١- حتَّــى إذا صَدَعَــتْ حقائِــقُ أمــرِهِ
نَفَـــــرُوا نُفُـــــورَ طَرَائِـــدِ البُهْـــرانِ

٦٢- زعَمُــوا بــأنّ نبيَّنــا اتّبــعَ الهــوَى
وَأَتاهُـــــمُ بالإفْـــــكِ والعُـــــدْوانِ !!

٦٣- كَذبــوا وربِّ مُحمّــدٍ وتبدَّلُــوا
وجَــرَوْا إلــى عَمَــهٍ وضــدّ بَيــانِ

٦٤- وتجنَّبــوا وُلْــدَ النبــيّ وصيَّــرُوا
عَهْــدَ الخلافــةِ فــي يــدي خَــوَّانِ

٦٥- فَطَــوى مَحاسِــنَها وأوسَــعَ أهلَهــا
مَنْــعَ الحُقُــوقِ ووَاجِــبَ السَّــمْعانِ!!

٦٦- أَوَ تعلمُــونَ حديثَ(نَجْــمٍ إذْ هَــوَى)
فـــي داره مـــن دُون كلِّ مـــكانِ؟!

٦٧- قُالــوا: أشِــرْ نَحْــوَ النبــيِّ بنغمــةٍ
نســـمعْ لَـــهُ ونُطِعْـــهُ بالإذْعَـــانِ!!

٦٨- قــال النبــيُّ: ســتكفرُونَ انْ أَنتُــمُ
مِلْتُـــم عليـــهِ بخاتـــمِ العِصْيـــانِ

٦٩- وستعلمُون مَنِ المُرنّ بفضلِهِ
ومَن المشارُ إليهِ بالإرْنانِ!!

٧٠- قالُوا: أَبِنْهُ، فما نُخالفُ أمرَهُ
فيما يجيءُ بهِ من البُرهانِ!!

٧١- فإليهِ أَوْمِ، فقال: إنَّ علامةً
فيها الدليلُ على مُراد العاني

٧٢- فابغُوا (الثريّا) في السُطوح فإنّها
مِن سَطْحِ صاحبكم كلَمْعِ يَمَاني

٧٣- سَكنَتْ رواعدُه وقَلَّ وميضُهُ
فَتبيَّنَتْهُ حَسَائرُ العُوَرانِ

٧٤- فضلًا عن العينِ البصيرِ بقلبِه
والمبْصرِ الأشياءَ بالأعيانِ

٧٥- أَوَ يعلمُون وما البصيرُ كذِي العَمَى
تأويلَ آيةِ (قصّة الثُّعبان)؟!

٧٦- إذَ جاءَ وهوَ على مَرَاتِبِ منبرٍ
يَعِظُ العبادَ مباركَ العيدانِ

٧٧- فأَسَرَّ نَجواهُ إليه ولم يَرَوْا
مِن قبلُ ذاك مُناجيًا للجانِ

٧٨- سَأَلَ الحُكومةَ بينَ حزبَيْ قومه
عنهُ، ودانَ لِحُكمِهِ الجريانِ!!

٧٩- كـ(قضيّة الأفعى) التي في خُفِّه
كَمَنتْ ومنها تصرف النَّابَانِ!!

٨٠- رقشاءُ تُنفثُ بالسُمُوم ضئيلةٌ
صمّاءُ عاديةٌ لها قرْنانِ

٨١- تُدْعَى(الحُبَــابَ) ولــو تفَهَّــم أمــرَهُ
مَــنْ عابنــي بِهَــوَى الوَصِــيِّ شَــفَاني

٨٢- مــاذا دعــاهُ إلــى الولُــوج لحَيْنِــهِ
وضلالِــهِ فــي ذلــكَ الشــنحانِ ؟!

٨٣- لمّــا يُتمِّــمَ لبسَــه أهــوَى بــهِ
فــي الجَــوِّ مُنقــضٌّ مــن الغِرْبــانِ

٨٤- حتَّــى إذا ارتفعَــا بــه وتعلّيَــا
أهــواهُ مثــل مُكابــدٍ حَــرْدَانِ

٨٥- فهَــوى هَــويَّ الريــح بيــن فُرُوجِــهِ
مُتقطّعًــا قلقًــا علــى الصَــوَّانِ

٨٦- لا يهتــدُون لِمــا اهتــدَى الهــادي لَــه
ممّــا بــهِ الحَكَمَــان يشــتبهانِ

٨٧- فــي (رَجْــم جاريــةٍ) زَنَــتْ مُضطــرَّةً
خــوفَ المَمــاتِ بعلّــة العَطْشَــانِ

٨٨- إذْ قــال: رُدُّوهــا فــرُدَّتْ بعــدَ مــا
كادَتْ تحــلُّ عَســاكرُ المَوَتَــانِ!!

٨٩- وبرجْــمِ (أُخــرى والــدٍ) عــن ستّةٍ
فأتــى بقصّتِهــا مِــنَ القُــرآنِ

٩٠- إذ أقبلــتْ حَسْــرَى إليــه أُختُهــا
حَــذَرًا علــى حــرَّى الفُــؤادِ حَصَــانِ

٩١- وبرجْــم (أُخــرى مُثقِــلٍ) فــي بَطنِهــا
طِفــلٌ ســويُّ الخَلْــقِ أو طِفْــلانِ

٩٢- نُــودوا: ألا انتظــرُوا فــإن كانَــتْ زَنَــتْ
فجنينُهــا فــي البطــنِ ليــسَ بزانــي!!

٩٣- خَصْمـانِ مُؤتلِفـانِ مـا لـم يحْضُـرَا
بأسًـا وعنـد النـاسِ يختَلِفـانِ

٩٤- جهـرًا لباطـنِ بغيـهِ ولباطـنٍ
منهـا إلـى الصِّدِّيـقِ يَختصمـانِ!!

٩٥- لـم يجهَـلا حُكْـمَ القَضيّـةِ فِـي الـذي
جـاءا إلـى (الفَـارُوقِ) يَصطحِبَـانِ

٩٦- لكـن لـلازم حُجّـةٍ كانـا بهـا
ذَهَبـا علـى الأقـوامِ يتّخـذَانِ

٩٧- قـوْلًا بـه مَكَـرَا كَمَـا دَخَـلا علـى
(داودَ) قـالَا: لا تَخَـفْ خَصْمَـانِ!!

٩٨- فِـي قِصّـةِ المـلأ الذيـن نبيُّهـم
سـألُوا لَـه مُلـكًا أخـا أَرْكَان !!

٩٩- قـال النبـيُّ: فـإنّ ربّـي باعـثٌ
(طالُـوتَ) يقدُمُكـم أخـا أقـرانِ

١٠٠- قالُـوا: وكيـف يكُـونُ ذاك وليـسَ ذَا
سَـعَةٍ ونحـنُ أحـقُّ بالسُّـلطانِ؟!

١٠١- قـالَ: اصطفـاهُ عليكُـمُ بمزيـده
مـن بَسْـطةٍ فـي العِلـمِ والجُثمـانِ!!

١٠٢- واللهُ يُؤتـي مَـن يشـاءُ، ولـم يكُـن
مَـنْ نـالَ مِنـهُ كرامـةً بمُهـانِ

١٠٣- وكـذاك كان وصـيُّ (أحمـد) بعـدَه
متبسّـطًا فـي العِلـمِ والجُثمـانِ

١٠٤- لمّـا تولَّـى الأمـرَ شَـذَّ عِصابـةٌ
عنـهُ شُـذُوذَ نوافـرِ الثِّيـرانِ

١٠٥- بُكْمٌ، فلا همْ يَعقِلُون، ولا هُمُ
يتصفحُّون، عَمُونَ كَالصُّمانِ

١٠٦- قال النبيُّ: فإنَّ آيةَ مُلْكِهِ
إتيانُ تابُوتٍ لهُ ببيانِ

١٠٧- إتيانُ تابُوتٍ ستأتيكُم بهِ
أملاكُ ربّي أيّما إتيانِ

١٠٨- فيه سَكِينَةُ رَبِّكُمْ وبَقيّةٌ
يا قومُ ممّا وُرّثَ الآلانِ

١٠٩- هل أرضُ مسجدِه توطّأ منهُمُ
من بعدِ ذاك سواهمُا جنبانِ!

١١٠- إذ ذاك أذهبَ كلَّ (رجسٍ) عنهُمُ
ربّي، وطهَّرَهُم من الأدرانِ

١١١- أَ تُراكَ في شَكٍّ له مِنْ أنّهُ
للفضلِ خُصَّ بفتحهِ بابانِ؟!

١١٢- ولِمنْ يقُولُ سوى(عليّ): كلُّ مَن
آذى (أبا حسنٍ) فَقَدْ آذاني؟!

١١٣- حقًّا ومَن آذَى النبيَّ فإنّه
مُؤْذٍ لخالقي الذي أنشاني

١١٤- حقًّا ومَن آذى المليكَ فإنّهُ
في النارِ يرسُفُ أيَّما رَسَفَان!!

١١٥- إنّي وجبريلٌ وإنّكَ يا أخِي
يومَ الحساب وذُو الجلالِ يرانِي

١١٦- لَعلَى(الصراطِ)، فلا مَجَازَ لجائزٍ
إلّا لمَنْ مِنْ ذي الجلالِ أتانِي

١١٧- بـ(بـــراءةٍ) فيها(ولايتُـــك) التـــي
ينجـــو بهـــا مِـــنْ نـــارِهِ الثَّقـــلانِ!!

١١٨- هـــذا الـــذي دونَ الجِبلَّـــةِ نَصْـــرُهُ
بالنفـــسِ منـــهُ وَمـــا حـــواهُ وَقانـــي!!

١١٩- فضـــلُ الإلـــه أنـــا، ورحمـــةُ ربّكُـــم
هـــذا، وآفـــــةُ طاعـــــةِ الشـــيطانِ!!

١٢٠- وبألـــفِ ألـــفِ أيَكُـــم ناجَـــى أخِـــي
فيهـــنَّ دُونكُـــم أخـــي ناجانـــي!!

١٢١- ولـــكلِّ حَـــرْفٍ ألـــفُ بـــابٍ شـــرْحُهُ
عنـــدي بِفَضْـــلِ حُكُومـــةٍ وبيـــانِ

١٢٢- أمَّـــنْ ســـرَى معـــهُ ســـواهُ عندمَـــا
مَضَيَـــــا بعَـــــوْنِ الله يبتـــــدرَانِ؟!

١٢٣- نحـــو (البنيَّـــة) بيتـــهِ العَالـــي الـــذي
مـــا زال يُعـــرَف شـــامخ البُنيـــانِ

١٢٤- حتَّـــى إذا انتهَيـــا إليـــه بسُـــدفةٍ
وهُمـــا لمـــا قَصَـــدَا لـــه وَجِـــلانِ

١٢٥- وتفـــرَّق الكفّـــارُ عَـــن أركانـــهِ
وخَـــلا المقـــامُ وهـــوَّمَ الحَيَّـــانِ

١٢٦- أهـــوَى ليحملـــهُ قـــراه وصيُّـــه
فونَـــى سَـــوى ألـــفِ ونَـــى هَـــذانِ

١٢٧- إنَّ النبـــوةَ لـــمْ يكـــنْ لِيَقُلْهـــا
إلَّا نبـــــيٌّ أيِّـــــدُ النهضـــــانِ

١٢٨- فحنَـــى النبـــيُّ لـــه مَطَـــاهُ وقـــال: قُـــمْ
فاركَـــبْ ولا تـــكُ عنـــه بالخَشـــيْانِ

١٢٩- فَعَــلاه وهــوَ لــه مُطيــعٌ ســامعٌ
بأبــي المطيــعُ مــع المُطــاع الحانــي !!
١٣٠- ولــو أنَّــه منــه يــرُوم بَنَانَــهُ
نَجْمًــا لنــالَ مطالــعَ (الدبْــرَانِ) !!
١٣١- فتناولَ(الصنــمَ الكبيــرَ) فزَجَّــهُ
مــن فوقِــه ورمــاهُ بالكَــذَّانِ
١٣٢- حتــى تحطَّــم منكبــاهُ ورأسُــه
وَوَهــى القوائــمُ والتقــى الطَرفــان
١٣٣- ونحــا بصُــمٍّ جلامــدٍ (أوثانهــم)
فأبادهــا بالكَسْــرِ والإيهــانِ
١٣٤- وغــدا عليــه الكافــرونَ بحسْــرةٍ
وهــمُ بــلا صَنَــمٍ ولا أوثَــانِ!!
١٣٥- أمَّــنْ شَــرى لله مُهْجَــةَ نَفْسِــهِ
دُون النبــيِّ عليــه ذُو تُــكْلان؟!
١٣٦- هــل جــاد غيــرُ (أخيــه) ثــمَّ بنفســه
فــوق (الفــراشِ) يغُــطُّ كالنَّعســان؟!
١٣٧- أمَّــنْ على(المســكين) جــادَ بقُوتِــهِ
وعلــى (اليتيــمِ) مع(الأســيرِ) العانــي؟!
١٣٨- حتَّــى تــلا التالُــون فيهــا سُــورةً
عُنوانُهــا (هَــلَ تــى علــى الإنســانِ)!
١٣٩- أمَّــنْ طــوى يومينِ لــم يطعــمْ، ولــمْ
تطعَــمْ حليلتُــه، ولا (الحَســنانِ)
١٤٠- فَمَضَــى لزوجتــهِ ببعــضِ ثيابهــا
ليبيعــهُ فــي السُــوق كالعجْــلانِ

١٤١- يهـــوى ابتيـــاعَ جَـــرَادقٍ لعيالِـــهِ
مِـــنْ بيـــنِ ســـاغبةٍ ومـــن ســـغْبانِ

١٤٢- إذ جاء(مقـــدادٌ) يُخبِّـــرُ أنّـــه
مُـــذْ لـــم يـــذق أكلًا لـــهُ يومـــانِ

١٤٣- فهـوى إلـى ثمـنِ المثـالِ فصبَّـهُ
مـــن كـــفٍّ أبيـــضَ فِـــي يَـــدَي غَرْثـــانِ

١٤٤- فطـرا مـن الأعـرابِ سـائقُ ناقـةٍ
حســـــناءَ تاجـــــرةٍ لـــــه معســـــانِ

١٤٥- نادى: " ألا اشـترِهَا" فقال: "وكيف لي
بشِـــرا البعيـــر ومـــا معـــي فلســـانِ ؟!

١٤٦- قـــال الفتـــى: ابتعْهـــا فإنّـــي مُنظِـــرٌ
فيمـــــا بـــــه الكفّـــــانِ تَصطفِقـــــانِ؟!

١٤٧- فبـــدا لـــه رجُـــلٌ فقـــال: أَ بَائـــعٌ
منّـــي بعيـــرَك أنْـــتَ يـــا ربّانـــي؟!

١٤٨- أخْبِـرْ شِـرَاك أُهَـن ربَحـكَ قـال: ها
مِئـــــةٌ فقـــــال: فهاكَهـــــا مئتـــــانِ؟

١٤٩- وَأَتَـــى (النبـــيَّ) مُعجَّبًـــا فأهابـــه
وإليـــه قبـــلُ قـــد انتهَـــى الخبـــرانِ!!

١٥٠- نـــادى: أبـــا حَســـن أ أبـــدأُ بالـــذي
أقبلـــــتَ تُنبئنيـــــه؟! أم تُبْدَانِـــــي؟!

١٥١- قـــال الوصـــيُّ لـــه: فأنبأْنـــي بـــه
إنّـــي اتَّجَـــرْتُ فتـــاح لـــي ربحـــانِ

١٥٢- ربـــحٌ لآخرتـــي وربـــحٌ عاجـــلٌ
وكِلاهمـــا لـــي يـــا أخـــي فَخْـــرانِ!!

١٥٣- فأبثَّـه مـا فـي الضمِيـر وقـال: هـل
تـــدري- فـــداك أحبّتـــي- مَـــنْ ذانِ؟!
١٥٤- (جبريـلُ) صاحـبُ بيعِها والمُشـتري
(ميـــكالُ) طبـــتَ وأنجـــح الســـعيانِ!!
١٥٥- و(الناقـــةُ الكومـــاءُ) كانـــت ناقـــةً
ترعَـــى بـــدار الخُلْـــد فـــي (بطنـــانِ)!!
١٥٦- أ مَّـنْ عليـه (الوحـيُ) أملَـى واثقًـا
(جبريـــلُ) وهـــو إليـــهِ ذُو اطمئنـــانِ
١٥٧- إذ قـال (أحمـدُ): يـا علـيُّ اكتُبْ ولا
تلمـــحْ، وذاك بهِ(الأميـــنُ) أتانـــي!!
١٥٨- مـنْ ذِي الجـلالِ بـه فإنّـي عنكُمـا
مُتبـــرِّزٌ فـــي هـــذه الغيطـــانِ!!
١٥٩- وخَـــلا (خَليـــلُ خليلـــهِ) بخَليلـــهِ
ويـــداهُ عنـــدَ (الوحـــي) تكتنفـــانِ
١٦٠- ووعَـــتْ مَسـامعُه حَـلاَوَةَ لفظـهِ
ورآهُ رُؤيـــةَ غيـــرِ مـــا رُؤيـــانِ!!
١٦١- أ مَّـنْ له(فـي الطيـرِ) قـال نبيُّـه
قـــولًا يُنيـــرُ بشـــرحِهِ الأُفُقـــانِ
١٦٢-: يـا رَبِّ جـئْ بأحـبِّ خلقـك كُلِّهـم
شـخصًا إليـك وخيـر مَـنْ يغشـاني
١٦٣- كيمـا يُواكلَنِـي ويُؤنـسَ وحشـتِي
والشـــاهدانِ بقولـــه عَـــدْلانِ
١٦٤- فبَـدا (علـيٌّ) كالهزَبْـرِ وَوَجْهُـهُ
كالبـــدرِ يلمـــعُ أيَّمـــا لَمعـــانِ

١٦٥- فتـــواكَلَا واستأنســـا وتحدَّثـــا
بأبـــي وأُمّـــي ذلـــكَ الحَدثـــانِ!!

١٦٦- أ مَّـــن لـــه ضَرَبَ(النبـــيُّ) بحُبّـــه
مثـــل (ابـــنِ مريـــمَ) إنَّ ذاك لشَـــانِ

١٦٧- إذْ قـال: يهلكُ في هـواكَ وفي القِلى
لـــك يا(علـــيُّ) جلالـــةً جيـــلانِ!!

١٦٨- كعصابـــةٍ قالُـــوا: المســـيحُ إلهُنـــا
فـــردٌ، وليـــس لأُمّـــه مِـــنْ ثانـــي!!

١٦٩- وعصابـــةٍ قالُـــوا: كـــذوبٌ ســـاحرٌ
خَشـــيَ الوقـــوفَ بـــه علـــى بُهتـــانِ!!

١٧٠- فكـذاكَ فـردٌ ليس(عيسـى) كالـذي
جهـــلاً عليـــه تخـــرَّصَ القـــولانِ!!

١٧١- وكذا(علـــيٌّ) قـــد دعـــاهُ إلههَـــم
قـــومٌ فَأَحْرَقَهُـــمْ ولـــم يســـتانِ!!

١٧٢- وأبـــاه قـــومٌ آخـــرُون قِلًـــى لـــه
مِـــنْ بيـــن منتكِـــثٍ وذي خُـــذْلانِ

١٧٣- أم أيُّهـــم فَخَـــرَ الأنـــامَ بخصْلـــةٍ
طالَـــتْ طـــوال فُـــروع كلِّ عَنـــانِ؟!

١٧٤- مِـنْ بَعـدِ أنْ بعـثَ النبـيُّ إلـى (منىً)
بـ(بـــراءةٍ) مَـــنْ كـــان بالخـــوَّانِ!!

١٧٥- فيهـــا فأتبعَـــهُ (رسُـــولًا) ردَّهُ
تعـــدُو بـــه (القَصْـــواء) كالســـرْحَانِ

١٧٦- كانـت لوحـي مُنْـزَلٍ وافـى بـه (الـرْ
رُوحُ الأميـــنُ) فقـــصَّ عـــن تِبيـــانِ

١٧٧- إذ قـــال: لا عنّـــي يُـــؤدي حُجّتـــي
إلّا أنـــا أو لـــي نســـيبٌ دانـــي!!

١٧٨- أمَّـــنْ يقُـــول لـــه: ســـأُعطي رايتـــي
مَـــنْ لـــم يفـــرَّ ولـــم يكُـــنْ بجَبـــانِ

١٧٩- رجُـــلًا يُحِـــبُّ اللهَ وهْـــو يُحبُّـــهُ
قَرْمًـــا ينـــالُ السّـــبقَ يَـــوْمَ رِهـــانِ

١٨٠- وعلـــى يَدَيْـــهِ اللهُ يفتـــحُ بعـــد مـــا
وَافَـــى النبـــيَّ بردِّهـــا الرجُـــلانِ

١٨١- فدعـــا (عَلِيًّـــا) وهْـــوَ أرمـــدُ لا يـــرى
أَن تســـتمرَّ بمشْـــيةِ الرَّجْـــلانِ

١٨٢- فَهَـــوى إلـــى عينيـــه يتفُـــلُ فيهمـــا
وعليهمـــا قـــد أُطبـــقَ الجَفنَـــانِ

١٨٣- فَمَضَـــى بهـــا مُستبشـــرًا وكأنّمـــا
مِـــنْ ريقـــهِ عَينـــاهُ مرآتـــانِ!!

١٨٤- فأتـــاهُ بالفتـــحِ النجيـــحِ، ولـــمْ يكُـــنْ
يأتـــي بمثـــلِ فُتُوحـــهِ (العُمَـــرَانِ) !!

١٨٥- أمَّـــن أقـــلَّ ب(خيبـــرَ) (البـــابَ) الذي
أعيـــا بـــه نفـــرًا مِـــنَ الأَعـــوانِ

١٨٦- هَـــلْ مـــدَّ حَلْقَتَـــهُ فَصَيَّـــر مَتْنَـــهُ
ترْسًـــا يفـــلُّ بـــه شَـــبا القُضْبَـــانِ؟!

١٨٧- تَرْسًـــا يصُـــكُّ بـــه الوجُـــوهَ بمُلتقَـــى
حَـــرْبٍ بهـــا حَمِـــيَ الوطيـــسُ عـــوانِ

١٨٨- أ مَّـــن لـــه فـــي الحَـــرِّ والبـــرْد استوتْ
منـــه بنعمـــةِ رَبّـــهِ الحـــالانِ

١٨٩- فتــراهُ يلبــسُ فــي الشــتاء غُلالــةً
وتــراه طُــولَ الصيــفِ فــي (خفْتَــانِ)!!

١٩٠- هــل كان ذاك لأُمــةٍ مــن قبلِــهِ
أو بعــدهِ، فأبانــه العَصْــرَانِ؟!!

١٩١- أ مَّــنْ لــه قــال النبــيُّ: " فإنّنــي
وأخــي بــدار الخُلْــد مُجتمعــانِ

١٩٢- نرعــى ونرتــعُ فــي مــكانٍ واحــدٍ
فــوق العبــاد كأنّنــا شمْسَــان"!!

١٩٣- أ مَّــنْ بـ(سـيّدة النسـاء) قَضَـى لَـهُ
ربّــي فأصبــحَ أســعدَ الأَخْتَــانِ؟!

١٩٤- مِــنْ بعــدِ خُطَّــابٍ أتــوْهُ فَردَّهُــم
ردًا يبيِّــنُ مُضْمَــرَ الأشــجانِ

١٩٥- فأبــان منعهُمَــا وقــال: صغيــرةٌ
تزويجُهــا فــي ســنِّها لــم يــانِ!!

١٩٦- حتَّــى إذا خطب(الوصــيُّ) أجابــه
مِــنْ غيــرِ توريــةٍ ولا اســتئذانِ

١٩٧- فــالله زوَّجَــهُ وأشــهدَ فــي العُــلا
أملاكَــه وجماعــة السُــكَّانِ!!

١٩٨- واللهُ قــدَّرَ نَسْــلَهُ مِــنْ صُلبــهِ
فلــذا لأحمــد لــم تكُــن بنتــانِ!!

١٩٩- أ مَّــنْ بخاتمــهِ تصــدَّق راكعًــا
يرجُــو بــذاكَ رضَــى القَريــبِ الدانــي؟!

٢٠٠- حتــى تقــرَّب منــه بعــد نبيِّــهِ
بولايــةٍ بشــواهدٍ ومعانــي؟!

٢٠١- بِولايـــةٍ فـــي آيـــةٍ لولاتهـــا
نزلـــتْ حَصَاهُـــم واحـــدُ واثنـــانِ
٢٠٢- فـــالأولُ الصَّمـــدُ المُقـــدَّسُ ذكـــرُه
ونبيُّـــــهُ ووصيُّـــــه التبعـــــانِ
٢٠٣- هـل فـي تلاوتهـا بـآي ذوي الهُـدَى
مـــن قبـــلِ ثالـــثِ أهلِهـــا يليـــانِ؟!
٢٠٤- هـــذي الولايـــةُ أن تعُـــودَ عليهمـــا
مـــن بعـــده مـــن عقْدهـــا قِسْـــمَانِ
٢٠٥- أ مَّـن عليـه (الشـمسُ رُدَّتْ) بعدَمـا
كَسِـــيَ الظـــلامُ معاطـــفَ الجُـــدْرانِ
٢٠٦- حتَّـى قَضَـى مـا فـاتَ مـن صلواتـه
فـــي دُبْـــر يـــوم مشْـــرقٍ ضَحْيـــانِ
٢٠٧- والنـاسُ مِـن عَجَـبٍ رَأَوْهُ وعَايَنُـوا
يترجَّحُـــونَ تَرَجُّـــحَ السَّـــكْرانِ
٢٠٨- ثُـــمَّ انثنـــتْ لمَغيبهـــا مُنحطَّـــةً
كالسَّـــهم طـــارَ بريشـــةِ الظهـــرانِ
٢٠٩- وابنـاه عنـد قُـوى الجنـان عليهمـا
فهُمـــا لِـــدَارِ مقامـــــهِ رُكنـــــانِ!!
٢١٠- وهُمـا معًـا لـو يعلمُـونَ لِعرْشِـهِ
دُون الملائـــــك كلّهـــــا شـــــنفانِ
٢١١- والـدرُّ والمُرجـانُ قـد نَحلاهُمـا
مثـــلًا (مـــن البحريـــنِ يلتقيـــانِ)!!

(❖) الروايات:

١- رواية البيت الأول في عليّ في الكتاب والسنة:

- (ما بـالُ عينك ثـرة الأجفان عبرى اللحاظ سقيمة الإنسان؟!)

٢- والثاني في المناقب: (نورٌ يضيء به البلاد...).

٥- والخامس فيه: (أحيا له سُنن النبيّ...).

٨- والثامن فيه: (...منه صلاةَ تغمُّد بجِنانِ).

١٠- والعاشر في (تحت راية الحق):

- (... فضيلة لم ننسها ما دامت الملوان).

١٣- والثالث عشر في المناقب: (... مَن قائم بخلافة...).

١٤- والرابع عشر فيه: (... وأعلمُ ياذوي الأذهان).

١٨- والثامن عشر في أعيان الشيعة وموسوعة عليّ:

- (... قلب الأديب يظلّ كالحيران).

١٩- والتاسع عشر في المناقب و الموسوعة:

- (ويسارع الأقوام...).
- وفي الأعيان: (وتسارع الأقوام).

٢٧- والسابع والعشرون في المناقب: (وانقضّ منه المسلمون وأظهروا...).

٣٢- والثاني والثلاثون فيه: (حتى إذا ولي(سماك) مُثخنًا فغشى...).

٣٤- والرابع والثلاثون فيه:

(يدعـو: أنـا القضـــم القضاضـــة الـذي
يقمـــي العــدو إذا دنــا الرجـــوان)

وهي رواية تخلّ بصحّة الوزن.

٣٨- والثامن والثلاثون في الأعيان: (وحل النبيّ إلى تبوك)

٥٠- والخمسون في المناقب: (قال النبيّ...)

٥٢- والثاني والخمسون في الغدير: (... علمًا بفضل مقالة غران).

٥٦- والسادس والخمسون فيه: (أصبحت مولى المؤمنين جماعةٌ...).

- بالرفع خطأ.

٥٨- والثامن والخمسون في المناقب: (أو ما هما فيما تلاه إلهكم...)

٦٦- والسادس والستون فيه: (هل تعلمون حديث النجم إذا هوى...)، وهي رواية تخلّ بصحة الوزن.

٦٨- والثامن والستون فيه: (... يخاطر العصيان).

٦٩- والتاسع والستون فيه:

(وستعلمون من المزن بفضله
ومن المشار إليه بالأزمان)

٧٠- والسبعون فيه:

(قالوا أبنه فلن نخالف أمره
فيما يجئ من البرهان)

وهي رواية تخلّ بصحّة الوزن.

٧٦- والسادس والسبعون فيه: (... يعطي العباد...)

٨١- والحادي والثمانون فيه: (يدعى الحباب...)

٨٢- والثاني والثمانون فيه: (... إلى الولوج لخيبة...).

٨٣- والثالث والثمانون فيه: (لما يتمم لبسه...).

٨٩- والتاسع والثمانون فيه: (وبرجم أخرى والدًا...)

٩٠- والتسعون فيه:

(إذ أقبلت حرّى إليها أختها
حذرًا علي حد الفؤاد حصان).

٩٣- والرابع والتسعون فيه: (... لم يحضرا ناسًا...)

١١٠- والعاشر بعد المئة في المناقب: (... من الأرزان).

١١٣- والثالث عشر بعد المئة: (... مؤذن بخالقي...).

١١٨- والتاسع عشر بعد المائة فيه: (... بالنفس منه ماحواه وقاني)، وهي رواية تخلّ بصحّة الوزن.

١٢٠- والحادي والعشرون بعد المئة فيه: (وبألف حرف أيّكم ناجى...).

١٢٤- والخامس والعشرون بعد المئة فيه: (حتى إذا أتيا إليه...).

١٢٥- والسادس والعشرون بعد المئة فيه: (ويفرق الكفار...).

١٢٦- والسابع والعشرون بعد المئة فيه:

(أهـــــوى ليحملـــــه فـــــرآه وصيّـــة

فونـــــى ونـــــــى ســـــــوى...).

١٢٧- والثامن والعشرون بعد المئة فيه: (إنّ النبوّة لم يكن ليقيلها...).

١٣١- والحادي والثلاثون بعد المئة فيه: (... ورماه بالكدان).

١٣٢- والثاني والثلاثون في الأعيان: (... ووهى القائم...)، وهي رواية تخلُّ بصحة الوزن.

١٣٣- والثالث والثلاثون بعد المئة في الموسوعة (ونما صم جلامد...) وهي رواية تخل بصحة الوزن.

١٣٥- والخامس والثلاثون بعد المئة في المناقب: (.... دون النبي عليه ذا تكلان).

١٤٦- والسابع والأربعون بعد المئة فيه: (قال الفتى: اتبعها فإنّك منظر...).

١٥٦- والسادس والخمسون بعد المئة فيه: (أمن عليه الوحيُ أملاه واثقًا...)، وهي رواية تخلّ بصحة الوزن.

١٧٢- والثالث والسبعون بعد المئة فيه: (وأتاه قوم آخرون قلى له...).

١٨٥- والسادس والثمانون بعد المئة في الأعيان:

(... أعيا به نفر من الأعوان).

١٨٨- والثامن والثمانون بعد المئة في المناقب:

(... بنعمة ربّه المنّان...)

١٩٨- والثامن والتسعون بعد المئة في الأعيان: (... فلذا لأحمد لم يكن بتان).

٢٠٤- والرابع بعد المئتين فيه: (هذه الولاية أن تعود...)، وهي رواية تخلّ بصحة الوزن.

٢٠٥- والخامس بعد المئتين في الطليعة: (من ذا عليه الشمس...).

٢٠٦- والسادس بعد المئتين فيه: (حتَّى قضى ما فاته من صلواته...)، وهي رواية تخلّ بصحة الوزن.

- وفي الأعيان: (... صلواته يا خير بأخير يوم...)، وهي مثلها في الخطأ.

٢٠٨- والثامن بعد المئتين في الطليعة: (... بريشه الظهران).

٢٠٩- والتاسع بعد المئتين في المناقب: (وابناه عقد قوى الجنان...).

(❖)المفردات والتعليقات والأعلام:

١- البال: الشأن، والسبب

- الثرَّةُ: كثيرة تساقط الدموع، غزيرتُها.
- إنسان العين: سوادُها، وما يُرَى في سوادها
- العبرَى: الحزينة كثيرةُ العبرات، وهي الدموع.
- واللِّحاظ: مؤخَّرُ العين ممّا يلي الصدغ.
- سقيم الأجفان: عليلُها؛ بسبب كثرة الدموع، وتوالي الأحزان.

٢- الجُنَّة: السُترة، والواقي الحافظ.

- العِصْمة: الحفظ، و المَنَعَة.
- اللهفان: المُتحسِّر، المكروب.

٣- تلاطُم الحافتين: تزايدُهما، وارتفاعُهما، وضرب بعضهما ببعض.

- النائل: العطاء، والخير العميم.
- نأى: بَعُد، حقيقةً أو مجازًا.
- والسيّان: مثنى (السَّيّ)، وهو: المِثْل، والنظير، المُساوي.

٤- الخَتْنُ: كلّ مَن كان من قِبَلِ المرأة، مثل الأب والأخ، ويُطلق على زوج الابنة، ويُجمع على (الأَخْتان).

- الصَّنوُ: الأخ الشقيق، والابن، والعمّ، ونحوهم.

٦- موات الدين: فسادُه، أو بُعْدُ الناس عنه.

- وصَوْب الهدى: عطاؤُه، ونهجه، على التشبيه بصَوْب المطر وهُطوله رمزًا للخير والعطاء الوارف المتجدّد.

- الجُدُوب: القلّة، والإقفار، وقُصِدَ بها – هنا- الكفرُ والنفاقُ.

٧- تفرَّج: اتّسع بعد ضيق.

- كُرَبُ النفوس: شدائدُها، وهُمومُها.

- استفاض: انتشر، ووضح.

- والحرَمَان: الحرم المكيّ، وهو بيتُ الله الحرام شرَّفه الله (سبحانه)، والحَرَمُ المدنيّ، موطنُ النبيّ ﷺ بالمدينة المنورة.

- إشراقُهما: استضاءتُهما، وزيادةُ أنوارهما المباركة.

٨- التغمُّد: تغمد الله فلاناً برحمته أي غمره بها.

٩- يُشير الشاعر بقوله: (إنّ أذني واعيةٌ...) إلى الأذُن الواعية، وهي التي عقلت عن الله (سبحانه)، وانتفعت بما سمعت من كتابه الكريم: ينظر: (الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٣/١٨)، و(البحر المحيط: ٢٥٦/١-٢٥٧)، و(تفسير القرآن العظيم: ٤١٢/٤ -٤١٣).

- وفي (تفسير كتاب الله العزيز: ٤/ ٤٠٤): «أي حافظة يعني بذلك التذكرة، وهي أُذن المؤمن، سمع التذكرة؛ فوعاها بقلبه...».

- وفي التفاسير السابقة، وفي (الكشّاف، ٦٠٠/٤)، و(الدر المنثور، ٢٦٧/٨)، و(تهذيب الآثار، ١٦٨/٤)، وغيرها عن مكحول بن أبي أسلم، ت ١١٢هـ) أنّ النبيّ ﷺ عند نزول الآية رقم (١٢) من سورة (الحاقة)، وهي قوله (عزّ شأنه): ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾، قال: «سألتُ ربّي أن يجعلها أُذن عليّ».

- وعن مكحول أيضًا قال: فكان عليّ عليه السلام يقول: «ما سمعتُ شيئًا قَطُّ فنسيتُه

إلّا حفظتُه».

- وفي (الدر المنثور: ٩٠/١٠)، عن بُريدة بن الحصيب الأسلميّ(ت ٦٣ هـ) قال: قال رسول اللهﷺ لعليّ عليه السلام: «إنّ الله أمرني أن أُدنيك ولا أُقصيك، وأن أعلّمك، وأن تعي، وحقَّ لك أن تعي...»؛ فنزلت هذه الآيةُ: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾.

- وفي (كتاب سُليم، ٣٨٣): «عليٌّ عينُ الله الناظرةُ، وأُذنه السامعةُ، ولسانهُ الناطقُ في خلقه...» !!

١٠- الفَخَار: الفضل، والعظمة، والتمدُّح بالخصال الحميدة..

- ومدى الغايات: مُنتهاها، وغايتُها القُصوى.

- ما دامت الملوان: ما تعاقب الليلُ والنهارُ وطرفاهُما؛ أي على الدوام، وهما من المثنى الذي لا يُفرَدُ واحدُه: (جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين: ١٠٨)، وهو من قولهم في (المَثَل): (لا أفعلُ ذلك ما اختلفَ المَلَوانِ وما كرّ الجديدانِ والملوانِ). (معجم الأمثال العربية، ٢٠٢/٤، وقاموس الأمثال العربية التراثية، ص٣٥٧).

١١- خاصفُ النعل: الذي يجمع بين طرفيه بخيطٍ أو نحوه.

- ويشير الشاعر بقوله: (إنّ خاصف نعله...) إلى فحوى ما رواه كلٌّ من الترمذيّ (ت٢٧٩هـ)، في (الجامع الصحيح)، ٦٣٤/٥، وابن حبّان (ت ٢٥٤هـ) في (صحيحه)، ١٢٠١ – ١٢٠٢، والحاكم (ت٤٠٥هـ) في (المستدرك)، ١٢٣/٣، والبيهقيّ (ت٣٢٠هـ) في (المحاسن والمساوئ)، ١٠٠/١، وابن عساكر (ت٥٧١هـ) في (تاريخ مدينة دمشق)، ٤٢- ٤٥٣ – ٤٥٥، وابن شهرآشوب (ت٥٨٨هـ) في (المناقب)، ٥٥/٣-٥٧، وابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، في (أُسد الغابة)، ١١٤/٤، والإربليّ (ت٦٩٣هـ)، في (كشف الغمّة)، ٣٤٣/١ – ٣٤٤، والقندوزيّ (ت ١٢٧٠هـ) في (ينابيع المودة)، ٧٠/١... وغيرهم، أنّ النبيّﷺ قال في (يوم الحديبية) سنة ٦ هـ لسهيل بن عمرو (ت ١٨ هـ)، وقد سأله ردّ جماعة: «يا معشرَ قُريشٍ، لتنتهُوا أو ليبعثنَّ اللهُ عليكم مَنْ يضرِبُ رقابكم على الذي امتحن الله قلبه بالإيمان !!

- فقالُوا: مَن هو يا رسول الله؟!
- قال: هو خاصفُ النعل!!
- وكان (عليه الصلاة والسلام) أعطى عَلِيًّا نعله؛ يخصفُها...»
- وفي رواية النسائيّ أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ) في (الخصائص)، ٨٩، بسنده، عن أبي سعيدٍ الخُدريّ (ت ٧٤هـ) قال: كنّا جلوسًا ننتظر رسول اللهﷺ؛ فخرج إلينا قد انقطع شسعُ نعله؛ فرمى به إلى عليٍّ، فقال: «إنّ منكم رجلًا يُقاتلُ الناس على تأويل القرآن، كما قاتلتُ على تنزيله»...فقال أبو بكر: أنا ؟! قال (عليه الصلاةُ والسلامُ): لا.!! فقال عمرُ: أنا ؟! قال (عليه الصلاةُ والسلامُ): لا...!!...ولكن خاصفُ النعل».
- (وقارن: البداية والنهاية، ٤٧٢/٨..)
- وتأوّل القرآن الكريم وتأويلُه: تفسيره، وتفهّم أحكامه، ومعانيه، ودلالاته.

١٣- الرشادُ: الاستقامة، والهُدى.

- الدلالة: البرهان، والحجّة.

١٤- لعلّه يشير بقول: (أقضاكم هذا...) إلى فحوى ما رواه ابن شهرآشوب في (المناقب: ٤١/٢، ١٤/٣، ٢٩٦)، بسنده عن النبيّﷺ قال:«أقضاكُم عليٌّ»

- وفي (عيون أخبار الرضا: ٨٠/١)، عن النبيّﷺ قال: «عليّ أقضاكُم»، وكذلك قال عمر بن الخطاب: «عليّ أقضانا».
- ورَوَى ابنُ سعدٍ (ت ٢٣٠هـ) في (الطبقات الكبير: ٢٩١/٢ -٢٩٣)، بسنده عن عليّ عليه السلام قوله: «بعثني رسولُ اللهﷺ إلى اليمن؛ فُقلتُ: يا رسول الله، بعثتَني وأنا شابٌ أقضي بينهم، ولا أدري القضاءَ؟! فضرب (عليه الصلاةُ والسلامُ) على صدري بيده، ثم قال: اللهمّ، اهدِ قلبه، وثبّت لسانه!! فو اللهِ الذي فلق الحبّة، ما شككتُ في قضاءٍ بين اثنين».
- وفي روايةٍ أخرى: «فوضع (عليه الصلاة والسلام) يده على صدري، وقال: إنّ الله سيهدي قلبك، ويثبّتْ لسانك؛ فإذا قعد الخصمان بين يديك، فلا تقضِ حتَّى تسمع من الآخر، كما سمعت من الأول؛ فإنّه أحرى أن يتبيّن

لك القضاء»؛ فما زلتُ قاضيًا، أو ما شككتُ في قضاءٍ، بعدُ»، وينظر أيضًا: (مسند ابن حنبل ١٤٩/١-١٥٠)، الحديث رقم (٦٦٦)، والحديث رقم (٦٩٠) وغيرهما.، و(سنن أبي داود)، كتاب الأقضية، الحديث رقم (٣٥٨٢)، و(السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ٦٧٧-٦٧٩).

- التبيان: ما يبين به الشيءُ من الدلالة والفصاحة.
- ذوو الأذهان: ذوو العقول الراجحة والأفئدة السليمة.

١٥- قوله: (إنّي مدينة علمكم..) يعتمد على ما رواه الترمذيُّ (ت٢٧٩هـ) في (الجامع الصحيح: ٦٣٧/٥)، الحديث رقم: (٣٧٢٣)، والطبريّ (ت٣١٠هـ) في (تهذيب الآثار: ٣٧٩/٢ – ٣٨٢)، والشريف الرضيّ (ت ٤٠٦هـ)، في (المجازات النبوية: ٢٠٧-٢٠٨)، والأمينيّ في (الغدير: ٦٢/٦ – ٧٩)، وغيرهم، بسندهم عن النبيّ ﷺ، أنّه قال: «أنا دار الحكمة وعليّ بابها»

- وفي (مجمع الزوائد: ١٤/٩)، و(أسد الغابة: ١٠٠/٤): «أنا مدينةُ العلم، وعليٌّ بابها؛ فمَن أرادَ العلمَ؛ فليأتِ بابه».
- (وقارن: اللآلئ المصنوعة، ٣٢٩/١- ٣٣٥)، و(الفوائد المجموعة، ٣٤٨-٣٤٩)).
- وثيق الركن: قويّ راسخ متين، لا يضعف ولا يتزعزع.
- المِصْراع من الباب ونحوه، و الجمع: المصاريع: أحدُ ظِلْفيهِ(جانبيْهِ).

١٧- المُفتري: المُختلق الكذب، ونحوه.

- ابن مريم: هو المسيح عيسى عليه السلام.
- يعتمد الشاعر في بناء هذا البيت وما بعده على فحوى ما رواه ابن شهرآشوب في (المناقب: ٣٠١/٣) قال: اختلفوا في عيسى عليه السلام، فقالت اليعقوبية: هو الله !!.. وقالت النسطوريةُ: هو ابنُ الله !!، وقالت الإسرائيليةُ: هو ثالثُ ثلاثة!! وقالت اليهودُ: هو كذَّابٌ ساحرٌ !! وقال المسلمون: هو من عند الله، كما قال عيسى: إني عبدُ الله، واختلفت الأُمة في عليٍّ عليه السلام؛ فقالت الغُلاة: إنّه المعبُودُ!! وقال الخوارجُ: إنّه كافرٌ !! وقالت المُرجئة: إنّه المؤخَّرُ!! وقالت

الشيعةُ: إنه المُقدَّمُ !! وقال النبيُّ ﷺ: يدخل من هذا الباب رجُلٌ أشبهُ الخَلْقِ بعيسى عليه السلام؛ فضحكُوا من هذا القول !! فنزل قوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ... وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الزخرف / ٥٧).

- وروى الإربليُّ في (كشف الغمة: ٣٠٣/١ – ٣٠٤، ٣٢٨)، عن الإمام عليٍّ عليه السلام قوله: دعاني رسولُ الله ﷺ؛ فقال: «إنّ فيكَ من عيسى عليه السلام مثلًا، أبغضتْه اليهودُ حتى بهتُوا أُمه، وأحبّتْه النصارى حتَّى أنزلُوه بالمنزل الذي ليس له»، ألا وإنّه يهلك فيَّ اثنانِ: مُحِبٌ مُطْرٍ، يُقرِّظُني بما ليس فيَّ، ومُبْغِضٌ يحمله شنآني على أن يبهتني»!!

١٨- المناقب: الأفعال الكريمة، والمفاخر الحسنة الجليلة.

- الأريب: العاقل شديد البصر، الحاذق الماهر.
- الحيران: الدهِش المذهُول غير الراسخ.

١٩- تسارع: تسابق في سرعة.

- وطَأ: هيّأ.
- الثرى: التراب الندِيُّ.
- العَقِبان: مثنى(العَقِب)، وهو مُؤخرُ القدم، وهو كلّ شيء يجيء بعد آخر.

٢٠- رام: أحبّ، وأراد، وألف، وعطف.

- المعاطس: الأنُوف.
- الرئمان: الحُبّ، والألفة، والإيناس، والعطف.

٢١- يوم بدر: هو اليوم الذي شهد الوقعة الكبرى التي فرّق الله (تعالَى) بها بين الحقّ والباطل، فنصر رسولَ الله ﷺ، وصحبَهُ من المهاجرين والأنصار على صناديد الشرك من (قُريش) في السادس عشر والسابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية بعد الهجرة، ويُعرف هذا اليوم بـ(يوم الفُرقان)، وبلغ عددُ القتلى من قُريش (٧٠) رجلًا، والأسرى منهم (٧٠) رجلًا، و استُشهد من الصحابة (٦) نفرٍ من المهاجرين، و(٨) من الأنصار، وكان عليّ عليه السلام صاحبَ راية رسول الله ﷺ فيه...

(موسوعة الحروب، ١٠٥-١٠٧، وأيام العرب في الإسلام، ٧-٣٣، والسيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية، ٣٢٧-٣٦٣).

- البلاء: الاختبار، والبأس.
- الذوائب: جمع (الذُّؤابة)، وهي الشَّعَرُ المَضفُور من شَعَرِ الرأس.
- قوله: (يُشيب..): كنايةٌ عن شدّة الهول، وضراوة القتال.
- ٢٢-الكميُّ: الفارسُ الشجاع، لابسُ السلاح؛ لأنّه يكمِي نفسه، أي: يستُرُها بالدرع، والبيضة وغيرهما من عدّة الحرب.
- البأس: الشجاعة، والقوة.
- ومُمنَّعُ الأركان: المُحصَّن، المتين.

٢٣- الهَصْر: شدّة الغمز، والدفع، والكسر.

- والجَنَابُ: ما قرُب من مَحَلَّة القوم.
- الضيغم: الأسد الشرس الذي يعُضُّ عضًا شديدًا.

٢٤- المُماصِعُ: الفارس المحارب، والمُقاتل المُجالد.

- كأس المنيّة: سقاءُ الموت والفناء.
- شِيبَ: خُلط ومُزجَ.
- الصاب جمع (صابة)، وهي شجرٌ مُرٌّ، إذا اعتُصِرَ خرجَ منه كهيأة اللبن، فربّما نزت منه نزية، أي قطرة، فتقع في العين، فكأنّها شهابُ نارٍ، فربّما أعمتْها، وربّما أضعف البصرَ، وربّما أصاب الجلدَ فأحرقه، ومنابتُه أغوارُ (تهامة). وقيل: الصَّابُ عصارةُ هذا الشجرِ المُرّ، وقيل: هو عصارةُ الصَّبْرِ. (معجم النباتات والزراعة، ٨٦/١).
- الخطبان: الحنظلُ إذا كبرُ شيئًا؛ فصار له خُطُوطٌ وخالطتْ خضرتَه صُفرةٌ، أو غبرةٌ، وقد أخطب الحنظلُ، وحنظلة خطباءُ وخطبانة. قيل: الخطبانُ من الحنظل الذي فيه خُطوطٌ سودٌ. وقيل: هو نبتٌ ينبتُ في آخر الحشيش كالهليون، أو كأذناب الحيّات، أطرافُه رقَاقٌ تُشبه البنفسجَ، أو هو أشدُّ منه سَوَادًا وما دون ذلك أخضرُ، وما دُون ذلك إلى أصله أبيضُ، وهو شديدُ

المرارة. (معجم النباتات والزراعة، ٦٦/١)، ضربُوا بمرارته المثل؛ فقالُوا: أمرُّ من الخطبانِ: (قاموس الأمثال العربية التراثية، ٩٤، ومعجم الأمثال العربية، ٤٢/٢).

٢٥- ذوو الرايات: كبارُ قادة الجيوش من الفُرسان الصناديد الشجعان.

- جدَّل: صرع، وغلب.
- العُصبة: الجماعة من الفرسان.
- الغاب: الأَجَمة التي طالت، ولها أطرافٌ مرتفعةٌ باسقةٌ، وقد يُخَصُّ بها أجَمةُ القصب، وقد تُطلق على جماعة الشجر، ومفردها (الغابة). (معجم النباتات والزراعة، ٩٧/١).
- (خفَّانُ): موضعُ قرب (الكوفة) يسلكه الحاجُّ أحيانًا، وهو مأسدةٌ. وقيل: هو فوق (القادسية). وقيل: قريتان من قرى (السواد)، من طفّ الحجاز، يُضربُ بأسودها المثلُ، فيُقال: (أجرأُ من ليثٍ بخفَّانَ). (قاموس الأمثال العربية التراثية، ١٥، ومعجم الأمثال العربية، ١٤٠/٤).
- يشير الشاعرُ في الأبيات الخمسة السابقة إلى جانبٍ من بطولة الإمام عليٍّ عليه السلام في (بدر)، إذ يُروى أنّه بارزَ شيبةَ بن ربيعةَ بنِ عبد شمسٍ؛ فقتلهُ، وشارك مع عمّه حمزة عليه السلام في قَتْلِ الوليد بن شيبة.

٢٦- أُحُد: هي الوقعةُ التي ابتلى الله (سبحانه) فيها صبر النبيّ صلى الله عليه وآله، وصحبه بمُلاقاة عدوّهم فوق جبل (أُحُد) يوم السبت الرابع عشر من شهر شوال سنة (٣ هـ)، وكان رئيسَ جيش المشركين فيها أبو سفيان بن حرب، وعلى خيلهم خالدُ بن الوليد، ومعهم مائةُ فَرس، بخلاف المسلمين الذين لم يكن معهم فرسٌ واحدٌ، أمّا حاملُ لوائهم فكان من بني عبد الدار، وهو طلحةُ بن أبي طلحة العبدريّ، وكان حاملُ لواء المسلمين رجلًا من المهاجرين يُدعَى (عاصمًا)، وعندما ترك الرماةُ مواقعهم في الحرب، ومالُوا إلى جمع الغنائم وثار النزاعُ بينهم؛ التفّ (خالدٌ) بالخيل على المسلمين واستحصدهم قتلًا، ولمّا جرى هذا صَرَخ بعضُ المسلمين على مؤخّرة جيشهم، وسُمع نداءٌ بأنّ الرسولَ (عليه الصلاة والسلام) قُتل؛ فسقط في أيدي المُقاتلة، فولّى مَن ولّى... والرسولُ ثابت يدعو الناس، وكان للمنافقين

دور في تفرقة الكلمة في أمر الرجوع، ومضى الرسول ﷺ يلتمس أصحابه، فجاءه المشركُون تلقاء وجهه، ولكنّ الله صرفَهم عنه بعد دعائه، وقُتِلَ عمُّه حمزةُ واستُلبَتْ كبده، وقُتِلَ نفرٌ من المتقدّمين من المسلمين، وعددهم (٧٠) رجلًا، في مُقابل (٢٢) من المشركين. (موسوعة الحروب، ١١٤/١١١، وأيام العرب في الإسلام، ٣٣-٤٧، والسيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية، ٣٧٩-٤٠٦).

- شجّ: جرح، وأصاب.
- وكُلِم: جرح، فأكثر جراحاته.
- يستضيءُ الشاعرُ في بناء هذا البيت وما يليه بما رواه كلٌّ من الطبريّ في (تاريخه: ٥١٤/٢، وابن شهرآشوب في المناقب: ١٤٧/٣-١٥٢، والإربليّ في كشف الغمة: ١٩٤/١، وابن كثير (ت٧٧٤ ه) في البداية والنهاية: ٤٣٩/٨)، وغيرهم، بسندهم عن عكرمة بن عبد الله البربريّ المدنيّ: ت ١٠٥ هو غيره، قوله: (سمعتُ عَلِيًّا يقول: لمّا انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أُحُد، لحقني من الجزع عليه ما لم أملك نفسي، وكنتُ أمامه أضربُ بسيفي بين يديه وحملتُ على القوم فأُخرِجُوا، فإذا أنا برسول الله وقد وقع مغشيًا عليه؛ فنظر إليّ وقال: ما فعل الناسُ يا عليُّ ؟! قلتُ: كفرُوا يا رسولَ الله وولَّوا الدُّبُرَ، وأسلمُوك !! فنظر (عليه الصلاة والسلام) إلى كتيبة، فقال: رُدَّهم عنّي!! فحملتُ عليهم أضربُهم، يمينًا وشمالًا حتى فَرُّوا..»
- ونقل ابن شهرآشوب في (المناقب: ١٤٩/٣): أنّه (انتهى أنسُ بن النضر إلى عُمر، وطلحة بن عبيد الله (ت ٣٦ ه) في رجال، وقال: ما يُجلسكُم ؟! قالوا: قُتِلَ محمّدٌ رسولُ الله !! قال: فما تصنُعون بالحياة بعده ؟! قُوموا، فمُوتوا على ما ماتَ عليه رسولُ الله ﷺ، ثم استقبلَ القَوْمَ حتَّى قُتل. ورأى أبو سفيان النبيَّ مطروحًا على الأرض فتفاءل بذلك ظفرًا، وحثّ الناس على النبيِّ، فاستقبلهم عليٌّ وهزمَهُم، ثم حمل النبيّ إلى أحد، ونادى: معاشرَ المسلمين، ارجعُوا إلى رسول الله، فكانُوا يثُوبون ويُثنُون على عليٍّ، ويدعُون له، وكان قد انكسر سيفُ عليٍّ، فقال النبيُّ (عليه الصلاة والسلام): خُذ هذا السيف !! فأخذ (ذا الفقار)، وهَزم القومَ...».

٢٧- أجفل: فرَّ فزعًا، وهرب مُسرعًا.

- الخيفان: الجرادُ اللائي فيها نُقَطٌ سُودٌ تُخالف سائرَ لونها.

٢٩- أبو سفيان: صخرُ بن حرب بن أُميةَ، أحدُ سادات قُريشٍ، أسلم يوم فتح مكة (٢٠ من رمضان، سنة ٨ هـ)، وتُوفّي بالمدينة - وقيل: بالشام - سنة (٣١هـ): (الأعلام: ٢٠١/٣)

٣٠- أبو دُجانة: سماكُ بن خرشة، أوس الخزرجيُّ البياضيُّ الأنصاريُّ، الصحابيُّ الشُجاع، والبطل المغوار، ذو الأيام والمشاهد النبيلة في الإسلام، شهد بدرًا، وثبت يوم أحد، وأُصيب بجراحات كثيرة يُضرب بها المثل، وتُوفي سنة (١١ هـ): (الأعلام: ١٣٨/٣-١٣٩).

٣١- حبل الله (تعالَى): أمرُه، وعهدُه، والإخلاصُ له وحدَه، وطاعتُه، والإسلامُ له، وذمّتُه، ودينه، أو القرآنُ الكريم، وما تضمّنه من شرائعَ وأحكامٍ: (تلخيص البيان، ٤٦).

- وفي (الكشّاف: ٣٩٤/١): هو الاستعانةُ بالله (تعالَى)، والوثُوقُ به، والاجتماعُ على التمسّك بعهده، والإيمان به وطاعته.
- والمُعتصم: المُتمسّك، الممتنع بلُطف الله (جلّت قدرتُه) من المعاصي والآثام، والمتقوِّي بنصر الله، وحُسن توفيقه وهدايته.

٣٢- ألوَى: أمال، وثني، وطوى، واستتر.

- المُثخَنُ: المُوهن الضعيف من شدّة الجراحات.
- غُشي عليه: ألمَّ به، فأغشى فهمه، وأفقده الحسَّ والحركة، فهو مغشيٌّ عليه.

٣٣- يشير، بقوله: (أخو النبي...) إلى فحوى ما رواه ابن سعدٍ، في (الطبقات: ٥٦/٢)، بسنده عن النبيّ ﷺ يخاطب عَلِيًّا عليه السلام: «أنت أخي ترثني وأرثك».

- وفي رواية الترمذي في (الجامع الصحيح: ٦٣٦/٥، (٣٧٢٠)، والهيتميّ، في الصواعق المحرقة: ١٨٨): «أنت أخي في الدنيا والآخرة».
- وفي (الاستيعاب: ١٠٩٨/٣، وأسد الغابة: ٩١/٤، ١٠٩، و مناقب آل أبي طالب: ٢١١/٢)، أنّه (عليه الصلاة والسلام) آخَى عَلِيًّا مرّتين؛ إذْ آخَى بينَ المُهَاجِرين،

ثُمَّ آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة، وقال لعليٍّ في كلّ واحدةٍ منهما: «أنتَ أخي في الدنيا والآخرة»!!

- وفي (كتاب سليم:١٩٤): «أنت أخي وأنا أخُوك في الدنيا والآخرة». وينظر: (السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية، ٣٠٠-٣٠٥).
- (وقارن: البداية والنهاية، ٨٣٩/٨).
- المُطاعن: كثير الطعن، مُتواليه.
- المُضارِبُ: كثيرُ الضرب، مُتتابِعُه.
- وَهَى العَضُد: ضعُفَ، وأُنهِك.

٣٤- القضْم القَضَاقضة: أسد الأُسود، وفارسُ الفُرسان.

- أصمَى العدُوَّ: أهلكه، وفرَّق شمله، وأفقده توازنه.

٣٥- قوله: (لا سيف إلّا ذُو الفقار...) يستضيء بفحوى قول النبيّ (عليه الصلاة والسلام) يوم (أُحد) يخاطب عَلِيًّا: «أما تسمعُ مديحك في السماء، إنّ مَلَكًا اسمُه (رضوانُ)- ويُقال: جبريلُ - ينادي: لا سيف إلّا ذُو الفقار ولا فتى إلّا عليّ» (السيرة النبوية: ١٠٦/٣ وتاريخ الطبريّ: ٥١٤/٢، ومناقب آل أبي طالب: ١٤٨/٣ - ١٤٩، والرياض النضرة في مناقب العشرة: ١٠٩/٣، والبداية والنهاية: ٤٣٩/٨، وكشف الغمّة: ١٩٤/١)

- وفي (عيون أخبار الرضا: ٨٢/١): إنّ العلماء قد أجمعوا على أنّ جبرائيل عليه السلام قال يوم أُحد: يا محمّدُ، إنّ هذه لهي المواساةُ من عليٍّ، قال: لأنّه منّي وأنا منْهُ، فقال جبرائيلُ: وأنا منكُم يا رسولَ الله، ثم قال: (لا سيفَ إلّا...).
- وفي (الاشتقاق: ١٢٩): قال أبو بكر ابن دُريد(ت ٣٢١ ه): إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قَتَلَ أُبيَّ بن خَلَفٍ يوم (أُحد) مُبارزةً بحَرْبةٍ، وأخذَ سيفه (ذا الفقارِ).
- وذكر البلاذريّ (ت ٢٧٩ ه) في (أنساب الأشراف: ٥٢١/١): أنّ مرزوقًا الصيقل صقل سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ذا الفقار)، فكانت قبيعته، وحلق في قيده، وبكر في وسطه من فضة.
- وقال الفيروزآباديّ (ت ٨١٧ ه) في (القاموس المحيط مادة (فقر): ٥٨٨): إنّ (ذا الفقار) سيفُ العاص بن مُنَبِّه، قُتِلَ يوم (بدر) كافرًا، فصار إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

ثم صار إلى عليٍّ.

- وفي (السلاح في الإسلام: ٣٤): إنّ سيف (ذي الفقار) لعليّ بن أبي طالب، توارثه آلُه، ثم المهديُّ العباسيُّ، ثم الهادي، فالرشيدُ.
- ونقل (أحمد الفهد العريفيُّ) أنّ الأصمعيّ رآه عند (الرشيد) في مدينة (طوس) في فارس، فوصفه قائلًا: إنّ به ثماني عشرة فقرةً من الجوهر.(معجم سيوف العرب: ٥١-٥٥)).

٣٦- وقولُه: (... بأنّه منّي...) يستلهم ما رُوِيَ عن النبيّ ﷺ يُخاطب عَلِيًّا: «أنت منّي وأنا منك»: (صحيح البخاريّ: ٣٦٧/٢، باب مناقب عليّ، و(الجامع الصحيح: ٦٣٥/٥: (٣٧١٦)).

- وفي رواية ابن سعد: «أنتَ أخي ترثُني وأرثُكَ» (الطبقات الكبير: ٥٦/٢..)
- وفي روية الهيتميّ: «أنت أخي في الدنيا والآخرة» (الصواعق المحرقة: ٢٨٨).
- وفي رواية أخرى: «هذا أخي ووصيّي فيكُم، فاسمعُوا له وأطِيعُوا»: (كتاب سُليم: ٢٢٢، وتهذيب الآثار: ٦٣/٤..).
- أبلي: خلف.

٣٧- قولُه: (جبريلُ قال...) ينوّه بجانبٍ من حديث (المُباهلة)، إذ رُوِيَ أنّ النبيَّ ﷺ نام، ونوَّم عَلِيًّا وزوجه الزهراء وابنيهما الحَسَنَ والحُسينَ عليهم السلام، وألقى عليهم عباءة قطوانية، فأنزل الله (جلّ شأنه) فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب / ٣٣)، وقال جبريل عليه السلام: أنا منكم يا محمّد، فكان سادسهم (النعيم المقيم لعترة النبأ العظيم، ١٨٠ – ١٨١ وصحيح ابن حبان، ١٢٠٨، الحديثان رقما: (٦٩٣٧ – ٦٩٣٨)، والجامع الصحيح: ٦٣٨/٥): (٣٧٢٤) والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ٦٤٥-٦٤٦).

- وفي (كتاب سليم: ٤٢٩ و ٤٣٠) عن سلمانَ الفارسيِّ رضي الله عنه: أنّ النبيّ ﷺ قال: نزلت هذه الآيةُ فيَّ، وفي أخي عليٍّ، وفي ابنتي فاطمةَ، وفي ابنَيَّ، والأوصياء واحدًا بعد واحدٍ، وُلْدي ووُلْد أخي: ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ... ﴾ أتدرون ما الرجسُ يا سلمانُ ؟ قلت: لا. قال ﷺ: الشكّ لا يشكُّون في

شيء، جاء من عند الله أبدًا، مُطهَّرون في ولادتنا وطينتنا إلى آدم، مُطهَّرون معصُومُون من كلّ سوء».

٣٨- تبوك: بلدٌ بالحجاز على الطريق الممتد من دمشقَ إلى المدينة المنورة، على مسافة (٦٦٠كم) من المدينة، وكانت في زمن النبيّ (عليه الصلاة والسلام) على الحدود الشمالية لبلاد العرب، تبدأ بعدها حدودُ الدولة البيزنطية، وكانت بها الغزوةُ المعروفَة في شهر رجب من السنة التاسعة بعد الهجرة، قضى فيها رسولُ اللهﷺ بضع عشرةَ ليلةً، ثم انصرف قافلًا إلى المدينة من غير قتال، وهي آخر غزوة شهدها الرسول الكريمﷺ.(أيام العرب في الإسلام، ١٢٩-١٤١، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ٦١٣-٦٣٨).

- المُخَلَّف: المترُوك، والمُستبقَى.
- الماني: الله (سُبحانه وتعالَى).

٤٠- ثنى: ارتدّ كافرًا.

- صَرْف العِنان: إعراضُ الوجهِ ونحوه

٤١- الكاشح: المُعادي المُضمر الشحناءَ والبغضاء.

٤٢- المبادر: المُسارع، والمُسابق.

- والفُؤاد المتخلِّع: المُضطرِب الفزِع.
- لاعِج الرُّجْفان: شديدُ الحَركة، مُضطربُها.

٤٤- الوغي: شدة صوت الحرب، وجلبتُها وسعيرُها.

- تناطُح الكبشين: تنازُع سيّدي القوم، وفارسَيْ المعركة.

٤٥- السام: المنقصة.

- الاسترزان: النقص، والعيب.

٤٦- بأبي: مُفدّى بأبي، دُعاءُ مدْحٍ وثناءٍ.

- بُوِّئ: نزل، وحَلَّ.

٤٧- قوله: (كمثل هارون...) يستلهم ما رُوي عن النبيﷺ يُخاطب عَلِيًّاعليه السلام:

«أنتَ منّي بمنزلة هارونَ من مُوسى، إلّا أنّه لا نبيَّ بعْدي»، وقوله: «أما ترضَى أن تكون منّي بمنزلة هارونَ من مُوسى، غير أنّه لا نبيَّ بعْدِي»: (صحيح البخاريّ: ٢٦٩/٢، الحديث رقم (٣٤٣٠)، و صحيح مسلم: ١٨٧٠/٤- ١٨٧١: (٢٤٠٤)، والجامع الصحيح: ٦٤١/٥، (٣٧٢٤)، و(٣٧٣٠ – ٣٧٣١)، وتاريخ الطبريّ: ١٠٣/٢-١٠٤، والرياض النضرة في مناقب العشرة: ٨٢-٨٤، ومناقب آل أبي طالب: ٣٣٦/٢، ٤١٩، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ٦٢٣).

- فتَى عمران: مُوسى بن عمرانَعليه السلام، دعا ربّه (سبحانه) أن يشُدَّ أزرَه بأخيه هارونَ قائلًا:

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢)﴾ (طه/ ٢٥-٣٢)، فاستجاب له (تعالَى)، وأيده بأخيه.

٤٨- المحظُور: الممنُوع.

٤٩- الغدير: هو اليوم الذي خطب فيه المصطفَىﷺ في طريق قُفُوله من الحجّ الأكبر في الثامن عشر من ذي الحجة سنة (١٠ هـ)، وقال لصحابته: مَنْ أولَى الناس بالمُؤمنينَ من أنفسهم ؟! فقالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ!! فقال (عليه الصلاةُ والسلامُ): إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم؛ فمَن كنتُ مولاهُ؛ فعليٌّ مولاهُ (ثلاثًا)، اللهمّ والِ مَنْ وَالاهُ، وعادِ مَن عادَاهُ...!! ثم طفق القومُ يُهنّئون عَلِيًّاعليه السلام، وفي مُقدّمتهم أبو بكرٍ، وعُمَرُ قائليْنِ كُلًا على حِدةٍ: بَخٍ بخٍ لكَ يا بن أبي طالبٍ!! أصبحتَ وأمسيتَ مولايَ، ومولى كُلِّ مؤمنٍ ومُؤمنةٍ!! وقال عبدُ الله بن العباسرضي الله عنه: وجَبَتْ والله في أعناق القومِ!!.. (مسند ابن حنبل: ٢٨١/٤)، صحيح ابن حبان: ١٢٠٠، الحديث رقم(٦٨٩٢)، وسنن ابن ماجة:٤٣/١، والمستدرك: ١٠٩/٣، والمجازات النبوية: ٢١٦ – ٢١٧، وتاريخ بغداد: ٢٣٦/٤، و٢٧٧/٧، و٢٩٠/٨، وتاريخ مدينة دمشق: ٦٢/٤٢، وما بعدها... وأُسد الغابة:

٢٠٧/٣، و٢٠٥/٥، والإصابة: ١٠٨/٣والغدير: ١٤/١-٢١٣).

٥٠- الولاية: الخلافةُ، والإمامةُ.

- الكتاب – هنا – القرآنُ الكريمُ.
- الدَّيان: من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الحَكَمُ القاضي (سُبحانه وتعالَى).
- سُئلَ بعضُ السلف عن الإمام عليٍّ عليه السلام؛ فقال: «كان ديّان هذه الأمة، بعد نبيّها» (المعجم الكبير: ٧ / ٧٣٢ (دين)).

٥١- قولُه: (إذ قال: بلِّغْ...) يستند إلى الروايات الشيعيّة لقوله (سُبحانه): ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة / ٦٧) ففي (كشف الغمة: ٣٢٦/١)، عن زيد بن عبد الله عليه السلام قال: «كُنا نقرأُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ (أنّ عَلِيًّا مولى المؤمنين) ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾!!

وفي المصدر نفسه، ٢٣٧/١، ٣١٨، ٣٢٤: «يعني: في استخلافِ عليٍّ، والنصّ عليه بالإمامة »!!

- الكالئ: الحارس الحافِظُ الراعي الأمينُ.
- الغَرّان: المخدُوع بالباطل.
- الحَنّان: شديد التعطّف والرحمة (سبحانه).

٥٤- الخُذلان: القُعود، والتخلّي، والجُبْنُ، وتركُ الجِهَاد.

٥٥- بَخٍ: اسمُ فعل ماضٍ بمعنى: عظم الأمرُ وفخُم، يكون للرضا والإعجاب بالشيء، أو الفخر والمدح، وقد يتكرّر، وجاء في النصّ كذلك، حشوًا يخلّ بصحة الوزن، كما جاء بتشديد الخاء؛ لضرورة الوزن.

٥٩- أدلَى: أحضَر، واحتجَّ، وأظهر.

- حديث فُلانة وفلان: كناية عن التخرُّص، والكذب.

٦٠- هيهات: اسم فعل ماضٍ بمعنى (بعُد)، يأتي للنفي والاستنكار، وقد يتكرّر تأكيدًا للمعنى المنفي.

- ضلَّ الضلال: ضاع، وأزهق، وذهب، وبُهِتَ.
- ومُقطِّع السُلطان: مُحطِّم قوى البغي والعدوان.

٦١-صدع: وضَح، وظهر، ومضَى، وكُشِف.

- نَفَرَ: شرَد، وبَعُدَ، واستعصَى
- الطرائد: جمع (الطريدة)، وهي: ما طُرِدَ من صيد ونحوه.
- البُهران: الثقيلات من الحيوانات ونحوها، إذا مشيت انقطعتْ أنفاسُهُنَّ وتتابَعَتْ من الإعياء.

٦٢-الإفكُ: الكَذبُ والبُهتان.

٦٣- العَمَهُ: التردُّد في الضلال، وعمى البصيرة.

٦٤-وُلْدُ النبيّ -هنا- بنُو الإمام عليٍّ عليه السلام من ابنته الزهراء.

- يُقصد بالخَوَّان -هُنا- يزيدُ بن معاوية بن أبي سُفيانَ الذي شهد عصرُه فجيعة المسلمين بمقتل الإمام الحسين عليه السلام.

٦٥-السَّمْعان: الإدراكُ، وحُسنُ الإنصات.

٦٦-قولُه: (أو تعلَمُون حديثَ نَجْم...) ربّما استند إلى بعض الروايات الشيعيّة التي لخّصها ابن شهرآشوب بقوله في (المناقب: ٣٠٢/٣)، تحت عنوان: (فصل في مُساواته (عليّ) مع النبيّ صلى الله عليه وآله: سَمّاه ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ (النجم /١) ولعليٍّ: ﴿..وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل /١٦) !!

٦٧- الإذعان: الخضُوع، والإقرار، والطاعة.

٦٨-العصيانُ: المُرُوقُ، والمُخالفة، والخروج عن الطاعة.

- خاتمه: عاقبتُه، وآخرُه، وإقفالُ القلوب على ذلك.
- الخاطر: ما يخطُر في القلب من تدبير، أو أمر، أو رأي، أو معنى.

٦٩-المرنُّ: المُجاهرُ المُفاخرُ.

٧١-أَومِ: أشار، أصله بالهمزة المتطرفة التي خفّفها الشاعر؛ لضرورة الوزن.

- العاني: القاصد بالحديث.

٧٢-الثُّريَّا: النجمُ؛ سُمي بذلك لكثرة كواكبه مع صغر مرآتها.

والثُّريَّا (عند الفلكيين): عُنقودٌ مفتوحٌ في كوكبة (الثور) يحتوي على بضع مئات من النجوم، أبعادها من (٣٢٥-٣٥٠) سنة ضوئية، لا يُرى منها بالعين المجردة إلّا ستةٌ، ورُبما كانت قديمًا أكثر لمعانًا بحيث تبدو للعين المُجرَّدة، وأُطلق عليها جميعًا (الشقيقات السبع). (المعجم الكبير): ٢٥٠/٣ (ثري)).

وتُشبَّه بها الجُموعُ الخفيفةُ في حُسن النظام، والتناسب، والتلازُم

- السُطوح: الارتفاع، والانتشار، وقوة الظهور.
- صاحبُهم المقصود هنا: الإمام عليٌّ عليه السلام.
- لمع اليمانيّ: بريقُ السيف المنسوب إلى اليمن، وقوةُ إشراقه...

٧٣- الرواعد: السُحُبُ ذوات الرعد المُحمَّلات بالمياه.

- سُكونُها: جفافُها؛ كنايةً عن الخيبة.
- والوميض: اللّمع الخفيف.
- حسائر العُوران: وجوه ذوي العور، وما بها من عيون كليلة الإبصار؛ كنايةً عن شدّة الظهور على الرغم من قلّة النظر.

٧٤- الأعيان: ذوات الأشياء بنفسها، يُقال: هو هو عينُه، أو بعينه.

٧٥- التأويل: التفسيرُ، والتوضيحُ، والتبيينُ.

- الآيةُ: الدليل والبرهان.

٧٨- الحكم الجريان: النافذ.

٧٩- كَمُنَ: توارَى، واستتر، واختفى.

- صريفُ النابَيْنِ: صوتُهما الناتج عن احتكاكهما بين حينٍ وآخر.
- يشير الشاعرُ بقوله (كقضية الأفعى...) إلى ما رواه شاذان بن جبرائيل (ت٦٦٠هـ) في (الفضائل: ٧١)، بقوله: « رُوي عن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام أنّه كان يخطبُ

يوم جُمعة على منبر (الكوفة)، إذ سَمعَ عدْو الرجال يتواقعُون بعضَهم على بعضٍ، فقال لهم: ما لكم ؟!! قالُوا: يا أميرَ المؤمنين، إنّ ثُعبانًا عظيمًا دخل المسجدَ، ونحن نفزعُ منه؛ فنُريدُ أن تقتله!! فقال عليٌّ: لا يقربنَّه أحدٌ منكم أبدًا، وطَرِّقوا له فإنّه رسولٌ قد جاء في حاجة !! فطرَّقُوا له فما زال يتخلَّل الصفُوفَ صفًّا بعد صفٍّ، حتَّى صعد المنبرَ، فوضع فمه في أُذن عليّ ابن أبي طالب، فنقَّ نقيقًا وتطاوَلَ، وأميرُ المؤمنين يحرِّك رأسه، ثم نقَّ أميرُ المؤمنين مثلَ نقيقه، ونزل عن المنبر، فانساب بين الجماعةِ، فالتفتوا فلم يَرَوْهُ، فقالُوا: يا أميرَ المؤمنين، ما خبرُ هذا الثعبان ؟! فقال عليه السلام: هذا درجانُ ابن مالكٍ، خليفتي على المسلمين من الجنِّ، وذلك أنّهم اختلفُوا في أشياء، فأنفذُوه إليَّ، وسألني عنها، فأخبرتُه بجواب مسائلِهِ؛ فرجع إلى قومه...»!!!

٨٠- الحية الرقشاءُ: المُنقَّطةُ بسوادٍ وبَيَاضٍ.

- نفثَ السُمومَ: رمَى وألقى.
- العاديةُ: الشريرة المُؤذية.

٨١- تفهَّم: أدرك، وأحسَن الفهم والتدبر.

٨٢- الولُوج: الدخول.

- الحَيْنُ: الهلاك.
- الشنحان: التشنيع.

٨٣- أهوَى به: سقط من عُلوّ إلى أسفل.

- والمنقضُّ: الهاوي ليقع.

٨٤- تعلَّى: صعد وارتفع.

- المُكابدُ الحردان: الفقير البائس.

٨٥- هَويُّ الريح: سرعتُها.

- الفُروج: جمع (الفرج)، وهو: الخَلَل بين الشيئين.
- الصَوَّان: الحَجَرُ الشديدُ، يُقدَحُ به.

٨٦- الهادي – هنا – هو الإمام عليٌّ عليه السلام.

٨٧- يشير بقوله: (في رَجْم جاريةٍ...) إلى جانبٍ من (أقضية الإمام عليٍّ) في عهد عُمرَ ابن الخطاب؛ إذ يُروى عن عبد الرحمن السلميّ قوله: «أُتيَ عُمرُ بامرأةٍ، أجهدَها العطشُ فمرَّت على راعٍ، فاستسقتْه، فأبى أن يسقيها إلّا أن تُمكِّنهُ من نفسها، ففعلتْ، فشاور عُمرُ الناس في رجمها، فقال عليٌّ: هذه مضطرةٌ، أرى أن يُخلّى سبيلُها، ففعل». (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ٥١، وقضاء أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٤٣، و الغدير: ١١٩/٦ -١٢٠، وديوان الإمام عليّ: ١٦٣ -١٦٤).

٨٨- عساكر المَوتَان: جنُود الموت.

٨٩- قوله: (وبرجم أُخرى...) يشير إلى فحوى قضاء من أقضية الإمام في عهد عُمَرَ أيضًا، إذ يُروى أنّ عُمَرَ «أُتِيَ بحاملٍ زَنَتْ، فأمرَ برجمها، فقال له عليٌّ عليه السلام: هَبْ لك سبيلٌ عليها، فهل لك سبيلٌ على ما في بطنها؟ والله (تعالى) يقول: ﴿...وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام / ١٦٤)؟!! فقال عُمَرُ: فما أصنعُ بها؟! قال عليٌّ: احفَظْ عليها حتَّى تَلِد، فإذا ولدَتْ ووجدتَ لولدها مَن يكفلُهُ، فأقمْ الحدَّ عليها. فلما ولدتْ ماتت، فقال عُمَرُ: لولا عليٌّ لهلك عُمَرُ »!!: (مناقب آل ابي طالب، ٤٠٤/٢، وقضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ٣٨)، و(فقيه الأمة ومرجع الأئمة: ١٥٦-١٥٧).

٩٠- الحسرَى: من اشتدت حسرتها، ولهفتها، وحُزنها.

- حرَّى الفؤاد: التي يتلظَّى قلبُها غيظًا، أو حُزنًا وهمًّا.
- الحَصَانُ: المرأة العفيفة.

٩١- المُثقَل: من قولهم: (أثقلت المرأةُ): استبان حملها في بطنها، فهي مُثقِل.

- وسَويُّ الخَلق: كامل الخلْقة.

٩٣- قوله: (خصمان مُؤتلفان...) يشير إلى جانب من الروايات المرويّة في كتب الشيعة في تأويل الآيات القرآنية الكريمة التي تكشف عن جانب من قصة (داود) عليه السلام، وخاصة الآيات (١٧-٢٦) من سورة (ص)، ومنها قوله (عزّ شأنه): وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ

﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ(٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ...﴾ (ص٢١-٢٢).

٩٨- الملأ: أشرافُ القوم الذين يملؤون العُيون أُبَّهةً، والصُدورَ هيبةً.

- أخو الأركان: القويُّ العزيز الذي يُتقوَّى به.

٩٩- طالوتُ: أحد ملوك بني إسرائيلَ من سبط (بنيامين بن يعقوب عليهم السلام)، كان مسكيناً وراعي حمير، وردت قصته في سورة (البقرة)، الآيات (٢٤٧-٢٤٩).

- الأقران: النُّظَراء، والأكْفاءُ في الشجاعة والفضل والسيادة.

١٠٠- السَّعة: الكثرةُ، والغِنَى، والفضل.

١٠١- اصطفَى: اختار.

- البسْطَة: التوسّع.

١٠٣- المُتبسَّط: المُتوسَّع، والمشمُول.

١٠٤- شذَّ: نَدَر، وانفرد، وخالف.

- نوافرُ الثيران: هائجُها وشاردُها.

١٠٥- الصُّمانُ: فاقدُو حاسة السمع، فهم كالأرض الصلبة ذات الحجارة.

١٠٧- الأملاك: الملائكة الأبرار عليهم السلام.

١٠٨- السكينة: الطمأنينةُ، والوقار.

الآلان: الأهل والعشيرة.

١٠٩-توطَّأ: مهَّد، وسهَّل.

١١٠- قوله: (أذهبَ كُلَّ رجسٍ..) يشير إلى قوله (عزّ شأنه): ﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب / ٣٣)، ممّا نزل في يوم (المباهلة)، مشيرًا إلى أهل العباءة والكساء: (أسباب النزول: ٢٣٠)، و(الجامع الصحيح: ٣٥١/٥، ٦٩٠: (٣٢٠٥، ٣٨٧١)).

- الأدران: الأوساخ، والأقذار، وكلّ ما لا يليقُ بهم.

١١١- قوله: (.. خُصَّ بفتحه..) يعتمد على جانب ممّا ورد في كلٍّ من (كتاب سُليم: ١٩٤، والجامع الصحيح: ٦٤١/٥: (٣٧٣٢) وخصائص النسائيّ: ٤٠، و النعيم المقيم: ٢٢١، ومناقب آل أبي طالب: ٢١٧/٢، والصواعق المحرقة: ١٩١، وكشف الغمّة: ١٧٧/١، ٣٣٨) وغيرها، «عن عبد الله بن العباس رضي الله عنه قال: أمر رسولُ الله صلى الله عليه وآله بسدِّ الأبواب إلّا بابَ عليٍّ».

- (وقارن: البداية والنهاية، ٤٤٢/٨ – ٤٤٨، واللآلئ المصنوعة، ٢٣٦/١، ٣٤٦، ٣٥٤).
- في (كتاب سُليم١٩٤): عن النبيّ (عليه الصلاة والسلام) «ما أنا سددتُ أبوابَكم، وفتحتُ بابه، ولكنَّ الله أمرَني بسدِّ أبوابكم، وفتح بابه»!!

١١٢-أشار الشاعرُ بقوله: (كلّ من آذى..) إلى جانبٍ ممّا رواه شاذان في (الفضائل: ٩٥، وابن الأثير في أُسد الغابة: ١٠٤/٤، وابن كثير في البداية والنهاية: ٤٥٣/٨ –٤٦٣) وغيرهم، عن عبد الله بن العباس رضي الله عنه، برواية عكرمة – مولاه – قوله: «مرزْنا بجماعةٍ وقد أخذُوا في سبِّ عليٍّ عليه السلام، فقال لي عبدُ الله بن عباس: أدنني من القوم !! فأدنيتُه منهم، فقال: يا قومُ، مَن السابُّ لله (تعالى) ؟ فقالوا: معاذ الله يا بنَ عمّ رسول الله!! فقال: مَن السابُّ لرسول الله؟! فقالوا: ما كان ذلك !! قال: فمَن السابُّ لعليّ بن أبي طالب؟! قالوا: كان ذلك!! فقال: واللهِ، لقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله بأذنيَّ –هاتينِ- وإلّا صُمَّتا!! – أنّه قال: مَن سَبَّ عَلِيًّا فقد سبَّني، ومَن سبَّني فقد سبَّ الله (تعالَى)، ومَن سبَّ الله (سبحانه) ألقاه على منخريه في النار»!!! وفي (صحيح ابن حبان: ١١٩٩، (٦٨٨٤)): «من آذَى عَلِيًّا فقَد آذَانِي»!!

- وفي (الرياض النضرة في مناقب العشرة: ٨٥/٣-٨٦): «مَن آذى عَلِيًّا فقد آذاني»، «مَن أحبَّ عَلِيًّا فقد أحبّني، ومَن أبغض عَلِيًّا فقد أبغضني، ومَن آذى عَلِيًّا، فقد آذاني، ومَنْ آذاني فقد آذى الله».
- وفي (المستدرك: ٦٨/١)، بسنده أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «لا تسبُّوا عَلِيًّا؛ فإنّه ممسُوسٌ في ذات الله (تعالى)».
- وفي (أسباب النزول: ٢٣٤، ومناقب آل أبي طالب: ٢٤٣/٣)، عن مقاتل بن

سليمانَ الأزديّ (ت ١٥٠هـ) في تفسير قوله جل جلاله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾ (الأحزاب / ٥٨): «الآية في عليٍّ...»

١١٣- أنشا: خلق، أصله (أنشأ)، بهمزة مُتطرِّفة؛ خفّفها الشاعرُ؛ لضرورتي الوزن والقافية.

١١٤- رسَف: مشى مِشية المُقيَّد.

١١٦- الصراط: الطريق، والمنهاج، والدين القويم، دينُ الله (تعالَى) وشريعتُه، والإخلاصُ له، وما يُوصل العباد إلى رحاب طاعته، ورضوانه.

- وفي (مناقب آل أبي طالب ٣/٩٠-٩٣): الصراطُ المستقيم هو صراط النبيّ صلى الله عليه وآله، أو ولايةُ علي بن أبي طالب عليه السلام.
- وقد صدر الشاعر في هذا البيت وسابقه عمّا رواه كلٌّ من الطبرانيّ (ت٣٦٠هـ)، في (المعجم الصغير: ٨٩/٢، وعلاء الدين المتقيّ الهنديّ (ت ٩٧٥ هـ)في كنز العمال: ١٠٠/١٢ -١٠١، والهيتميّ في الصواعق المحرقة: ١٩١)، وغيرهم، بسندهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله قوله: «أول مَن يرد عليَّ الحوضَ أهلُ بيتي، ومَنْ أحبّني من أمتي»
- وفي رواية أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه (ت ٧٤هـ) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليُّ؛ معك يومَ القيامة عصاً من عِصِيِّ الجنّة، تذُودُ بها المنافقين عن حوضي». يُنظر: (كتاب سُليم: ٤٠١، و مناقب الخوارزميّ: ٣٣٤).
- وفي (الرياض النضرة: ٨٠/٣): «يا عليُّ، إنّك أول من يقرَع باب الجنة، فتدخلُها بغير حسابٍ، بعدي»!!
- (وقارن: اللآلئ المصنوعة، ٣٢٧/١..)
- والمجاز: العُبُور، والتجاوز.

١١٧- وقولُه: (ببراءة..) ربّما يشير إلى بعض ما رواه المُؤرّخون والمفسّرون من إيفاد النبيّ صلى الله عليه وآله عَلِيًّا عليه السلام، بُعَيْدَ أبي بكرٍ بسورة (براءة / التوبة) إلى مشركي مكّة، عام (٩ هـ)، قائلًا: «لا ينبغي لأحدٍ أن يُبلِّغ هذا إلّا رجلٌ من أهلي».. (الكشّاف: ٢٤٣/٢، ومناقب الخوارزمي: ١٥٤، والجامع لأحكام القرآن: ٨/٨،

والدرّ المنثور: ١٢/٤-١٢٣، وينابيع المودة: ١٠٢/١، والغدير: ٣٣٨/٦-٣٤١، والميزان: ١٦٢/٩- ١٦٣، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: ٦٧٥-٦٧٧)

- وفي (كتاب سُليم ٣٢٢): «لا يُبلِّغ عنّي إلّا أنا أو رجُلٌ منّي».

١١٨- الجِبِلَّةُ: الخِلْقة، والطبيعة، والفطرة، وهي – هنا – بمعنى جماعة الناس.

- حوى: تضمَّن واشتمل.

١٢٢-سرَى: سار ليلًا، أو سار مطلقًا.

- وابتدر: تسابق، مسارعًا.

- اعتمد الشاعر في بناء هذا البيت وما قبله على فحوى ما رواه الترمذيّ في (الجامع الصحيح: ٦٣٩/٥، (٣٧٢٦))، وابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق: ٣١٥/٤٢-٣١٦)، وابن الأثير في (أُسد الغابة: ١٠٧/٤)، والقندوزيّ في (ينابيع المودّة: ٦٩/١)، وغيرهم عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ، قال: دعا رسول اللهﷺ عَلِيًّا يوم حصار الطائف، فانتجاه، فقال الناسُ: لقد طال نجواهُ مع ابن عمّه !!..

- فقال رسول اللهﷺ: ما انتجيتُه، ولكن الله انتجاهُ!!! أي أن الله (تعالَى) أمرَني أن أنتَجِيَ معه!! ينظر: (الرياض النضرة: ١١٩/٣)

١٢٣- البنيّة: الكعبة (زادها الله تعظيمًا وتشريفًا).

- يقصد بالبيت العالي: بيت الله الحرام شرّفه الله.

١٢٤- السُّدْفة: الظلمة.

- الوَجِلُ: الخائف، المُتهيِّب.

١٢٥-هوَّم: هزّ رأسه من النعاس.

- الحَيّان: حيا قريش الشهيران، وقد يُراد بهما الأوس والخزرج.

١٢٦- أهوَى: هبط ونزل.

- ونَى: ضعُف وفتر.

١٢٧- الأيِّد: القويّ المتين.

- النهْضَان: القيام، والارتفاع، وسرعة الحركة.

١٢٨- المطى: الظهر.

١٣٠- يروم: يطلب ويرجو.

- مطالع الدبران: منازلُ القمر المشتملة على خمسة كواكب في برج (الثور)، سُمّيتْ بذلك، لأنّها تتّبع (الثريّا).

١٣١- يقصدُ بالصنم الكبير – هنا - (هُبَلَ)، وهو من أشهر أصنام مكة قبل الإسلام، وكان عُبَّادُهُ من بني قُريش وبني كنانة يحلقون رُؤوسهم عنده بعد الطواف في البيت، وبالغوا فيه حتَّى سمَّوْه (ربًّا)!! (معجم الأوثان والأصنام عند العرب، ٨٩-٩٠)

- زجَّ: رمَى.

- الكذَّان: الحجارةُ الرخْوة النخرةُ.

١٣٢- المنكب: مُجتمعُ رأسِ الكتفِ والعضُد، وهُما منكبان؛ لأنّهما في الجانبين.

- وهَى: ضَعُف.

١٣٣- نحَّى: أزال وأمال.

- الصُمُّ الجَلامِدُ: الصُّخُور الصَّلْدَة المُتيبِّسة.

- الإيهانُ: الإضعافُ والتكسير.

- قد لخّص الشاعرُ بهذه الأبيات ما رواه كلٌّ من النسائيّ في (الخصائص: ٧٤)، والحاكم في (المستدرك: ٣٧٦/٢ – ٣٦٧، والقندوزيّ في ينابيع المودة: ١٦٦/١، والخوارزميّ في (المناقب: ١٢١-١٢٢، والمحبّ الطبريّ في الرياض النضرة: ١٢٠/٣، وابن شهرآشوب في مناقبه: ١٦١/٢)وغيرهم، بسندهم عن الإمام عليٍّ عليه السلام قوله: «انطلق بي رسولُ الله صلى الله عليه وآله حتى أتى بي إلى الكعبة، فقال لي: اجلِسْ إلى جنب الكعبة فجلستُ، فصعد رسولُ الله (عليه الصلاة والسلام) بمنكبي، ثم قال لي: انهَضْ، فلما رأى ضعفي تحته، قال لي: اجلس، فنزلتُ

وجلستُ، ثم قال لي: يا عليُّ، اصعَدْ علَى منكبيَّ !! فصعدتُ على منكبيه، ثم نهض بي رسولُ اللهﷺ، فلمّا نهض بي خُيِّل إليَّ لو شئتُ نلتُ أفُقَ السماء، فصعدتُ فوق الكعبة وتنحَّى رسول الله، فقال لي: ألقِ صنمهم الأكبر، صنَمَ قُريش، وكان من نُحاس مُوتّدًا بأوتادٍ من حديدٍ – إلى الأرض، فقال لي رسولُ الله: عالِجْه!! ورسول الله يقول: إيه إيه ﴿..وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء / ٨١)، فلم أزل أُعالجُه حتَّى استمكنتُ منه، فقال لي: اِقذفْهُ!! فقذفتُه؛ فتكسَّر، ونزوتُ من فوق الكعبة، فانطلقنا – أنا والنبيّ – نسعَى، وخشينا من ابتداء الفتنة أن يرانا أحدٌ من قريش، أو غيرهم...».

١٣٥- شرَى: ابتاع.

- المُهجة: الروح، ومُهجة كلّ شيء: أحسنُه وخالصُه.
- التُكلان: الاعتماد، والتفويضُ.

١٣٦- غطَّ: نخر في نومه.

- يشير الشاعر بهذين البيتين إلى خبر مبيت الإمام عليٍّ عليه السلام في فراش النبيّ ﷺ ليلة الهجرة المباركة ونزول قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة /٢٠٧). ينظر مثلًا: (السيرة النبوية: ٩١/٢، والطبقات الكبير: ١٩٤/١، ١٩٥، وتاريخ بغداد: ١٩١/١٣، والبداية والنهاية: ٤٣٧/٨، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: ٢٦٨).
- وفي البداية والنهاية: «وقد خلفه عليٌّ؛ ليؤدي ما كان عنده من ودائع الناس».

١٣٧- يصدر الشاعر في هذين البيتين عن جانبٍ ممّا تواتر ذكره في كثيرٍ من المصادر، من نزول سورة (الإنسان) احتفاءً بصنيع الإمام عليّ وزوجه عليهما السلام، وتصدّقهما بطعامهما الذي أعدّاه إفطارًا لصيامهما، وفاءً بنذرٍ قطعاه على نفسيهما ضراعةً لله (عزّ شأنه)؛ لكي يشفي الحسنين عليهما السلام ممّا ألمّ بهما من مرض يومًا، فشفاهما الله (سبحانه)، ووفى الصادقان بالنذر، ونوّه الوحي الكريم بذلك في آيات هذه السورة المباركة. (غرائب القرآن: ١٢٠/٢٩-١٢٢، وأسباب النزول: ٢٨١، ٢٨٢، والرياض النضرة: ١٤٧/٣ وما بعدها، والدرّ المنثور، ٢٩٩/٧).

- (وقارن: اللآلئ المصنوعة: ٣٧٠/١ – ٣٧١).

١٣٨- سورة (هل أتى) هي السورة رقم (٧٦) في المصحف الشريف، وهي سورة (الإنسان) التي تبدأ بقوله(تعالَى) ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾، وتنتهي بقوله: ﴿...وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، وعدد آياتها (٣١).

١٣٩- طوَى: جاع.

- الحليلةُ: الزوجة.

- الحَسَنَانِ: الحسن والحسين، ابنا عليٍّ وفاطمة عليهم السلام.

١٤١- الجرادق: جمع (الجردق)، و(الجردقة)، وهي الرغيف. أو القُرص الرقيق من الخُبز الواسع المساحة، قليل اليباس: (معجم المعربات الفارسية، ٥٠).

- الساغب: الجائع.

١٤٢- مقدادُ: أبو معبد، عمرو بن عمرو، ويُعرفُ بابن الأسود الكنديّ البهرانيّ الحضرميّ، صحابيٌّ جليلٌ من الأبطال، وأحد السبعة الذين كانوا أول مَنْ أظهر الإسلام، وهو أول مَن قاتل على فرسٍ في سبيل الله، وشهد (بدرًا) وغيرها، وسكن المدينة، وتُوفي على مقربةٍ منها، فحُمل إليها، ودُفن فيها سنة (٣٣ هـ). (الأعلام: ٢٨٢/٨).

١٤٣- الغرثان: الجائع.

١٤٤- طرا: أقبل.

- المعسان: ذات اللبن.

١٤٦- المُنْظِر: الذي يُمكِّن غيره من النظر، أو يبيع الشيء بنظرة، وإمهال، وتأنٍّ.

- اصطفق: تحرّك وضرب يده على يده، وذلك علامة وجوب البيع.

١٤٧- الرّباني: المُتألِّه العارف بالله، المعتمد عليه (سبحانه).

١٤٨- قوله (أهنِّ): أبارك، أصلها: (أهنِّئُ) بالهمزة المتطرفة التي حذفها الشاعر؛ لضرورة الوزن.

- هاكَ: اسم فعل أمر بمعنى: (خُذْ).

١٥٠- تبداني: تبدؤني، بهمزةٍ متوسطة متحركة خفّفها الشاعر؛ لضرورتي الوزن والقافية.

١٥٣- أبثَّ: أفضى، وأذاع، ونشر.

١٥٥- الكوماء: الناقة الضخمة السنام، المُشرِفة المُكتِملة والمُجتمِعة اللحم.

١٥٦- لعلّ الشاعر يشير في هذه الأبيات إلى ما رواه ابن شهرآشوب في (المناقب: ٢٧١/٢)، بسنده عن جعفر الصادق عليه السلام (ت ١٤٨هـ)، قوله: «لمَّا هبط جبريلُ عليه السلام بالأذان على رسول الله صلى الله عليه وآله كان رأسه في حجر عليٍّ عليه السلام، فأذَّنَ جبريلُ وأقام، فلما انتبه رسولُ الله (عليه الصلاة والسلام) قال: يا عليُّ، سمعتَ؟! قال: نعم !! قال (عليه الصلاةُ والسلامُ): حفظتَ؟ قال: نعم !! قال عليه السلام: «ادعُ بلالًا؛ فعلِّمْهُ؛ فدعا عليٌّ بلالًا فعلَّمهُ...».

١٥٧- لمح: اختلس، أو أبصر بطرف خفيف.

١٥٩- تكتنفُ: تصُون، وتُحيط، وتحفظ.

١٦٠- الرؤيان: الرؤية، وهي النظر بالعين أو بالعقل.

١٦١- الأُفقان: الجهتان.

١٦٢- يغشَى: يأتي.

١٦٣- يُواكل: يطعم.

- والوحشة: الخلوة.

١٦٤- الهِزَبْرُ: الأسد القويّ.

١٦٥- الحدثان: الحديث.

- يُلمح الشاعر بهذه الأبيات إلى جانبٍ ممّا رواه كلٌّ من الترمذيّ في (الجامع الصحيح: ٦٣٦/٥ – ٦٣٧)، وابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق: ٢٤٨/٤٢ – ٢٥٨، والمحبُّ الطبريّ في الرياض النضرة: ٨٠/٣-٨١، وابن شهرآشوب في مناقب آل أبي طالب: ٧٣/٣، ٣١٨) وغيرهم، بسندهم عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ) مانصّه: «كان عند النبيّ صلى الله عليه وآله طير، فقال: اللهمّ، ائتني بأحبّ

خلقك إليك، يأكلُ معي هذا الطير، فجاء عليٌّ عليه السلام، فأكل معه».

١٦٦- الشان: الأمر، أصلها بالهمزة المتوسطة التي خفّفها الشاعر؛ لضرورة القافية.

١٦٧- القِلى: الكراهية والبغض.

١٦٨- العصابة: الجماعة.

١٦٩- البُهتان: الافتراء بالكذب.

١٧٠- التخرُّص: الكذب والافتراء.

- القولان: القول، والحديث، والسيرة.

١٧١- يستانِ: يتأخّر ويتمهل كثيرًا، أصلها: (يستأني) بالهمزة المتوسطة التي خفّفها الشاعر؛ لضرورة القافية.

١٧٢- المُنتِكثُ: ناقضُ العهد.

١٧٣- الأنام: الخلق.

- العَنان: غاية الشرف، والمجد، الفضل.

١٧٤- مِنَى: مُجتمع الحَجيج يوم (التروية) الثامن من ذي الحجة، ويدفعون منه يوم (عرفة) إليها صباحًا، ويعودون إليه صباح يوم النحر، ويمكثون به(أيام التشريق)، تلزمهم البيتوتةُ به؛ لاستكمال مناسك الحج، إلّا مَن استُثني شرعًا. وحدود(مِنَى) من (جمرة العقبة) إلى وادي(مُحسّر) على الأرجح، وذكر بعض العلماء أنّ طول(مِنَى) من (جمرة العقبة) إلى (وادي محسّر) سبعة آلاف ومئتا ذراع، وعرضه ألف وثلاثمائة ذراع.

- براءة: هي سورة (التوبة) التي تبدأ بقول الله (تبارك وتعالَى): ﴿بَرَاءةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾...وتنتهي بقوله جل جلاله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، وعددُ آياتها (١٢٩) آية، وهي السورة الوحيدة التي لم تبدأ بالبسملة، وترتيبها التاسع بين سور القرآن في المصحف الشريف.

١٧٥- القصواء: الناقة الكريمة النجيبة.

- السرحان: الذئب أو الأسد.

١٧٦- وافى: أتى مفاجئًا.

١٧٧- النسيب: القريب ذو النسب.

١٧٩- القرم: السيّد النبيل.

١٨١- الأرمدُ: الذي هاجت عينُهُ؛ لإصابتها بالرمد.

١٨٢- أطبق: أغلق.

١٨٤- الفتح النجِيحُ: النصرُ المُؤزَّر.

- يلخّص الشاعرُ في هذه الأبيات السبعة ما رواه كلٌّ من ابن هشام في (السيرة النبوية: ٢١/٣، والبخاريّ في الصحيح ٢٦٨/٢: (٣٤٢٥-٣٤٢٦)، ومسلم في صحيحه: ١٨٧١/٤ – ١٨٧٣، (٢٤٠٥-٢٤٠٧)، والمحبّ الطبريّ في الرياض النضرة: ١٠٣/٣-١٠٤، والنسائيّ في الخصائص: ٢٨، وأبي نعيم في الحلية: ٦٢/١-٦٣، وصاحبي أيام العرب في الإسلام: ٧٢-٧٥، وصاحب السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ٤٤٩-٥١٢) وغيرهم، بسندهم «أنّ رسول الله ﷺ بعث أبا بكر الصديق برايته إلى حصون (خيبر) في سنة (٧ هـ) يقاتل؛ فرجع ولم يكن فتحٌ، وقد جهد، ثم بعث عمر الغد، فقاتل؛ فرجع، ولم يكن فتحٌ، وقد جهد، فقال رسولُ الله (عليه الصلاة والسلام): لأعطينَّ الراية غدًا رُجلًا يحبُّ الله ورسوله، يفتحُ الله على يديه، ليس بفرَّارٍ، فدعا بعليٍّ، فما رجع، حتَّى فتح الله على نبيّه».

١٨٥- أقلَّ: رفع.

- النفر: جماعةُ الرجال، من ثلاثةٍ إلى عشرة.
- شبا القضبان: ارتفاعُها، وعُلوُّها.

١٨٦- الترس: صفحة من الفُولاذ تُحمل للوقاية من السيف ونحوه.

١٨٧- صكَّ: لطم، وضرَب بشدّةٍ، وعنف.

- حَمِي الوطيسُ: ارتفعت نيرانُ الحرب ضراوةً، وهذه الجملة مَثَلٌ يُقال مسبوقًا

بقد: (قد حمي الوطيسُ) وغير مسبوق بها: (حَمِي...)، و(الآن حَمِيَ الوطيسُ) كنايةً عن ارتفاع ضراوة الحرب (معجم الأمثال العربية، ٤١٥/٤).

- الحرب العوان: التي قُوتل فيها مرةً بعد أخرى، وهي أشدُّ الحروب فتكًا بالمقاتلين.

١٨٩- الغُلالة: شعار يُلبس تحت الثوب، أو تحت درع الحديد (المعجم العربي لأسماء الملابس: ٣٤٦).

- الخَفْتان (بفتح فسكون) كلمة فارسية مُعرَّبة معناها: رداءٌ سابغٌ، صَدْرية تحت الثياب، كان يُلبَسُ فوق الدرع عند الحروب.(المعجم العربي لأسماء الملابس: ١٥٢)، و(معجم المُعرَّبات الفارسية: ٦٨).

١٩٠- العَصْرَان: الغَداةُ والعَشيُّ، أو الليل والنهار.

- يشير الشاعر بهذه الأبيات إلى فحوى ما رواه النسائيّ في (الخصائص: ٨٦-٨٧، والمحبّ الطبريّ في الرياض النضرة: ١٠٩/٣)، بسندهما عن عبد الرحمن ابن أبي ليلي قوله: «إنّ عَلِيًّا عليه السلام خرج علينا في حرّ شديدٍ، وعليه ثيابُ الشتاء، وخرج علينا في الشتاء، وعليه ثيابُ الصيف، ثم دعا بماءٍ فشرب، ثم مسح العَرَقَ عن جبينه، فلمّا رجع إلى أبيه قال: يا أبة، رأيتُ ما صنع أميرُ المؤمنين عليه السلام خرج علينا في الشتاء، وعليه ثيابُ الصيف، وخرج علينا في الصيف، وعليه ثيابُ الشتاء، فقال أبو ليلى: ما فطنتَ!! وأخذ بيد ابنه عبد الرحمن، فأتى عَلِيًّا عليه السلام، فقال له الذي صنع، فقال له عليّ عليه السلام: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان بعث إليّ وأنا أرمدُ شديدُ الرمد، فبزق في عينيَّ، ثم قال: افتح عينيك، ففتحتُهما، فما اشتكيتُهما حتى الساعة، ودعا لي، فقال: اللهمّ، أذهبْ عنه الحرَّ والبردَ، فما وجدتُ حرّاً ولا بردًا حتَّى يومي هذا».

١٩١- قوله: (...فإنّني وأخي...) يستضيء بما رواه الطبريّ في (تهذيب الآثار: ٦٣/٤)، بسنده عن النبيّ صلى الله عليه وآله، أنه قال مشيرًا إلى الإمام عليٍّ عليه السلام: «هذا أخي ووصيّي فيكم؛ فاسمُعوا له وأطيعُوا». ينظر: (الرياض النضرة: ٨٧/٣-٨٨، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: ٣٠٠-٣٠٥).

١٩٢- رتع: أقام وتنعّم، وأكل وشرب، لا يعدم شيئًا يريده.

١٩٣- سيّدةُ النساء: السيّدة فاطمةُ الزهراءُ عليها السلام.

١٩٤- مُضمرُ الأشجان: مُستتر الهموم والأحزان.

١٩٥- يانَ: يحينُ، أصلها (يؤون) بهمزة متوسطة خفّفها الشاعرُ؛ لضرورة الوزن.

١٩٨- النسل: الذرية.

- يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى جانبٍ ممّا ورد في كلٍّ من (عيون أخبار الرضا: ٢٠١/١ – ٢٠٢، وتاريخ بغداد: ٢١٠/٤، والرياض النضرة: ١٠٢/٣-١٠٣، وأُسد الغابة: ٢٤٢/١-٢٤٣، والنعيم المقيم: ٦٦، وكشف الغمّة: ٣٥٧/١) وغيرها، عن بلال بن رباح، (ت ٢٠ هـ) قوله: «خرج علينا رسولُ الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ضاحكًا، (فقام) إليه عبد الرحمن بن عوف (ت ٣٢ هـ)، فقال: ما أضحكَك يا رسول الله ؟! فقال (عليه الصلاة والسلام): بشارةٌ، أتتْني من عند ربّي، إنّ الله لمّا أراد أن يُزوِّجَ عَلِيًّا فاطمةَ أمرَ مَلَكًا أن يَهُزَّ شجرة (طُوبى)، فهزَّها؛ فنشرت رقامًا (صكاكًا)، وأنشأ الله (تعالى) ملائكةً التقطوها...». وفي (تاريخ بغداد: ١٢٩/٤، وتاريخ مدينة دمشق: ١٢٧/٤٢-١٢٨)عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت ٣٢ هـ)، قال: «أصابت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله صَبِيحةَ العُرس رِعْدةٌ؛ فقال (عليه الصلاة والسلام): إنّي زَوَّجتُكِ سيِّدًا في الدنيا، وإنه في الآخرة لمن الصالحين، يا فاطمةُ، إنّي لمّا أردتُ أن أُملِّكَكِ لعليّ أمرَ الله (سبحانه) جبريل عليه السلام، فقام في السماء الرابعة، فصفَّ الملائكةَ صُفوفًا، ثم خطب عليهم جبريلُ؛ فزوَّجكِ من عليٍّ...».

- وفي (ذخائر العقبي: ٣١)، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أتاني مَلَكٌ، فقال: يا محمّدُ، إنّ الله (تعالَى) يقرأُ عليكَ السلامَ، ويقول لك: إنّي قد زوّجتُ فاطمةَ ابنتَك من عليّ بن أبي طالب في الملأ الأعلى؛ فزوِّجْها في الأرض».

- وفي (النعيم المقيم: ٧١-٧٢)، أنّه صلى الله عليه وآله قال لها: «والذي بعثني بالحقّ، ما تكلمتُ فيه حتى أذن الله (تعالى) لي فيه من السموات !! فقالت السيّدةُ فاطمةُ عليها السلام: رضيتُ بما رضي به الله ورسولُه».

- وفي(مناقب آل أبي طالب: ٣٩٢/٣)، أنّه (عليه الصلاة والسلام) قال لها: «لم أُزوجْك حتَّى أمَرني جبريلُ».

١٩٩- قوله: (تصدَّق بخاتمه...) يشير إلى جانبٍ ممّا رواه الواحديّ في (أسباب النزول: ١٣٥-١٣٧)، وشاذان في (الفضائل: ١٤٧، وابن عساكر في تاريخه: ٤٢ /٣٥٧، والسيوطيّ في لباب النقول: ١١٧-١١٨)... وغيرهم، من أنّ عبد الله بن سلام (ت ٤٣ ه) أقبل يومًا، ومعه نفرٌ من قومه، وشكوْا بُعْدَ المنزل عن المسجد، وقالُوا: إنّ قومنا لمّا رأونا أسلمْنا رفضُونا، ولا يكلمُونا، ولا يُجالسونا، ولا يُناكحُونا؛ فشقَّ ذلك علينا؛ فنزل قولُ الله (سبحانه): ﴿...إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. (المائدة /٥٥)، فخرج النبيّ ﷺ، فرأى سائلًا؛ فقال: هل أعطاك أحدٌ شيئًا ؟! قال: نعم، خاتمُ فضةٍ فقال (عليه الصلاة و السلام): «مَن أعطاكَهُ ؟! قال: أعطانيه هذا الراكعُ !! وكان عليٌّ عليه السلام راكعًا، فأومأ إليه...».

- القريبُ الداني: الله ذو الجلال والإكرام (سبحانه).

٢٠٠- الشواهد: الأدلة القاطعة.

- المعاني: ما يُستنبط من النصوص والشواهد من دلالات.

٢٠٢- الصمد: السيّد الدائم المقصُود الذي لا يُقضى دونه أمرٌ، والمُعتَمدُ عليه(سبحانه وتعالى).

٢٠٥- قوله: (عليه الشمسُ رُدَّتْ..) يستنطق جانبًا ممّا ورد في كلٍّ من (مناقب آل أبي طالب:٣٥٣/٢-٣٥٤)، و(النعيم المقيم: ٥٧-٥٨)، و(الرياض النضرة: ٩٩/٣) من «أنّ رسول الله ﷺ صلّى بـ(الصهباء) في غزاة إلى (خيبر) بكراع الغميم، وهي موضع بين مكة والمدينة، فلما سلّم، نزل عليه الوحي، وجاء عليٌّ عليه السلام وهو على ذلك الحال حتَّى غابت الشمسُ، والقرآنُ ينزل على النبيّ(عليه الصلاة والسلام)، فلما تمّ الوحيُ، قال عليه السلام: يا عليُّ، هل صليتَ ؟! فقال عليٌّ: لا!! وقصّ عليه، فقال النبيُّ عليه السلام: ادعُ ليردَّ اللّهُ عليك الشمس !! فسأل الإمامُ ربّه (سبحانه)، فرُدّتْ عليه بيضاءَ نقيةً».

- وفي رواية أبي جعفر الطحاويّ: «أنَّ النبيَّ ﷺ قال: اللهمّ، إنّ عَلِيًّا كان في

طاعتك وطاعة رسولك؛ فارْدُدْ عليه الشمسَ، فُردَّتْ، فقام عليٌّ وصلَّى، فلمّا فرغ من صلاته، وقعت الشمسُ وبدر الكواكب».وثمة خبر آخر عن ردّة الشمس لهعليه السلام ورد في كلٍّ من (كتاب سُليم: ٤٥٦)، و(وقعة صفين:١٣٦) و(فضائل شاذان ٦٨-٦٩)، و(كشف الغمّة: ٢٨٥/١ -٢٨٦)... (وقارن: الفوائد المجموعة:٣٥٠-٣٥١).

٢٠٦- الضحيان: المرتفع الوضوح، والإشراق.

٢٠٧- الترجُّح: التمايُل، يمينًا ويسارًا.

٢٠٨- انثنى: استدار.

٢١٠- الشَّنِفُ: الفطن النبيه.

٢١١- نحل: منح، وأعطى، ووهب.

- وقوله: (من البحرين يلتقيان...) يعود إلى ما ورد فحواه في (ينابيع المودة: ١٣٩/١ -١٤٠) في تأويل قول اللهعزوجل: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ﴾ (الرحمن / ١٩-٢٠)، بسنده عن جعفر الصادقعليه السلام قوله: «عليّ وفاطمة بحران عميقان، لا يبغي أحدُهما على صاحبه، وبينهما برزخٌ هو رسولُ اللهصلى الله عليه وآله، يخرج منهما اللؤلؤُ والمرجانُ، هما الحسنُ و الحسينُعليهما السلام». وقوله: «كان أبو ذر الغفاريّ يقول: إنّ هذه الآية: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ نزلت في النبيّصلى الله عليه وآله، وعليّ، وفاطمةَ، والحسنِ، والحُسينِ، فلا يحبُّهم إلّا مؤمنٌ، ولا يبغُضُهم إلَّا كافرٌ...» !!

(❖) التخريج:

- الأبيات من (١-٢١٢) في أعيان الشيعة: ٧١/٩ -٨٢، وعنه أخذتُ هذا الترتيب.
- والبيت الأول في رجال الطوسيّ: ٤٤٨، و ٧٦/٤، والوافي بالوفيات: ٢٥٤/٧، وبغية الوعاة: ٣٣٦/١.
- البيتان (٢-٣) في مناقب آل أبي طالب: ١٠٠/٣، مُصدَّرين بقوله: (ابن علويّة)، والأبيات من (٥-٨) في المصدر نفسه: ١١٦/٣، مسبوقةً بكلمة (الألفية)، والبيت التاسع فيه: ٩٦/٣، مُصدَّرًا بكلمة (المحبَّرة)، والأبيات من(١٠-١٣)

فيه: ٥٦/٣ مسبوقةً بكلمتي (ابن علويّة)، ومن (١٤-١٦) في: ٤١/٢- ٤٢، مُصدَّرةً بكلمة (الأصفهانيّ)، ومن(١٧-٢٠) في: ٣٢٤/١- ٣٢٥، مسبوقةً بكلمة (الألفية)، ومن (٢١-٢٥) في: ١٤٧/٣، مصدّرةً بكلمة (المحبَّرة)، ومن(٢٦-٣٤) في: ١٥١/٣، مسبوقةً بكلمتي (ابن علويّة)، ومن (٣٥-٣٧) في: ٣٤١/٣ لأحمد بن علويّة، ومن (٣٨-٣٩) في: ٢٣/٣، لابن علويّة، ومن (٥٠-٥٤) في: ٣٠/٣، مُصدَّرةً بكلمة (المحبَّرة)، و (٥٥،٥٦) في: ٤٧/٣، بعد بيتين للعونيّ مصدّرين بقوله: (وقال).

- والأبيات من (٥٧-٦٠) في: ٧٩/٣ مسبوقةً (الألفية)، ومن (٦١-٦٣) في: ١٧/٣، مسبوقة بكلمتي (ابن علويّة)، والبيتان (٦٤،٦٥)، في: ٤٠/٤، مسبوقين بكلمة (الأصفهانيّ)، ومن (٧٥-٧٨) في: ٣٤٠/٢، مُصدَّرةً بكلمتي (ابن عَلَوِيَّة)، ومن (٧٩-٨٥) في: ٣٤٤/٢، مسبوقةً بالكلمتين أنفسهما، ومن (٨٦-٩٠) في: ٤١١/٢، مُصدَّرةً بقوله: (ابن الأصفهانيّ في كلمة)، والبيتان (٩١،٩٢) في ٤٠٤/٢، مسبوقين بكلمة (الأصفهانيّ)، والبيت الرابع مع الأبيات من(٩٣-٩٧) في: ٦١/٣، مسبوقةً بكلمتي (ابن علويّة)، والبيتان (٩٨،٩٩) في: ٢٩٧/٣، لابن علويّة، ومن (١٠٩ -١١١) في: ٢٢٢/٢، لابن الأسود، ومن(١١٢-١١٤) في: ٢٤٤/٣، مسبوقةً بكلمة (المحبَّرة)، ومن(١١٥- ١١٧) في: ١٨٠/٢، مُصدَّرةً بكلمة (الكاتب)، والبيتان (١١٨، ١١٩) في: ١١٩/٣، مسبوقين بكلمتي(لابن علويّة)، والبيتان (١٢٠،١٢١) في: ٨٦/٢، مستهلّيْنِ بكلمة (الأصفهانيّ)، ومن (١٢٢-١٣٤) في: ١٦١/٢ – ١٦٢، لابن الأسود الكاتب، والبيتان (١٣٥،١٣٦) في: ٧٣/٢، مسبوقين بكلمتي (لابن علويّة)، والبيتان (١٣٧،١٣٨) في: ١٢٥/٣، مسبوقين بكلمة (المحبّرة)، ومن (١٣٩-١٥٥) في: ٩٣/٢-٩٤ (المحبَّرة)، ومن (١٥٦-١٦٠) في: ٢٧١/٢، (المحبّرة)، ومن (١٦١-١٦٥) في: ٣٢٠/٢ للأصفهانيّ، ومن (١٦٦-١٧٢) في: ٣٠١/٣-٣٠٢، (الألفية)، ومن(١٧٣-١٧٧) في: ١٤٨/٢. لابن علويّة الأصفهانيّ، ومن (١٧٨- ١٨٤) في: ١٥٥/٣-١٥٦، للأسود، ومن (١٨٥-١٨٧) في: ٣٣٢/٢، لابن علويّة، ومن (١٨٨-١٩٠) في: ٣٣٧/٢، للأصفهانيّ، والبيتان (١٩١،١٩٢) في: ٢٦٧/٣، مسبوقين بكلمة (المحبَّرة)، ومن (١٩٣-١٩٨) في: ٣٩٤/٣، للأصفهانيّ، ومن (١٩٩ -٢٠٤) في:

١٤/٣، للأصفهانيّ، ومن (٢٠٥-٢٠٧) في: ٣٥٨/٢، للأصفهانيّ، ومن (٢٠٩-٢١١) في: ٤٤٧/٣، لابن علويّة.

- والسادس مع (١٤-١٩، و ١٢٣، ١٤٥، ١٦٢-١٨٦) له في (موسوعة الإمام علي ابن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ): ٢٧/٩-٣٠.
- ومن (٢٠٦ – ٢٠٩)، ومن (١٠-٢٤، ٢٦، ٣٤)، ومن (٤٩ -٥٩) له في (الطليعة من شعراء الشيعة): ١٠٧/١ – ١٠٩. (٨، ومن٤٩ – ٦٠) له في (تحت راية الحق): ١٤٧، ومن (١٩٦-١٩٨) له في المصدر نفسه: ٢٧٨. والأول مع الثامن، ومن (٤٩-٦٠) له في (الغدير): ٣٤٧/٣. والأول مع الثامن، ومن (٤٩-٥٨) له في (عليّ في الكتاب والسنة والأدب): ٧٦/٤-٧٧.
- والبيتان (٤٩-٥٠) له في (الكنى والألقاب): ٢١٢/١ – ٢١٣، والبيتان (٩٢-٩٣) له في (جانب أحكام أمير المؤمنين): ٥٦.

(١١)

ب–وقال يهجو زامرًا، اسمه (حمدانُ) (البسيط):

١- حـذارِ يـا قـومُ مـن (حمـدانَ) وانتبهُوا
حـــذارِ يـــا ســـادتي مـــن زامـــرٍ زانـــي

٢-فمـــا يبالـــي إذا مـــا دبَّ مُغتلمًـــا
بـــــدا بصاحـــــب دار أو بضيفـــــانِ

(❖)المفردات:

١- الزامر: المُغنّي، المُطرِب بالنفخ في القصب، ونحوه.

٢- يُبالي: يكترث، ويهتم.

- دبَّ: مشى كالحيّة.
- المُغتلِم: الذي اشتدّت سورةُ شهوته، فانقاد.
- الضَّيفان: الضيوف.

(❖) التخريج:

- معجم الأدباء: ٧٤/٤، والوافي بالوفيات: ٢٥٤/٤.

(١٢)

جـ-وقال يصف بعض أحوال داعرٍ دبَّابٍ

(البسيط)

١- فـــاق البريـــة طُـــرًّا فـــي قيادتـــه
و...كُـــــلَّ ذوي نَـــــوْمٍ وســـــكران
٢- يســتنزل العُصْــمَ جهــدًا مــن معاقلهــا
حِذْقًــا ويجمَــعُ بيــن الذيــبِ والضــانِ

(❖) المفردات:

١- البريّة: الخلق.

- وُطرًّا: جميعًا.
- وورد الشطر الثاني في هذا البيت بلفظ (و... كلّ ذي...)، وبه يختل الوزنُ.

٢- العُصم: الإناث الحرائر، والمتزوجات.

- والمعاقل: الحُصون، والسُتور.
- والحذْقُ: شدّة الذكاء، والفهم.
- قوله: (يجمع بين الذيب والضان): كناية، أو مثل للجمع بين المتضادين.

(❖) التخريج:

روح الروح: ٤٧٩.

- وقال محقّقه: «له ثلاثة أبياتٍ على هذا الوزن والرويِّ والموضُوع - وهي القطعة السابقة - فلعلّ إحدى القطعتين تُكمل الأخرَى.».

المصادر والمراجع

القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية، ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١. آل وهب من الأسر الأدبية في العصر العباسيّ: د. يونس السامرائيّ، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٢. أحاديث مختارة من موضوعات الجوزقانيّ وابن الجوزيّ: شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن عثمان الذهبيّ (ت ٧٤٨هـ)، حقّقه وعلّق عليه: عبد الرحمن القيروانيّ، مطبعة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣. أدب الطف: أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر الهجري: جواد شُبَّر الخطيب، دار المرتضى للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، (صُدّر غلافاه باسم: سوانح الأفكار).

٤. أربعة شعراء عباسيّون: د. نورى القيسيّ وهلال ناجي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٥. أسباب النزول: أبو الحسن عليّ بن أحمد الواحديّ (ت ٤٦٨هـ)، مطبعة الإيمان، المنصورة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عمر النمريّ القرطبيّ (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: عليّ محمّد البجاويّ، دار نهضة مصر، القاهرة.

٧. أُسد الغابة في معرفة الصحابة: عزّ الدين أبو الحسن علي بن محمّد ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: محمّد إبراهيم البنا ومحمّد أحمد عاشور، دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٨. الاشتقاق: أبو بكر محمّد بن دريد الأزديّ (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجيّ، القاهرة، ١٣٧٨ هـ/ ١٩٧٨م.

٩. الإصابة في تمييز الصحابة: شهاب الدين أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عليّ البجاويّ، دار نهضة مصر، القاهرة.

١٠. الأعلام: خير الدين محمود محمّد الزركليّ (ت ١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، بيروت، ط١٣، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١١. أعيان الشيعة: السيّد محسن بن عبد الكريم الأمين العامليّ (ت١٣٧١هـ)، مطبعة الإنصاف، بيروت، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

١٢. أنساب الأشراف: أبو العباس أحمد بن يحيي بن جابر البلاذريّ (ت٢٧٩ هـ)، تحقيق: د. محمّد

حميد الله، دار المعارف بمصر، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

١٣. أهل البيت في الكتاب والسنة: محمّد الريشهريّ، دار الحديث الثقافية، قُم، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٥م.

١٤. أيام العرب في الإسلام: محمّد أبو الفضل إبراهيم وعليّ محمّد البجاويّ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط٤، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

١٥. إيضاح الاشتباه: الحسن بن يوسف ابن المطهّر العلّامة الحلّيّ (ت ٧٢٦هـ) تحقيق: محمّد الحسون، مطبعة النشر الإسلاميّ، جماعة المدرسين، قُم، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٦. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمّد بن يوسف الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م.

١٧. البداية والنهاية: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقيّ(ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣م)، م. الشرق الأوسط الثقافيّ، القاهرة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

١٨. بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنُحاة: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ (ت ٩١١ هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٩. تاريخ الأدب العربي، العصر العباسيّ الأول: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٧، ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦م.

٢٠. تاريخ التراث العربيّ: محمّد فؤاد سزكين، نقله إلى العربية: د. عرفة مصطفى، راجع الترجمة: محمود فهمي حجازي، وسعيد عبد الرحيم، مطبعة جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢١. تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن عليّ الخطيب البغداديّ (ت ٤٦٣هـ) المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

٢٢. تاريخ الرسل والملوك: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٢٣. تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر(ت ٥٧١ هـ)، دراسة وتحقيق: محب الدين العمرويّ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢٤. تحت راية الحقّ: عليّ محمّد عليّ دُخيِّل، دار المرتضى للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م، (صُدّر غلافه بكلمة (مجموعتي/١٠).

٢٥. تفسير القرآن العظيم: عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، دار التراث، القاهرة.

٢٦. تفسير كتاب الله العزيز: هود بن مُحكم الهواريّ (القرن الثالث الهجري)، تحقيق: بلحاج شريفي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م.

٢٧. تلخيص البيان في مجازات القرآن: أبو الحسن الشريف محمّد بن الحسين الرضيّ (ت ٤٠٦ هـ)، تحقيق: عليّ مقلد، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٨. تهذيب الآثار: محمّد بن جرير الطبريّ، قرأه وخرّج أحاديثه: محمود محمّد شاكر، مطبعة المدنيّ، القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٢٩. الجامع الصحيح: أبو عيسى محمّد بن عيسى الترمذيّ (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة فرج، دار الحديث، القاهرة.

٣٠. الجامع لأحكام القرآن: محمّد بن أحمد الأنصاريّ القرطبيّ (ت ٦٧١هـ)، دار الكاتب العربيّ، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٣١. جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين: محمّد أمين بن فضل الله محبّ الله بن محمّد المحبيّ (ت ١١١١هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣٢. حلية الأولياء في طبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانيّ (ت ٤٣٠هـ)، مطبعة الخانجيّ، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٣٣. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: أبو عبد الرحمن أحمد بن عليّ بن شعيب النسائيّ (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٤م)، قدّم له وخرّج أحاديثه: عبد الرحمن حسن محمود، مطبعة الآداب، القاهرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٤. الدُّر المنثور في التفسير المأثور: جلال الدين السيوطيّ(٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣٥. دلائل النبوة: أحمد بن الحسين البيهقيّ (ت ٤٥٨هـ) تحقيق: عبد المعطي قلعه جى، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٦. ديوان الإمام عليّ بن أبي طالب أقواله وحكمه وأدعيته وأمثاله قصص عدله وقضائه: عبد الرحيم ماردیني، دار المحبة دمشق ودار آية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٥م.

٣٧. ذخائر العُقبى في مناقب ذوي القُربى: أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن محبّ الدين الطبريّ (ت ٦٩٤ هـ)، مطبعة القدسيّ، القاهرة، ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٦م.

٣٨. رجال ابن داود (كشف المقال): تقي الدين الحسن بن عليّ الحلّيّ (ت ٧٤٠هـ)، تحقيق وتقديم: السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم، مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٣٩. رجال الطوسيّ: أبو جعفر محمّد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ): حقّقه وعلّق عليه وقدّم له: السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم، مطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

٤٠. رجال النجاشيّ: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الأسديّ الكوفيّ (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيّد موسى الزنجانيّ، مطبعة النشر الإسلاميّ، قُم، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٤١. روح الروح: مؤلّف مجهول من القرن الخامس الهجريّ، الحادي عشر الميلاديّ: عُني بتحقيقه: إبراهيم صالح، هيأة أبو ظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافيّ، أبو ظبي، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م.

٤٢. الرياض النضرة في مناقب العشرة: أبو جعفر محبّ الدين الطبريّ، دار المنار للطبع والنشر

والتوزيع، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٤٣. السلاح في الإسلام: عبد الرحمن زكي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٦٠م.

٤٤. سُنن ابن ماجة: أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزوينيّ (ت ٢٧٥ هـ)، حقّق نصوصه: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.

٤٥. سنن أبي داود سليمان بن الأشعث الأزديّ (ت ٢٧٥ هـ)، راجعه وضبطه: محمّد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٦. السيرة النبوية: أبو محمّد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ)، حقّقها: مصطفى السقا وزميلاه، مطبعة الحلبيّ، القاهرة، ط٢، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

٤٧. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: مهدي رزق الله أحمد، م. الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٤٨. شعر آل أبي أمية الكاتب مضامينه وخصائصه الفنية: عبد المجيد الإسداويّ، دار حراء، المنيا، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٤٩. شعر أحمد بن يوسف الكاتب تجلياته وبناؤه التشكيليّ: د. عبد المجيد الإسداويّ، دار التيسير، المنيا، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٥٠. شعر الموسوسين في العصر العباسيّ دراسة نصّية وصفية تحليلية: عبد المجيد الإسداويّ، كتاب المجلة العربية، الرياض، رقم (١٩٨)، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.

٥١. شعر اليوسفيين دراسة فنية موازنة: عبد المجيد الإسداويّ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المنيا، الجزء (٦٥)، ٢٠٠٧م.

٥٢. الشعراء الكُتّاب في العراق في القرن الثالث الهجريّ: حسين العلّاق، مطبعة الأعلميّ، بيروت، ومطبعة التربية، بغداد، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٥٣. الشيعة وفنون الإسلام: السيّد حسن الصدر (ت ١٣٥٤هـ).

٥٤. صحيح ابن حبان: أبو حاتم التميميّ (ت ٣٥٤هـ)، بيت الأفكار الدولية، الأردن والسعودية.

٥٥. صحيح البخاريّ: محمّد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، ضبطه: محمّد عبد القادر عطا، دار التقوى، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٥٦. صحيح مسلم: أبو الحجّاج مسلم بن الحجّاج القشيريّ (ت ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١م.

٥٧. الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة: أحمد بن حجر الهيتميّ المكيّ (ت ٩٧٤ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٥٨. الطبقات الكبير: محمّد بن سعد الزهريّ (ت ٢٣٠ هـ)، تحقيق: عليّ محمّد عمر، الهيأة المصرية العامّة للكتّاب، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٥٩. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر بن قيّم الجوزية (ت ٧٥١ ه)، حقّقه وعلّق عليه: سيّد عمران، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ ه/ ٢٠٠٢م.

٦٠. الطليعة من شعراء الشيعة: محمّد بن طاهر السماويّ (ت ١٣٧١ه)، تحقيق: كامل سلمان الجبوريّ، دار المؤرّخ العربيّ، بيروت، ١٤٢٢ ه/ ٢٠٠١م.

٦١. عجائب أحكام أمير المؤمنين: السيّد محمّد العامليّ، تحقيق: حسون كريم، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ١٤١٩ه/ ١٩٩٨م.

٦٢. عليٌّ في الكتاب والسنة والأدب: حسين الشاكريّ، مطبعة ستارة، قُم، ١٤١٨ه/ ١٩٩٨م.

٦٣. العمدة في صناعة الشعر ونقده: أبو عليّ الحسن بن رشيق القيروانيّ(ت ٤٦٣ه)، حقّقه: النبوي شعلان، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٠ ه/ ١٩٩٩م.

٦٤. عوائد الأيام: أحمد بن محمّد مهدي النراقيّ (ت ١٢٤٥ه)، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، قُم، ١٤١٧ه/ ١٩٩٦م.

٦٥. عيون أخبار الرضا: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القُميّ الصدوق (ت ٣٨١ه)، صحّحه وقدّم له: حسين الأعلميّ، مطبعة الأعلميّ، بيروت، ١٤٢٦ه/ ٢٠٠٥م.

٦٦. الغدير في الكتاب والسنة والأدب: عبد الحسين الأمينيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٣، ١٣٨٧ه/ ١٩٦٧م.

٦٧. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمّد القمّيّ النيسابوريّ (ت ٧٢٨ ه)، تحقيق ومراجعة: إبراهيم عوض عطوة، مطبعة الحلبيّ، القاهرة، ١٣٨٢ ه/ ١٩٦٢م.

٦٨. غزوات الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: مؤلّف مجهول، مطبعة التعاون، بيروت.

٦٩. الفضائل: أبو الفضل سديد الدين شاذان بن جبرائيل (ت ٦٦٠ ه)، مطبعة الأعلميّ، بيروت، ١٤٠٨ه/ ١٩٨٨م.

٧٠. فقيه الأُمة ومرجع الأئمة علي بن أبي طالب عليه السلام: محمّد بكر إسماعيل، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٦ه/ ٢٠٠٥م.

٧١. الفهرست: أبو الفرج محمّد بن إسحاق بن النديم الورّاق (ت بين ٣٨٥- ٤٣٨ه)، دراسة وتحقيق: د. شعبان خليفة ووليد العوزة، مطبعة العربيّ للنشر، القاهرة، ١٤١١ ه/ ١٩٩١م.

٧٢. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: محمّد بن عليّ الشوكانيّ (ت ١٢٥٠ه)، حقّقه: عبد الرحمن المعلميّ، دار الباز، مكّة المكرمة.

٧٣. في أدب أحمد بن يوسف الكاتب والشاعر: محمّد يونس عبد العال، دار حراء، المنيا، ١٤٠٦ه/ ١٩٨٦م.

٧٤. قاموس الأمثال العربية التراثية: عفيف عبد الرحمن، مطبعة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٨ه/ ١٩٩٨ م.

٧٥. قاموس الرجال: آية الله محمّد تقي التُستريّ، مطبعة النشر الإسلاميّ، قُم، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٧٦. القاموس المحيط: مجد الدين أبو الطاهر محمّد بن يعقوب الفيروزآباديّ (ت ٨١٧ هـ)، مطبعة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م.

٧٧. قضاء أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: محمّد تقي التستريّ، مطبعة الحيدرية، النجف، ط٥، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.

٧٨. كتاب الأمثال: أبو عبيد القاسم بن سلّام (ت٢٢٤هـ)، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

٧٩. كتاب سُليم: سُليم بن قيس الهلاليّ (ت ٧٦هـ)، حقّقه: محمّد باقر الزنجانيّ، انتشارات دليل ما، قُم، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٨٠. الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله محمود بن عمر الزمخشريّ (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربيّ، بيروت.

٨١. كشّاف معجم المؤلّفين لكحّالة: فراج عطا سالم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨ م.

٨٢. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، مطبعة المثنى، بغداد، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٨٣. كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: بهاء الدين أبو الحسن عليّ بن عيسى الإربلّيّ (ت ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م)، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٨٤. الكُنى والألقاب: عباس بن محمّد رضا القُمّيّ (ت ١٣٥٩ هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

٨٥. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: المتقي علاء الدين عليّ بن حسام الدين عبد الملك الهنديّ (ت ٩٧٥ هـ)، مطبعة التراث الإسلاميّ، حلب، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م.

٨٦. اللآلئ المصنوعة من الأحاديث المصنوعة: جلال الدين السيوطيّ(٩١١هـ)، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م.

٨٧. لُباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطيّ(٩١١هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.

٨٨. المؤدبون الشعراء في العصرين الأمويّ والعباسيّ: د. عبد المجيد الإسداويّ، مكتبة عرفات، الزقازيق، الإصدار الثاني، ١٤٣٣ هـ/ ٢٠١٢م.

٨٩. مباهج الفكر ومناهج العبر: جمال الدين محمّد بن إبراهيم الوطواط (ت ٧١٨ هـ) دراسة وتحقيق: عبد الرزاق أحمد الحربيّ، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م.

٩٠. المجازات النبوية: الشريف الرضيّ، تحقيق وشرح: طه الزينيّ، مطبعة الحلبيّ، القاهرة، ١٣٨٧هـ/

١٩٦٧ م.

٩١. مجمع الأمثال: أحمد بن محمّد النيسابوريّ المعروف بالميدانيّ(ت٥١٨ه)، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضوية المقدّسة، مشهد المقدّسة، ١٣٦٦ش.

٩٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين عليّ بن أبي بكر الهيثميّ (ت ٨٠٧ ه)، تحقيق: عبد الله درويش، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ ه/ ١٩٩٢ م.

٩٣. المحاسن والمساوئ: إبراهيم بن محمّد البيهقيّ (ت ٣٢٠ ه)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٤١١ه/١٩٩١م.

٩٤. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: أبو القاسم الحسين بن محمّد الراغب الأصفهانيّ (ت ٥٠٢ه)، تحقيق / د. رياض عبد الحميد مراد، دار صادر، بيروت، ١٤٢٥ه/ ٢٠٠٤م.

٩٥. المستدرك على الصحيحين في الحديث: أبو عبد الله بن محمّد الحاكم (ت ٤٠٥ ه)، مطبعة النصر الحديثة، الرياض.

٩٦. مستدركات علم رجال الحديث: عليّ النمازيّ الشاهروديّ، مطبعة شفق، طهران، ١٤١٢ ه/ ١٩٩٢م.

٩٧. المسند: أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ ه)، بيت الأفكار الدولية، الأردن والسعودية، ١٤٢٣ ه/ ٢٠٠٣ م.

٩٨. معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنّفين منهم قديمًا وحديثًا: رشيد الدين محمّد بن عليّ بن شهرآشوب المازندرانيّ (ت٥٨٨ ه)، مطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨١ ه/ ١٩٦١ م.

٩٩. معجم الأدباء: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الروميّ الحمويّ (ت٦٢٦ ه)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠ ه/ ١٩٨٠م.

١٠٠. معجم الأمثال العربية: رياض عبد الحميد مراد، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٧ ه/ ١٩٨٦م.

١٠١. معجم الأوثان والأصنام عند العرب: موفق فوزي الجبر، دار الكتاب العربيّ، القاهرة ودمشق، ١٤١٧ه/ ١٩٩٧م.

١٠٢. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: السيّد أبو القاسم بن عليّ أكبر الموسويّ الخوئيّ (ت١٤١٣ه)، ط٥، طهران، ١٤١٣ ه، / ١٩٩٢م.

١٠٣. معجم سيوف العرب: أحمد الفهد العريفيّ، مرام للطباعة الألكترونية، الرياض، ١٤٢١ ه/ ٢٠٠١م.

١٠٤. المعجم الصغير: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانيّ (ت ٣٦٠ ه)، تحقيق: عبد الرحمن محمّد عثمان، مطبعة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٨٨ ه/ ١٩٦٨م.

١٠٥. المعجم العربي لأسماء الملابس: رجب عبد الجواد إبراهيم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٣ ه/ ٢٠٠٢م.

١٠٦. المعجم الكبير: مجمع اللغة العربية، القاهرة،ج١(حرف الهمزة)، ج٣، (حرفا التاء والثاء)،

١٤١٢هـ وج٧، (حرف الدال)، ١٤٢٧ هـ.

١٠٧. معجم المؤلّفين: عمر رضا كحّالة (ت١٤٠٨هـ)، مطبعة الرسالة، بيروت، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.

١٠٨. معجم المعربات الفارسية: د. محمّد التونجيّ، مطبعة ناشرون، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.

١٠٩. معجم النباتات والزراعة: محمّد حسن آل ياسين (ت١٤٢٧هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، والمجمع العلميّ العراقيّ، بغداد، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م.

١١٠. مناقب آل أبي طالب: محمّد بن عليّ ابن شهرآشوب، تحقيق: يوسف البقاعيّ، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

١١١. مناقب الخوارزميّ: الموفّق بن أحمد (ت ٥٦٨هـ)، مطبعة البلاغ، بيروت، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٥م.

١١٢. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن الجوزيّ (ت ٥٩٧ هـ)، مطبعة المثنى، بغداد، ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٧م.

١١٣. موسوعة الإمام عليّ في الكتاب والسنة والتاريخ: محمّد الريشهريّ، ومساعدة محمّد كاظم الطباطبائيّ ومحمود الطباطبائيّ، دار الحديث، قُم، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م.

١١٤. موسوعة الحروب: هيثم هلال، دار المعرفة، بيروت،١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦م.

١١٥. موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية: عبد الحكيم العفيفيّ، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

١١٦. الميزان في تفسير القرآن: السّيد محمّد حسين الطباطبائيّ، مطبعة الأعلميّ، بيروت، ط٥، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م.

١١٧. النعيم المقيم لعترة النبأ العظيم: شرف الدين أبو محمّد عمر بن شجاع الدين الموصليّ (ت ٦٥٧ هـ)، تحقيق: السيّد عليّ عاشور، مطبعة الأعلميّ، بيروت، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م.

١١٨. نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويريّ (ت ٧٣٣هـ)، مطبعة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٤٢ هـ/ ١٩٢٢م.

١١٩. الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفديّ (ت ٧٦٤ هـ)، اعتناء: إحسان عباس، دار النشر فرانز شتاينر، شتوتغارت، ألمانيا، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.

١٢٠. وقعة صفين: نصر بن مزاحم المنقريّ (ت ٢١٢هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٢م.

١٢١. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أبو منصور عبد الملك بن محمّد الثعالبيّ (ت ٤٢٩ هـ)، شرح وتحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م.

١٢٢. ينابيع المودة لذوي القُربى: سليمان بن إبراهيم القندوزيّ الحنفيّ (ت ١٢٩٤ هـ)، تحقيق: عليّ الحسينيّ، دار الأسوة، طهران، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦م.

علم المخطوط العربيّ
وأثره في تعزيز ثقافة المحقّق؛
معَايير تقدير عمر النُّسخ الخطيّة
ومكان نسخها

Arabic manuscript science and its impact on enhancing the culture of the annotator

Criteria for estimating the age of the written copies and and the place of their script

إياد خالد الطبّاع

محقّق وباحث تراثيّ

سوريا

Ayad Khalid Al-Tabba'a

Heritage Annotator and Researcher

Syria

الملخّص

يُعالج «علم المخطوط العربيّ» مباحث ستة، هي: تاريخ المخطوط، والكيان المادي للمخطوط، وتوثيق المخطوطات وتقييمها، والصيانة والترميم والتصوير، والفهرسة والضبط الوراقيّ، والتحقيق والنشر.

وتبرز أهمية ثقافة المحقق في تعزيزها في مجالات: تاريخ المخطوط، والكيان المادي للمخطوط، وتوثيق المخطوطات وتقييمها. ويهتمّ البحث بوضع معايير تقدير عمر النُّسخ الخطّية وتاريخ نسخها، وهي مهمّة للمحقّق في معرفة: تاريخ النسخ، ومكانه، وتوصيف المخطوطات، و توثيقها، وتقييمها كمعرفة الخط وتاريخ نشوئه، وانتشاره، وأنواعه. فضلا عن موضوع النَّقْط والشَّكْل، وصُوره ومَحالّ وضعه على طريقة المتقدّمين والمتأخّرين. وتأتي الحواشي والهوامش وتحديد تأريخ ظهورها، والسماعات وأسانيد النسخة لتشكّل مطلبًا مهمًّا في تقدير عمر المخطوط ومكان نسخه، ويتبع ذلك التقييدات والأختام والتوقيعات. ومن المهمّات للمحقّق إلمامه بمصادر القراءات القرآنية، وتاريخها، وانتشارها في البلدان، لِما لها من أثر في معرفة مكان كتابة النسخة، وكذلك تأريخ ظهور التعقيبات، وعنوان الكتاب، ولغة الكتاب، والناسخ، ومكان النسخ، وتاريخ النسخ، والمؤلّف وشخصيته، والوَقْف، وتجنّب التزوير والاحتيال في عالم المخطوطات.

Abstract

Arabic Manuscript Science deals with six sections: history of the manuscript, the physical entity of the manuscript, documenting and evaluating manuscripts, maintenance, repair and copying, indexing and the general description of the manuscript and annotation and publication. The importance of the culture of the annotator highlights in promoting them in aspects: history of the manuscript, the physical entity of the manuscript, documenting and evaluating manuscripts.

The research deals with giving criteria for estimating the age of the written copies and the date of copying them. It is important for the annotator to know: the time and place of the copies, and a description of the manuscripts, documenting them, and evaluating them as knowing the script and its time , its dissemination and its types as well as the subject of dots and shape, images and position placed on the method of the former and latter. Then coming the margins , footnotes and the date of their appearance.

The listening and the narration of the copy come to form an important requirement in estimating the age of the manuscript and the place of its copy. This is followed by records, seals and signatures. Among the tasks that the annotator, he/she should know the sources of Quranic recitations ,their history, and their spreading in countries. Because of their effect in knowing where the copy was written, as well as the date of the appearance of comments, the title of the book, the language of the book, the transcriber, the place of the scripts, the date of the copies, the author and his character, endowment and the avoidance of forgery and fraud in the world of manuscripts.

المقدّمة

تُعدّ مسألة تقدير عمر المخطوط ومكان نسخه من المسائل المهمّة والشّائكة في علم المخطوطات، وهذا الموضوع يحتاج إليه خبراء المخطوطات، ومُفهرِسوها، ومُرمّموها، والباحثون في مجال التراث العربيّ، والمحقّقون، وكلّ مَنْ له عناية بشأنها.

أمّا الحدود الزمنية لهذه الدراسة فقد قيّدتها بالمخطوط العربي منذ فجر الإسلام حتّى عصر الخلافة الإسلاميّة، أمّا مادّة البحث ومحتواه فقد تمّ إعدادها من مصادر متناثرة قرّبتْ البعيد، وجعلت القريب سهل التناول، فضلاً عمّا أودعتُه من خبرة علميّة وعمليّة طويلة في هذا المجال؛ فقد كتب الله لي أن طوّفتُ أشهرَ المكتبات الخطية في العالم، واطّلعتُ على مدارس مختلفة في كتابة المخطوط العربي وصناعته، وقابلتُ المشتغلين في ذلك مشرقاً ومغرباً، وعملتُ خبيراً للمخطوطات في جهات عدّة؛ فتحصّل لي من ذلك زاد أردتُ تقديمه وصوغه في إطار علميّ نافع.

إنّ أوّل شيء يُمكن قوله في هذا الباب وأُحبّ أن أُبيّنه: إنَّ المخطوط هو ابن بيئته وعصره، وتأويل ذلك أنّ كثيراً ما تكون الموادّ المصنوعة منه كالورق، والمِداد، والجلد آتية من المكان الذي صُنع منه الكتاب، إضافةً إلى كون الناسخ الذي قام على كتابته، والمزخرِف الذي أنّقه، والمجلِّد الذي اعتنى بتجليده وتذهيبه، قاموا بفعل ذلك بحسب القواعد والأعراف والتقاليد الجارية في عصرهم؛ لذلك فإنّ ظهورَ سِمات العصر الذي تمّ فيه صُنْع المخطوط أمرٌ بَديهيّ، ولا يبقى على الباحث إلّا تلمّس ذلك لتقديم تحديدٍ تقريبيّ لعمر نسخه و مكانه.

وتبقى مسألة تقدير عمر المخطوط ومكان نسخه من الموضوعات التي تحتاج إلى حرفيّةٍ عاليّة؛ إذ ينضمّ إليها خبرة طويلة، ودربة فائقة، واهتمام بالغ، ودراسة متأنيّة، وتقنيات أصبحت متاحةً اليوم أمام خبراء الترميم وعلماء المخطوطات، وحال الوثائق أيضاً مثل حال المخطوطات.

المعيار الأول: الخطّ والكتابة:

الذي يعنينا في هذا المعيار هو الموضوعات الآتية:

- الخطّ العربيّ منذ ظهور الإسلام وأنواعه حتى نهاية الدولة العثمانيّة، وهي المدّة التي تعدّ مدوّناتها في حُكم المخطوط الواجب العناية به، ولو مرحلياً.
- تاريخ ظهور أنواع الخطوط العربية، وهو دليل مفيد على أنّ المخطوطَ الذي بين أيدينا كُتِبَ في عصر ظهور ذلك الخطّ أو بعده.
- جغرافيةُ انتشار أنواع الخطوط العربية في العالم الإسلاميّ، وذلك يفيدنا إلى حدٍّ كبير في معرفة مكان النسخ، أو بلد الناسخ على الأصحّ؛ لأنّ الناسخ المغربيَّ قد يكتب بالخطّ المغربيّ كتاباً في مصر أو الحجاز أو الشام، وهي بلاد لا تكتب بذلك النوع من الخطّ.

ويجب علينا في الأحوال جميعها تدقيق النظر، وتمحيص البصر فيما نراه مخطوطاً؛ فحركةُ التزوير في الخطّ العربي صناعة رائجة مَثَلُها مثل الزخرفة؛ لذلك فإنّ ما يُدعى الآن بالكتاب المطبوع المزوّر ليس أمراً حَدَثاً، بل شأواً ضارباً جذوره في تاريخ الورّاقين والنَّسَّاخين.

تطور الخطّ بفتح العرب للأمصار

يقول ابن خلدون: «ثم لمّا جاء الملك للعرب، وفتحوا الأمصار، وملكوا الممالك، ونزلوا البصرة والكوفة، واحتاجت الدولة إلى الكتابة استعملوا الخطّ، وطلبوا صناعته وتعلّمه، وتداولوه فترقّت الإجادة فيه، واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبةً من الإتقان إلّا أنها كانت دون الغاية، والخطّ الكوفيّ معروف الرسم لهذا العهد، ثم انتشر العرب في الأقطار والممالك وافتتحوا إفريقيّة والأندلس، واختطّ بنو العباس بغداد، وترقّت الخطوط فيها إلى الغاية لما استجرت في العمران، وكانت دار الإسلام ومركز الدولة العربية، وكان الخطّ البغداديّ معروف الرسم، وتبعه الإفريقيّ المعروف رسمه القديم لهذا العهد، ويقرب من أوضاع الخطّ المشرقيّ، وتحيّز ملك الأندلس بالأمويين، فتميّزوا بأحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط، فتميّز صنف خطّهم الأندلسيّ كما هو معروف الرسم لهذا العهد، وطما بحر العمران والحضارة في الدول الإسلامية في كلّ قطر، وعظُم الملك ونفقت

أسواق العلوم وانتسخت الكتب، وأُجيد كتبها وتجليدها، وملئت بها القصور والخزائن الملوكيّة بما لا كفاء له»[١].

انتقال العلم والخطّ والكتابة من بغداد إلى مصر

يقول ابن خلدون: «وتنافس أهل الأقطار في ذلك وتناغوا فيه، ثمّ لمّا انحلّ نظام الدولة الإسلامية وتناقصت تناقص ذلك أجمع، ودُرست معالم بغداد بدروس الخلافة، فانتقل شأنها من الخطّ والكتابة، بل والعلم إلى مصر والقاهرة، فلم تزل أسواقه بها نافقة لهذا العهد، وله بها معلّمون يرسمون لتعليم الحروف بقوانين في وضعها وأشكالها متعارفة بينهم، فلا يلبث المتعلّم أن يحكم أشكال تلك الحروف على تلك الأوضاع وقد لقنها حسناً وحذق فيها دربة وكتاباً، وأخذها قوانين علمية، فتجيء أحسن ما يكون»[٢].

وضع قواعد الخطّ

اعتنى النُّسّاخ في القرون الهجرية الأولى، وبعد الفتح الإسلاميّ وانتشار الإسلام فيها بوضع قواعد للخطوط، بعد أن بدأت صناعة الوراقة تروج، وذلك مع النشاط الحضاريّ للعلماء في العالم الإسلاميّ، فعُرف منهم: قطبة المحرر، والضحاك بن عجلان (ت ١٣٦ هـ)، وإسحاق بن حمّاد (ت ١٦٩هـ)، ويوسف الشجريّ (ت ٢١٨هـ)، وابن مقلة في العراق (ت ٣٣٨ هـ)، وإسحاق بن إبراهيم الأحول (الأحول المحرر) وشقيقه، وحسن فارس (ت ٣٧٢هـ) بفارس، وإبراهيم مُنيف في تركية (ت٨٦٠ هـ)، ومير عليّ سلطان في تركية (ت ٩١٩ هـ) والمستشار ممتاز بك في تركية (ت ١٢٨٠ هـ)، وعارف حكمت في تركية (ت ١٣٣٣ هـ)، و الأستاذ شفيع أو شعيعا، وعبد المجيد طالقانيّ، ومحمّد حسن الطبيّ بمصر.

وفي القرن الثالث الهجريّ لمّا كثر عدد الخطوط، وتنوّعت أشكالها، وتداخلت الأنواع، وتشابهت رسوم حروفها ظهرت الحاجة إلى تركيز أنواعها وتصفية المتشابه منها، والاقتصار على أوضحها وأجملها، وقد قام بذلك ابن مقلة واستخلص أنواعاً ستة، هي:

الثّلث، والنّسخ، والتواقيع، والريحان، والمحقَّق، والرِّقاع.

(١) مقدمة ابن خلدون: ابن خلدون: ٤١٩.

(٢) مقدمة ابن خلدون: الفصل الثلاثون: ٤١٧.

وجاء ياقوت المستعصميّ(ت ٦٨٩هـ) فأجادها، وكانت تُستعمل في دواوين الإنشاء.

وذكرها القلقشنديّ (ت٨٢١هـ) كالآتي: الطومار – الثّلث الثقيل – الثّلث الخفيف– التوقيع – الرّقاع– الغبار.

أمّا حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) فقد ذكرها كالآتي: الثّلث – النّسخ – التعليق – الريحان – المحقَّق – الرِّقاع[١].

وقد نَظَم الشيخ محمّد طاهر الكُرديّ المكيّ الخطّاط (ت ١٤٠٠هـ)[٢] أبياتاً تضمّنت أسماء هذه الخطوط، وهي: الكوفي – الثّلث – النّسخ –الرقعة – الفارسي – التوقيع. وهذه الأنواع هي ما استقرّ عليه الخطّ بأسمائه وأنواعه في العصر الحديث، ويضاف إليها الخطّ المغربيّ الإفريقيّ الموحّد[٣].

المعيار الثاني: النَّقْط والشَّكْل

كانت الكتابة العربية خِلواً من الإشارات أو الأحرف التي تدلّ على الأصوات القصيرة، ومن النَّقْط الذي يُساعد على التَميز بين الحروف المتشابهة في أشكالها، وكان دأبهم ضبط نصّ القرآن الكريم ضبطاً صحيحاً يحولون به دون أيّ نوع من التحريف، والمعروف أنّ الخطوة الأولى التي سبقت في هذا الموضوع هي الخدمة التي قام بها أبو الأسود الدؤليّ (ت٦٩هـ) لنقط المصحف (أي الشَّكْل)؛ فكان يقرأ المصحف على كاتبٍ فصيح اللغة، ثمّ يأمره بوضع نقطة فوق الحرف للدلالة على الفتح، ونقطةٍ تحته للدلالة على الكسر، ونقطةٍ بين يدَي الحرف للدلالة على الضمّ، ونقطتين للدلالة على التنوين.

وتدلّنا الروايات الخاصة بأنّ نصر بن عاصم الليثيّ (ت٨٩هـ)، ويحيى بن يَعْمُر (ت١٢٩هـ) هما أوّلُ مَن قاما بنَقْط المصاحف، على أنّ هذين الرجلين هما اللذان قاما بإتمام عمل أبي الأسود الدؤليّ من بعده، إذ يبدو أنّ الذي قام به أبو الأسود لم يكن معمّماً.

---

(١) كشف الظنون: ٧١١/١.

(٢) خطّاط مؤرخ متفنّن، مولده بمكة المكرمة سنة ١٣٢١هـ ووفاته فيها، درس في الأزهر وفي مدرسة تحسين الخطوط العربية، أشهر كتبه «تاريخ الخطّ العربي وآدابه» ينظر: تتمة الأعلام: ٩٥/٢.

(٣) الخطّ العربي من خلال المخطوطات: مركز الملك فيصل: ٤٢-٤٣.

أمّا عن الحروف المنقوطة فخلاصة القول فيها، إنّ وضع النّقط على بعض الحروف كان في عهد النبيّﷺ؛ فقد أوصى النبيّﷺ كاتبه معاوية برقش الحروف، فلمّا سأله معاوية عن الرقش قال له إنّه إعطاء كلّ حرف ما ينوبه من النَّقْط، حتى يتميّز عمّا يشبهه من الأحرف الأخرى.

وتؤكّد بعض الوثائق الموجودة على أنّ الحروف المنقوطة كانت موجودة في النصف الأول من القرن الهجريّ الأول قبل نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بزمن طويل، فنرى على إحدى البَرْدِيات المؤرّخة في عام (٢٢) من الهجرة وجود نقطٍ على الأحرف (خ ذ ز ش ن) في بداية الكلمة ووسطها، وعلى نقشٍ مؤرّخ في (٥٨هـ) وجود نقطٍ على الأحرف(ب ت ث ي) في بداية الكلمة ووسطها، غير أنه يجب الإشارة إلى أنّ هذه الحروف لم تكن توضع عليها النقاط دائماً، بل كانت في مواضع يُرى من اللّازم وضعها عليها، حتى لقد اسْتُخدم النقط والشكل في البداية عند كتابة الوحي وإن كان محدوداً، ثم قام الصحابة فجَرّدوا المصحف منه، ولمّا خيف على المصحف الشريف من اللحن والتصحيف شكّلوه أولاً، ثم وضعوا النقط على الحروف[١].

وقد كانت النّقط التي وضعها أبو الأسود على الحروف للدلالة على الشكل (الحركة) مستديرة؛ ولأنّها كانت تعدّ إضافةً على المتن المكتوب بالمداد الأسود، فقد كُتبت تلك النقط بمدادٍ أحمر حتى تختلف عنه.

وفي الواقع فإنّهم بَدءاً من أواخر القرن الأول الهجريّ وأوائل القرن الثاني استخدموا مداداً بألوان معينّة لإشارات الكتابة في المصاحف التي استنسخت في مراكز العالم الإسلاميّ، وخاصّةً بالخطّ الكوفيّ.

ففي المدينة المنورة مثلاً كانت النّقط التي تدّل على الحركات والإشارات؛ مثل التشديد والتخفيف التي أُضيفت إلى إشاراتٍ للكتابة فيما بعد تُكتب بالمداد الأحمر، بينما رُسمت النّقط التي تمثل الهمزة بالأصفر.

وقد استخدم علماء العراق للهمزات أيضاً مداداً أحمر، بينما استخدم بعض علماء

(١) المخطوط العربي؛ دراسة في أبعاد الزمان والمكان: إياد خالد الطباع: ٤٦.

الكوفة والبصرة ألواناً مختلفة للدلالة على القراءات المشهورة والشّاذة والمتروكة، واستخدموا آنذاك المداد الأخضر[١].

وقد ارتبطت بلاد المغرب - ومعها الأندلس - بمنهج المدينة؛ فقد وضعت لحركة همزة الوصل التي تأتي في أول الكلمة نقطةٌ خضراء أو لازَوَرد.

صور الشّكل ومَحالُّ وضعه على طريقة المتقدّمين والمتأخرين:

كان المتقدّمون يميلون في شكلٍ غالب الصور إلى النقط بلون يخالف لون الكتابة.

قال الشيخ أبو عمرو الدانيرحمه الله: وأرى أن يُستعمل للنَّقط لونان: الحمرة والصفرة، فتكون الحمرة للحركات، والتنوين، والتشديد، والتخفيف، والسكون، والوصل، والمدّ، وتكون الصفرة للهمزة خاصة.

قال: وعلى ذلك مصاحف أهل المدينة، ثم قال: وإن استعملت الخضرة للابتداء بألفات الوصل على ما أحدثه أهلُ بلدنا بأساً، قال: ولا أستجيز النَّقطَ بالسواد لما فيه من التغيير لصورة الرسم، وقد وردت الكراهة لذلك عن عبد الله بن مسعود، وعن غيره من علماء الأمة.

أمّا المتأخرون فقد أحدثوا لذلك صوراً مختلفة الأشكال؛ لمناسبة تخصّ كلّ شكلٍ منها، ومن أجل اختلاف صُورها وتبايُن أشكالها رَخَّصوا في رسمها بالسواد[٢].

نقط الحروف:

اصطلح العلماء على نقطٍ استخدموها لتمييز الحروف المتشابهة، فهناك الحروف المعجمة، وهناك الحروف المهملة؛ فالحروف المهملة هي الحروف التي تخلو من النقط، والحروف المعجمة هي الحروف التي وُضع عليها النقط، فميّزوا حرفي الدال والذال بإهمال الأول وإعجام الثاني بنقطةٍ واحدة علوية، وكذلك الراء والزاي، والصاد

(١) ينظر: صبح الأعشى: القلقشنديّ: ٣/١٦٠-١٦٥.

(٢) النقط (مطبوع مع كتاب المقنع فى رسم مصاحف الأمصار)، أبو عمرو الداني: ١٣٠، ونقله القلقشندي عنه في صبح الأعشى: ١٥٩/٣.

والضاد، والطاء والظاء، والعين والغين، ثم جاؤوا إلى السين والشين فميّزوهما بإهمال الأولى وإعجام الشين بثلاث نقط لها أسنان؛ ولأنّه لو أُعجمت بنقطةٍ واحدة لتوهّم مَن يقرأ أنّ الجزء المنقوط نون والباقي حرفان.

أمّا الباء والتاء والثاء والنون والياء فلم تجعل واحدة منهنّ مهملة، بل أُعجمت كلّها[١].

أمّا الجيم والحاء والخاء؛ فقد جُعلت الحاء مهملةً وأُعجمت الأُخريان، واحدة من تحت والأخرى من فوق.

أمّا الفاء والقاف فلم تهملا، وإنّما نُقطتا جميعاً؛ أخذت الفاء نقطةً واحدة والقاف نقطتين كليهما من أعلى.

أمّا المغاربة فقد نقطوا الفاء بنقطةٍ واحدة من أسفل، والقاف نقطة واحدة من أعلى، علماً أنّ القياس هو أن تهمل الأولى وتنقط الثانية؛ جرياً على ما تمّ عند نقط الدال والذال وغيرهما ممّا ينقط[٢].

على أنّ الدانيّ قد خطّأ المشارقة والمغاربة في نقط الفاء والقاف[٣]؛ وتعليل ذلك أنّ الخليل بن أحمد في روايته عن نقط الحروف قال عند نقط الفاء والقاف:»...والفاء إذا وصلت فوقها واحدة، وإذا انفصلت لم تُنقط؛ لأنّها لا يُلابسها شيء من الصور، والقاف إذا وُصلت فتحتها واحدة. وقد نقطها ناسٌ من فوقها اثنتين، فإذا فُصلت لم تنقط؛ لأنّ صورتها أعظم من صورة الواو«.

إذن يظهر من هذا القول أنّ مَن ينقط القاف بنقطتين كان هو الشاذ، علماً أنّ الداني في موضعٍ آخر يصف أهل المشرق بأنّهم ينقطون القاف بنقطتين[٤]، ولعلّ هذا كان مشهوراً في عصر الداني، وليس في عصر الخليل بن أحمد.

(١) المحكم في نقط المصاحف: الداني: ٣٧.

(٢) المحكم في نقط المصاحف: ٣٧- ٣٨، الخطاطة: الدالي: ٦٢، دراسة فنية لمصحف مبكّر محفوظ في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض: عبد الله محمّد عبد الله المنيف: ١٤٣-١٤٤.

(٣) المحكم في نقط المصاحف: ٣٥-٣٦.

(٤) المحكم في نقط المصاحف: ٣٧.

وقد وُجدت نماذج مخطوطة يظهر عليها ما يقول به الخليل بن أحمد[١].

وأشار القلقشنديّ في - القرن التاسع الهجريّ - إلى أنّ القاف لا تنقط إلّا من أعلاها، فيقول: «وأمّا القاف فلا خلاف بين أهل الخطّ أنها تنقط من أعلاها إلّا أنّ من نقط الفاء بواحدةٍ من أعلاها نقط القاف باثنتين من أعلاها؛ ليحصل الفرق بينهما، ومن نقط الفاء من أسفلها نقط القاف من أعلاها»[٢].

المعيار الثالث: الحواشي والهوامش

يظهر أنّ الحواشي والهوامش أتت متأخرةً في تاريخ النَّساخة العربية، وفي ذلك يقول روزنتال: ((وفي عصر المخطوطات عندما كانوا ينشرون مخطوطةً ما، لم يتركوا مجالاً لا للحواشي ولا للهوامش. ولكن الناس شعروا بالحاجة إلى هذا الفراغ لإثبات الهوامش والحواشي، ولذلك اصطلحوا على أسلوبٍ يُغني عنهما، وهو ما ظهر في بَدء القرن الثالث عشر الميلادي (= السابع الهجريّ)، عندما أخذ المؤلّفون يدرجون في المتن ذاته بقولهم: (تنبيه)، أو (فائدة)، أو (تعليق)، أو (بيان)، أو (حاشية)، وفي أحيانٍ قليلة كانوا يستعملون تعابير أخرى مثل (مهم يتعين ههنا ذكره)، أو (إشارة لطيفة)، أو (مبحث شريف)))[٣].

المعيار الرابع: في السماعات

اعتنى العلماء – وأهل الحديث خاصة – بضبط مصنّفاتهم، والتحري في نقلها، واستخدمت في مجالس التحديث وسائل لهذا الضبط ببيان مَن قرأ الكتاب عليه، أو تلقّى منه، ومَن تولّى ضبط ذلك المجلس، ومَن شارك فيه، ومَن تَولّى القراءة، وأين كان ذلك، ومتى، وما القدر المقروء أو المسموع، وهل شارك الجميع في هذا القدر، وختم الكتاب، وتبيان اسم الناسخ وسنة النسخ، إلى غير ذلك مما يعدّ وثيقة تاريخية[٤].

---

(١) يُنظر: مصاحف صنعاء، دار الآثار الكويتية: ٦٥، شكل ٦١، نقلًا عن دراسة فنية لمصحف مبكّر محفوظ في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض.

(٢) صبح الأعشى: ١٥٣/٣.

(٣) مناهج العلماء والمسلمين في البحث العلميّ: فرانتز روزنتال: ١١١.

(٤) منهج تحقيق المخطوطات: إياد خالد الطبّاع: ٣٧.

وهذه السماعات في الحقيقة إنّما هي صورة من الصور التي عرفها العلماء القدامى عن الشهادات العلمية التي تُمنح اليوم؛ يقول الدكتور صلاح الدين المنجد: إنَّ هذه السماعات ظهرت في القرن الخامس الهجريّ عند ظهور المدارس وانتشارها في العالم الإسلاميّ، ففي هذا القرن عمدوا إلى ظاهرةٍ جيدة هي أن يثبتوا في آخر الكتاب أو صدره أو في ثناياه أسماء الذين سمعوه على مصنّفه أو على عالمٍ غيره، فإذا نسخ الطالب نسخةً من النسخة المحفوظة في المدرسة أو المسجد نقل أيضاً ما ثبت فيها من سماعات.

ويلاحظ أنّ هذه السماعات كانت تظهر وتنتقل مع ظهور مراكز العلم وانتقالها من مكانٍ إلى آخر، ففي القرن الخامس نجد سماعاتٍ كثيرة في بغداد، في حين لا نجد منها شيئاً في دمشق.

وفي القرن السادس بدأت تظهر السماعات في دمشق، ثم تزدهر في القرن السابع، في حين تضعف في بغداد، وتبدأ بالظهور في القاهرة، وقد كانت دمشق أسبق إلى تأسيس المدارس من القاهرة[١].

وكانت السماعات تُقيّد غالباً مقرونةً بمكان السّماع، فقد تكون في مدرسة فقهٍ أو حديث، أو دار للقرآن، أو جامع، أو مسجد، أو قرى يقطنها العلماء، أو بساتين يقصدها العلماء للنزهة في الريف، أو في منازل، كما ظهر لنا من خلال «معجم السماعات الدمشقية».

المعيار الخامس: في التقييدات والأختام والتوقيعات

تُعدّ العلامات المميّزة والشعارات التي تظهر على الأختام والدروع والأعلام وعلى الملابس من العلوم المساعدة، ويُسمّى «علم الرنوك» أو «الرنكيات» «Heraldr». ولايدخل في هذا الإطار الكؤوس والسيوف وشعارات النسر والهلال والصليب والأسد. وقد استخدمت الرنوك في أوربا في العصور الوسطى، كذلك استخدمها السلاجقة والأيوبيّون والمماليك والعثمانيّون، والواقع فإنّ معرفة الباحث لهذه الرنوك تجعله قادراً على إثبات

(١) محاضرات في المخطوط العربي، الجانب العلميّ: محمّد مطيع الحافظ: ٣٥.

صحة ما يقع تحت يده ممّا قد يُمحى من الإمضاء أو التاريخ[١]، أو إثبات ما الذي يظهر على الأختام.

وتُعدّ التقييدات التي نجدها على أوراق المخطوطات والوثائق، والأختام التي تظهر عليها، والتوقيعات الواضحة من صاحب الأثر دليلاً ذا قرينة في تقدير عمر المخطوط ومكان نسخه.

وقد حفِلت المخطوطات بتقييد الملكية والشراء، فيُذكر فيها: «دخل في ملك فلان..»، أو «انتقل هذا الكتاب بالشراء الشرعي إلخ» ونحو ذلك من العبارات الدالة على تقديم تأريخ تقريبيّ لهذا الموضوع.

المعيار السادس: في القراءات القرآنية

تعدّ القراءات القرآنية إحدى دلائل تقدير عصر المخطوط ومكان نسخه؛ إذ تُعين معرفة القراءة المكتوب بها المخطوط على مكان نسخ المخطوط أو قراءة المؤلّف.

لذلك لا غروَ أن نجد المصاحف والكثير من الكتب التي أُلّفت في أعصار القرّاء أو بعدهم كُتبت فيها الآيات بقراءاتهم بحسب بلدانهم.

ففي المدينة: عُرفت قراءة نافع بن عبد الرحمن المدنيّ، و أبي جعفر يزيد بن القعقاع المخزوميّ المدنيّ.

وفي مكّة: عُرفت قراءة عبد الله بن كَثير المكيّ، واشتهر راوياه البزيّ: مقرئ مكة ومؤذّن المسجد الحرام، و قنبل: شيخ قرّاء الحجاز.

وفي البصرة: عُرفت قراءة أبي عمرو بن العلاء، ويعقوب بن إسحاق الحضرميّ.

وفي دمشق: عُرفت قراءة عبد الله بن عامر، وراوييه هشام بن عمار السلميّ الدمشقيّ (ت٢٤٥)هـ، وعبد الله بن ذكوان (ت٢٤٢ هـ)، وقال أبو زرعة الدمشقيّ: كان القرّاء بدمشق الذين يُحكمون القراءة الشاميّة العثمانيّة ويضبطونها هشام وابن ذكوان،

(١) المناهج العلمية في كتابة الرسائل الجامعية وتحقيق المخطوطات والعلوم المساعدة: حسّان حلّاق ومحمّد منير سعد الدين: ٦٥.

والوليد بن عتبة (ت١٧٦هـ)[١].

وفي الكوفة: عُرفت قراءة عاصم ابن أبي النجود، وقراءة حمزة بن حبيب الزيّات؛ ذلك أنّ الإمامة رجعت بعد عاصم بالكوفة إلى حمزة، وسبب ذلك أنّ حفصاً انتقل إلى بغداد، وامتنع أبو بكر بن عياش من الإقراء، فذهبت قراءة عاصم من الكوفة إلّا من نفرٍ يسير[٢].

وفي بغداد: عُرفت قراءة خلف بن هشام الأسديّ، والكسائيّ.

لذلك نجد أنّ القراءة المشهورة في الشام قراءة ابن عامر، وذلك إلى حدود الخمس مئة، ثمّ كان بعد ذلك قراءة أبي عمرو بن العلاء إلى أن عمّت قراءة حفص عن عاصم مع دخول العثمانيين الشام في القرن العاشر.

قال ابنُ الجَزريّ في كتابه «النشر في القراءات العشر»: «كان الناس بدمشق وسائر بلاد الشام حتى الجزيرة الفراتية وأعمالها لا يأخذون إلّا بقراءة ابن عامر، ولا زال الأمر كذلك إلى حدود الخمس مئة[٣]».

ونقل ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ): «وعلى قراءة ابن عامر أهل الشام وبلاد الجزيرة إلّا نفراً من أهل مصر فإنّهم ينتحلون قراءة نافع، والغالب على أهل الشام قراءة عبد الله بن عامر اليحصبيّ»[٤].

ونقل ابنُ الجزريّ في (النشر)[٥] عن أبي حيّان الأندلسيّ المولود سنة (٦٥٤) والمتوفى سنة (٧٤٥)- من خطّه: «أبو عمرو بن العلاء: الإمام الذي يقرأ أهل الشام ومصر بقراءته».

لكن ذلك لا يمنع إثبات القراءة فيما بعد هذه المدة، فقد اطّلعتُ على مصحف مخطوط في مكتبة خاصة، كُتبَ بدمشق في القرن الثاني عشر برواية أبي عمرو بن

(١) طبقات القراء: الذهبيّ: ٢٣٤/١.

(٢) جمال القراء وكمال الإقراء: علم الدين السخاويّ: ٤٦٧/٢.

(٣) النشر في القراءات العشر: الجزريّ: ٢٦٤/١.

(٤) جمال القراء وكمال الإقراء: ٤٣٦/٢.

(٥) النشر في القراءات العشر، ٤١/١، وينظر ما علقته في حاشيتي لمقدمة كتاب العزّ بن عبد السلام (شجرة المعارف والأحوال): ٤٣.

العلاء، وليس برواية حفص.

وفي بلاد المغرب كانت المصاحف المغربية الأولى - في الأكثر- توافق رسم قراءة الإمام حمزة بن حبيب الزيّات، التي كانت تغلب على أقطار المغرب، ثم استقرّت على قراءة الإمام نافع من رواية تلميذه ورش، والغالب أنّ هذه المصاحف الأولى كانت مكتوبةً بالخطّ الكوفيّ الذي كان شائعاً في الكتابة المغربيّة آنذاك[١].

ونستنتج من كلام ابن مجاهد السابق، وهو من رجال القرن الثالث والرابع أنّ قراءة نافع انتقلت من المدينة إلى مصر، ثمّ انتقلت إلى بلدان المغرب الإسلاميّ.

وقد وقع الإلماع في القرن الرابع الهجريّ عند البِشَاريّ (ت٣٨٠هـ) في إشارته إلى أقطار المغرب الإسلاميّ: «وأمّا القراءات في جميع الإقليم فقراءة نافع فحسب»[٢].

المعيار السابع: في التجليد

بعد أن كان العرب يكتبون على عسب النخيل والحجارة (اللّخاف)، وجلود الحيوانات المختلفة[٣]، جَنَحوا إلى الكتابة على الرَّقّ، إذ اشتهرت بعض مدن العراق في إنتاجه ولاسيّما مدينتي البصرة والكوفة، إذ امتازت الأخيرة بالجودة على غيرها، وباستعمال الرَّقّ؛ انتقل شكل الكتاب من الملف إلى المصحف، فَعُرِفَ فنّ التجليد أو ما يسميّه أهل المغرب (التسفير)، وسمّاه أهل العراق (التصحيف).

تجليد الكتاب من ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الثالث الهجريّ:

مرّ فنّ التجليد بين أيدي المتفنِّنين المسلمين في مراحل عديدة؛ فقد قام أول ما قام على التقاليد الحبشيّة والقبطيّة السابقة للإسلام، فاستعمل المجلّدون في أول الأمر لوحين من الخشب جُمعت بينهما أجزاء القرآن أو بعضها، والمظنون أنّ المتفنّن المسلم لم يدع هذه الألواح عاطلةً من الزخرفة، بل زخرفها، وربّما غلّفها بالقماش أو الجلد.

---

(١) قبس من عطاء المخطوط المغربي: محمّد المَنُّونيّ: ٣٦/١.

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: محمّد بن أحمد المقدسيّ المعروف بالبشاريّ: ١٩٧.

(٣) أهمّ دراسة ظهرت في حدود علمنا في هذا الموضوع هو كتاب الأستاذة اعتماد يوسف القصيريّ (فن التجليد عند المسلمين)، ومنه استفدنا في إعداد البحث.

والظاهر أنَّ فنّ التجليد في العصر الأمويّ في بلاد الشام سار على النهج الذي كان عليه أيام الخلفاء الراشدين مع إحداث بعض التطورات، وقد وصلت إلينا صفحات رَقٍّ متفرقةً من القرآن الكريم، يرجع تاريخها إلى ما بين القرنين الأول والثاني للهجرة، وهذه الصفحات بعضها قريبة إلى المربّع، وبعضها تميل إلى الامتداد عرضاً، وأغلبُ الظنّ أنّ المصاحف والمخطوطات التي أُنتجت خلال هذا العصر كانت مغلّفةً بلوحاتٍ من الخشب، قد طُعّمت بقطعٍ من العظم والعاج أو غُلّفت بالقماش والجلد، وربّما استخدمت صحائف البَرْدِي، لكن لم يصل إلينا شيء من هذه الكتب؛ لذلك فإنّ معلوماتنا تكاد تكون معدومة.

وفي العصر العباسيّ الأوّل استمر فنّ تجليد الكتب في العالم الإسلاميّ على ما كان عليه في العصر الأمويّ بعد أنْ لحقت به تطورات في الصناعة والزخرفة على حدٍّ سواء، غير أنّه لم يصل إلينا شيء مِن أوائل هذا العصر.

وقد خطا المجلِّد المسلم خطوةً إلى الأمام حين غُلّفت ألواح الخشب هذه الشرائح من الجلد، وجاءت الخطوة الثانية في فنّ التجليد عندما استبدلت ألواح الخشب بصفائح البَرْدِي، وكانت هذه البَرْدِيات تستخدم عادةً في تغليف كتبٍ صغيرة الحجم، أمّا الكتب الكبيرة فقد ظلّ الخشب يستعمل في تغليفها زيادةً في الحفظ والصون، ولا يستبعد قيام المتفنّن بمحاولة تغليف الكتب الكبيرة بالبَرْدِي.

ويرجّح أنّ العراقيين استمدّوا عناصرهم الزخرفية التي تزّين جلود الكتب من الفنّ الإيرانيّ والصينيّ، ومن الأغلفة التي وصلتهم من مصر والمغرب، بينما لم تصلنا أغلفة تمثل لنا فنّ التجليد في بلاد الشام.

التجليد في القرنين الرابع والخامس:

من استعراض بعض النماذج من الكتب المجلّدة في هذين القرنين نجد بداية تشكّل اللسان في الكتاب الإسلاميّ، وإن كان قد عُرف قبلُ لدى أقباط مصر، وبداية استخدام السُّرّة التي تتوسّط أرضيّة المتن، وأجزاؤها قائمة في أركان المتن الأربعة، كما يظهر فيه لأوّل مرّة استخدام الألوان في تزويق زخارفه.

ونلاحظ أنّ فنّ التجليد تطور تطوراً كبيراً في مصر؛ فقد توقف استعمال ألواح الخشب

على حين استمرّ استخدام البَرْدِي السميك، واتّبعت الطريقة نفسها مع الورق السَّميك.

أمّا فيما يتعلّق بشكل الكتاب فقد تغيّر؛ إذ أصبح عمودياً على هيأة الكتاب المقدّس المسيحيّ[١] إلى جانب الشكل المربع.

وفي بلاد المغرب بدأ تطور جديد في فنّ التجليد، نتلمّسه بوصول كتاب (عمدة الكتّاب وعدّة ذوي الألباب)المنسوب إلى المعزّ بن باديس،[٢] ويمكن أن نأخذ عليه مثالًا لغلافٍ عُثر عليه في جامع القيروان محفوظ في متحف باردو، فقد امتازت جلدة الغلاف بطريقة زخرفتها عن الأغلفة القيروانيّة الأخرى؛ إذ نجد متن الجلدة تتوسطه سُرّة مربعة الشكل، مُلئت بأشرطةٍ متشابكة مكوّنة على هيأة نسج المصير، تتخلّلها ما يشبه حبّات اللؤلؤ.

ويزدان الإطار بأشرطةٍ مضفورة إلى جانب شريطٍ ضيّق ازدان بحبّات اللؤلؤ، و نجد في جزءٍ من غلاف على هيأة صندوقٍ في المتحف نفسه يرجع إلى القرن الخامس الهجريّ وجود زخارف بارزة.

وقد أشار البشاريّ المقدسيّ (ت٣٨٠هـ) في هذا القرن في إلماعه إلى أقطار الغرب الإسلاميّ بقوله:» وأهل الأندلس أحذق الناس في الوراقة»[٣]، وذلك بفضل الخلفاء الذين اعتنوا بالكتب والمكتبات[٤].

ولم تصلنا في هذا العصر أمثلة من جلود كتبٍ عراقية، لكن المستخلص من كلام المؤرّخين أنّ هذا الفن ظلّ مزدهراً يسير على النمط الذي كان عليه في القرون السابقة.

أمّا باقي الأقطار الإسلاميّة الواقعة في جنوب الجزيرة العربية ووسطها، فإنّ معرفتنا عنها تكاد تكون معدومةً في العصور جميعها.

---

(١) فن التجليد عند المسلمين: اللوحة الخامسة أ، واللوحة السادسة ب.

(٢) ينظر الباب الثاني عشر منه في صناعة التجليد وعمل جميع آلاته حتى يُستغنى عن المجلّدين: ١٥٩.

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم:١٩٧.

(٤) الكتاب في الحضارة الإسلامية: يحيى وهيب الجبوريّ:٢٥٧.

التجليد في القرنين السادس والسابع للهجرة:

نلحظ في هذه المدّة أنّ الأغلفة الإسلامية أُلصِقَتْ بصفائح دقيقةٍ من الذهب على الجلد بواسطة آلةٍ ساخنة، والظاهر أنّ هذه التقنية مراكشية الأصل، ثم خرجت إلى قرطبة ومصر وإيران. ويلاحظ أنّ الورق السميك المغلّف بالجلد بدأ انتشاره، وتظهر التأثيرات المصريّة في فنّ التجليد في العراق حتى هذين القرنين متمثلةً في الشريط الملتوي[١]، وعنصر الضفيرة التي تتخلّلها ما يشبه حبات اللؤلؤ.

وأمّا في بلاد الشام فقد سار فنّ التجليد على النهج الذي كان عليه في بلاد المغرب والعراق من حيث العناصر الزخرفيّة.

والخلاصة فإنّ ممّا يميز هذه المدة شيوع استخدام الورق المغلّف بالجلد في تجليد الكتب ولم يعد يستخدم البَرْدِي أو الخشب لهذا الغرض.

إلى جانب ذلك نجد ظاهرةً جديدة لم نلمسها من قبل، ألا وهي استخدام صفائح الذهب المرصَّع بعضها بالأحجار الكريمة في تغليف المصاحف، لاسيّما تلك المصاحف العائدة إلى الملوك والأمراء.

وفيما يتعلّق بشكل الكتاب فقد ساد استخدام الكتاب العموديّ المزوّد باللسان عوضاً عن الشكل الأفقي.

وفي الزخرفة نجد أنّ السُّرّة التي تتوسط المتن، وعناصر زخرفيّة قائمة في الأركان الأربعة للمتن كانت من المواضيع الزخرفيّة السائدة في زخرفة جلود الكتب التي وصلت إلينا، حتى إنّ هذا لم يمنع بعض المجلّدين من الاستمرار على التقاليد السابقة؛ وذلك لملء أرضية المتن بأشكالٍ هندسية وزخارف نباتية.

ونلمس تطوراً كبيراً ظهر على شكل الإطار المحيط بالمتن؛ وذلك بجعل الإطار بارزاً بغية تكوين تصاميم خاصة بالأركان الأربعة للمتن، وهذه الظاهرة اختصّت بها بلاد المغرب من دون أقطار العالم الإسلاميّ.

وفي الزخرفة نجد أنّ الأشكال الهندسية كانت من المواضيع الزخرفيّة السائدة في

(١) فن التجليد عند المسلمين: الشكل (٣٢).

زخرفة جلود الكتب التي أُنتجت في القرنين السادس والسابع للهجرة، أمّا الزخارف النباتية فكانت قليلة الاستعمال.

وظهر في هذه المدة عنصر زخرفيٌّ جديد لم يسبق مشاهدته من قبل في زخرفة جلود الكتب؛ ألا وهو خطوط دقيقة بدقّةٍ وانتظام، ونتيجة لوضعها هذا تكوَّن ما يشبه المربعات، وتتخلّل هذه الخطوط نقاطٌ صغيرة.

واستُخدمت طرائق مختلفة في زخرفة جلود الكتب، وهذه الطرائق لا تختلف عن الطرائق التي عرفناها في القرون السابقة، غير أنَّنا نجد ظاهرةً جديدة في زخرفتها لم نلمسها من قبل، ألا وهي استخدام صفائح رقيقة من الذهب والفضة على هيأة عناصر من طرفين تُلصق على الجلدة بآلة ساخنة.

التجليد في القرنين الثامن والتاسع للهجرة:

بلغ التجليد في القرن الثامن الهجريّ درجةً عظيمة من التقدّم والازدهار، ولاسيّما في مصر وتبعتها بلاد الشام؛ إذ استخدم المجلِّد الشاميّ لأوّل مرةٍ زخارف الرقش العربي جنباً إلى جنب مع الزخارف الهندسية، وكذلك الكتابة العربية بالخطّ النسخيّ التي ملأت أرضية الرابط الذي يربط بين الجانب الأيسر من الغلاف وبين اللسان.

وفي هذا القرن أنتجت إيران أفخر المخطوطات ذات الزخارف المذهّبة والخطّ الجميل والجلود الثمينة، كلُّ ذلك بفضل مدارس الفنون التي أنشأها خلفاء تيمور شاه (٧٧٩-٨٥٠هـ)، وبايسنق (٨٨٢-٩٠٥هـ).

ويمكن القول إنّ المجلّد المُسلم سار على النهج الذي كان عليه سابقاً، وفيما يتعلّق بالتصميم العام، فقد استخدمت السُّرة تنويعاً ينتزع الإعجاب، وأُدخل عليها تعديل جديد لم يكن موجوداً من قبل، وهو رسم دلايتين تتدلَّيان من الجانب العلوي والسفلي للسُّرّة، ومما يلفت النظر أنّ هذا العنصر لم نجده فيما وصل إلينا من أمثلةٍ مغربيّة وشاميّة، وربّما كان موجوداً في أمثلةٍ لم تصل إلينا.

وتطوّرت الزخارف النباتية، وبدت بشكلٍ واضح وجليّ زخرفة الرقش العربيّ مزّينةً السرّة وأجزاءها.

وقد انفردت بلاد فارس في هذه الحقبة باستخدام المناظر الطبيعية في تزيينٍ أغلفة الكتب، ولم تتطور طريقة عمل هذه الزخارف عن الطرائق التي كانت معروفة خلال القرنين السابقين (الختم، والضغط، والقطع)، إلّا أن المجلّد الإيرانيّ استبدل الأختام بطريقة الضغط بقوالب كبيرة، وأنّه أحدث تطوراً على طريقة القطع، إذ جعلها كأنّها الخيوط.

والتذهيب الورقيّ- الذي عرفناه في بلاد المغرب، وكان مقتصراً على أغلفة تلك البلاد وحدها- أصبح شائع الاستعمال في تزويق المخطوطات التي أُنتجت في أقطار العالم الإسلاميّ خلال المدّة التي نتحدث عنها، وأكثرها استخداماً التذهيب المائي.

التجليد في القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة:

بلغت بلادُ فارس أوجها في إنتاج أغلفة الكتب، وقد وصلت إلينا مجموعة كبيرة موزَّعة في متاحف العالم، إذ تفنّن متفنّن تلك البلاد بصناعة الغلاف.

فاستخدم هذا المتفنّن الأزهار والزخارف النباتية في عمل أغلفته، ولم ينسَ أن يستخدم اللك[1]، ونرى أنّ السُّرة وأجزاءها القائمة في الأركان كانت من المواضيع الشائعة والمحبّبة لدى المتفنّن الفارسيّ، فضلاً عن المناظر الطبيعية التي أسبغها على أغلفته.

واستمرت بلاد الشام والمغرب على ما كانت عليه في فنّ التجليد في القرنين الثامن والتاسع للهجرة، وتميّزت مصر باستخدام الخطّ النّسخيّ المملوكيّ الذي أوحت قابلية حروفه على التشكيل والانبساط والتقوّس؛ كعنصرٍ زخرفيّ مفضّل في زخرفة الأغلفة.

وتشابهت الأغلفة التركية العثمانية مع الأغلفة الفارسيّة، وإن كانت أكثر تطوراً، فقد استخدم المجلّد التركي جلوداً مختلفة الألوان منها: الأسود، والأحمر القانيّ، والحمصيّ، ولم يقتصر- كما فعل المجلّد الفارسيّ أو غيره من المجلّدين المسلمين- على الجلود البنية الغامقة أو القاتمة.

(١) اللك: عصارة راتنجية صمغية تفرزها بعض الأشجار تلقائياً بعد حزّها أو بواسطة الحشرات؛ (الموسوعة في علوم الطبيعة ١٤٨٦/٣)، وهي مايُسمّى الآن بالورنيش، ويستعمل للتلميع، وتكسب الصباغ اللّمعان. (الكتاب في الحضارة الإسلامية: ٢٥٦).

واستخدم إلى جانب الجلد صفائح رقيقةً من الذهب والفضة المرصّعة بالأحجار الكريمة وذات الزخارف المخرمة، فظهرت من تحتها أرضية من الحرير الأخضر والأزرق.

المعيار الثامن: في حوامل الكتابة: البَرْدِي، والرَّق، والكاغِد:

أدّى الورق دوراً مهماً في نشر الثقافة الإسلامية؛ إذ انتقلت هذه الصناعة من الصين إلى أواسط آسيا وبلاد فارس عن طريق القوافل.

ولمّا فتح المسلمون مدينة سمرقند الواقعة تحت نفوذ الصين سنة (٩٣) للهجرة، آنذاك تعلّم العرب أسرار هذه الصناعة من بعض أسرى الصينيّين الخبراء فيها، وممّن كانوا بالمدينة عند الفتح عام (ت٧٥١هـ).

ثم انتقلت صناعة الورق إلى البلاد الإسلامية، فأنشأ هارون الرشيد في عام (ت١٧٨هـ) أوّل مصنعٍ للورق في بغداد، واستمرّ تقدّم هذه الصناعة في بغداد حتى القرن الخامس عشر الميلادي/التاسع الهجريّ.

وفي القرن العاشر الميلادي /الرابع الهجريّ ظهرت هذه الصناعة في بلاد الشام، ولقيت رواجاً في الأسواق الأوربية، ثم انتقلت إلى مصر في حدود (٩٠٠) ميلادي، والمغرب في عام (١١٠٠م) أيام يوسف بن تاشفين، إذ كان بفاس (١٠٤) معامل للكاغد، وهذا يدلّ على انتشار الكتابة على الورق إلى جانب الرَّقّ في المغرب في دولة المرابطين[١] (٤٤٨ – ٥٤١ هـ).

وعلى الرغم من انتشارها في بلاد المشرق إلّا أنّ أوربا لم تعرفها حتى القرن الثاني عشر الميلادي.

وفي عصر الموحّدين (٥١٥ – ٦٧٤ هـ)، كان بفاس (٤٠٠) معملٍ للكاغد في أيام يعقوب المنصور وابنه محمّد الناصر[٢]، ولم يكن يضاهيه جودة سوى ورق سَبْتة وشاطِبَة، وكان العرب يصنعونه من القطن، فقد عثر (كازيري) في الإسكوريال على مخطوطٍ عربيّ من ورق القطن يرجع تاريخه إلى عام (١٠٠٩م=٤٠٠هـ)، وهو سابق للمخطوطات الموجودة في مكتبات أوربا نفسها، وشاهد على أنّ العرب كانوا أول من استعاض عن

(١) تاريخ الوراقة المغربية: المنّونيّ ٢١.

(٢) تاريخ الوراقة المغربية: ٣٣.

الورق بالخرق البالية[١].

قال القلقشنديّ: «وقد كانت الأمم في ذلك متفاوتةً؛ فكان أهل الصِّين يكتبون في ورقٍ يصنعونه من الحشيش والكلأ، وعنهم أخذ الناس صنعةَ الورق، وأهل الهند يكتبون في خرق الحرير الأبيض، والفُرس يكتبون في اللِّخاف (بالخاء المعجمة)- وهي حجارة بيض رِقاق- وفي النُّحاس والحديد ونحوهما، وفي عُسب النخل (بالسين المهملة) - وهي الجريد الذي لا خوصَ عليه، واحدها عسيب- وفي عظم أكتاف الإبل والغَنم.

وعلى هذا الأسلوب كانت العربُ لقربهم منهم، واستمرّ ذلك إلى أن بُعِثَ النبيّ ﷺ ونزل القرآن والعربُ على ذلك، فكانوا يكتُبون القرآن حين ينـزل ويقرؤه عليهم النبيّ ﷺ في اللِّخاف والعُسب، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنّه قال عند جمعه القرآن: (فجعلتُ أتتبَّع القرآن من العُسُب واللِّخاف)»[٢]، وربّما كتب النبيّ ﷺ بعض مكاتباته في الأدَم كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.

وأجمع رأيُ الصحابة على كتابة القرآن في الرَّقّ؛ لطول بقائه، أو لأنّه الموجود عندهم حينئذ، وبقي الناس على ذلك إلى أن ولي الرشيدُ الخلافة، وقد كَثُر الورق وفشا عمله بين الناس، فأمر ألّا يكتب الناس إلّا في الكاغد؛ لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة، فتقبل التـزوير، بخلاف الورق فإنه متى مُحي منه فسد، وإن كُشِط ظهر كَشطُه، وانتشرت الكتابة في سائر الأقطار، وتعاطاها من قَرُب وبعد، واستمرّ الناس على ذلك إلى الآن.

غير أنّه وقع الإلماع في القرن الرابع الهجريّ عند المقدسيّ البشاريّ (ت٣٨٠هـ) في إشارته إلى أقطار المغرب الإسلاميّ إلى أنّ «كلّ مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة في رقوق»[٣]، وظلّ الرَّقّ هو المادة المستخدمة في الكتابة حتى القرن الخامس الهجريّ (الحادي عشر الميلادي)، بل إنّ المصاحف المغربيّة ظلّت حتى وقت قريب تُكتب على الرَّقّ؛ طلباً لطول البقاء.[٤]

(١) كيف بدأ التصنيع في المغرب: عبد العزيز بن عبد الله، مجلة دعوة الحقّ، العدد (٢٦٧)، ص ٩٩.

(٢) صبح الأعشى: ٥١٥/٢.

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: ١٩٧.

(٤) الكتاب العربي المخطوط: أيمن فؤاد السيّد: ١٩/١.

أمّا البَرْدِي فقد عُرف في مصر وكان يُجلب منها إلى بقية أقطار إفريقية، وربّما وقع التعبير عنه بـ(الورق الفرعونيّ) أو (القرطاس المصريّ) في الأدبيات الإسلامية التاريخية، وكانت الأوراق البَرْدِية تؤدي دوراً في حياة مصر الاقتصادية منذ عصر الأسرة الوسطى القديمة.

ويرجع تاريخ أقدم بَردية إلى سنة ٢٢هـ /٦٤٣م تُعرف بـ«بردية أهنآسية»، محفوظة اليوم في مجموعة الأرشيدوق في النمسا، ولم تصل إلينا يا للأسف كتب مكتوبة على البَرْدِي سوى أجزاءً لأعمالٍ مبكّرة مثل (الموطّأ) لمالك بن أنس، و(صحيفة همام بن منبّه)، و(صحيفة عبد الله بن لَهِيعة). أمّا أكمل كتابٍ وصل إلينا فهو نسخة من كتاب (الجامع في الحديث النبويّ)لعبد الله بن وَهْب (ت١٩٧هـ) وهو محفوظ اليوم في دار الكتب المصرية برقم (٢١٢٣) حديث، اكتُشف في حفائر أجراها المعهد العلميّ الفرنسيّ بالقاهرة سنة ١٩٢٢م في إدفو بالقاهرة[١].

وبحسب ما نعلم فإنّ أحدث بَردية عربية معروفة على الإطلاق مؤرّخة سنة (٣٨٠ هـ)[٢]، وقد نوّه البيرونيّ بها المتوفى سنة (٤٤٠ هـ) إذ قال: «إنّ القرطاس معمول بمصر من لبّ البردي، يُبرى في لحمه[٣]، وعليه صدرت كتب الخلفاء إلى قريبٍ من زماننا، إذ ليس ينقاد لحكّ شيءٍ منه وتغييره، بل يفسد به».[٤]

مقادير قطع الورق في العصر الأمويّ والعباسيّ والدولة الفاطميّة:

قال القلقشنديّ: «... وذاك أنه يكتب للخلفاء في قرطاس من ثُلثي طومارٍ، وإلى الأمراء من نصف طومار، وإلى العُمَّال والكُتَّاب من ثُلُثٍ، وإلى التُّجَّار وأشباههم من رُبعٍ، وإلى الحُسَّاب والمُسَّاح من سدسٍ، فهذه مقادير لقطع الورق في القديم: وهي الثلثان، والنصف، والثلثُ، والربعُ، والسُّدس، ومنها استُخرجت المقادير الآتي ذكرها.

(١) الكتاب العربي المخطوط: ١٨/١.

(٢) كما أفاد الدكتور سعيد مغاوري في تعقيبه في ندوة قضايا المخطوطات(٢)، ١٩٩٨؛ ينظر: فن فهرسة المخطوطات، مدخل وقضايا: ٥٠.

(٣) لأنّ جوف قضيب البردي طريّ، فاستعمال اللحم مجاز.

(٤) تحقيق ما للهند من مقولة: البيروني: ٨١.

ثم المراد بالطُّومار الورقةُ الكاملة، وهي المعبَّر عنها في زماننا بالفرخة، والظاهرُ أنه أراد القَطع البغداديّ؛ لأنّه الذي يحتمل هذه المقادير، بخلاف الشاميّ، ولاسيّما وبغدادُ إذ ذاك دارُ الخلافة، فلا يحسن أن يقدّر بغير ورقها مع اشتماله على كمال المحاسن».

وذكر المكّيّ أنواع الطومار ومقاساته فقال: كان المعروف من الطومار في الدولة العباسيّة والدولة الفاطميّة خمسة أنواعٍ:

- **الطومار البغداديّ**: وعرضه ذراع مصريّ واحد بالذراع المعروف بالبلديّ.
- **والطومار الحَمَوِيّ:** وهو دون قطع البغداديّ بقليل.
- **والطومار الشاميّ المعتاد:** وهو دون قطع الحمويّ بقليل.
- **والطومار المصريّ:** وهو دون قطع الشاميّ بقليل.
- **والطومار المغربيّ:** وهو دون القطع المصريّ[1].

مقادير قطع الورق المستعمل في العصر المملوكيّ:

استخدمت قطوع مختلفة في هذا العصر سواء في الديار المصريّة أو الشام، وفيما يلي مقادير الورق المستعمل في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بالديار المصريّة:

- قطع البغداديّ الكامل، قطع البغداديّ الناقص، قطع الثلثين من الورق المصريّ، قطع النصف، قطع الثلث - والمراد به ثلثُ القَطع المنصوريّ.
- القطع المعروف بالمنصوريّ.القطع الصغير.
- قطعُ الشاميّ الكامل.
- القطع الصغير.

وفيما يلي مقادير الورق المستعمل في دواوين الإنشاء بالممالك الشاميّة(دِمشق، وحَلب، وطرابُلس، وحماة، وصَفد، والكَرك) في المُكاتبات والولايات الصادرة عن النواب بالمماليك:

- قطعُ الشاميّ الكاملُ.

(١) تاريخ الخطّ العربي وآدابه: محمّد طاهر المكيّ: ٩٢.

- قطع نصف الحمويّ.
- قطع العادة من الشاميّ.
- قطع ورق الطير.

وأمّا مقادير قطع الورق الذي تَجري فيه مكاتباتُ أعيان الدَّولة من الأمراء والوزراء وغيرهم بالديار المصرية والبلاد الشاميّة: فهو قطع العادة من البلديّ بالديار المصريّة، ومن الشاميّ بالبلاد الشامية.

المعيار التاسع: في العلامات المائية

تعدّ العلامات المائية من التقنيات المتأخرة التي استُعملت في صناعة الورق، فانتشرت في المخطوطات التي كُتبت في وقتٍ متأخر نسبياً فضلاً عن المطبوعات؛ ذلك أنّ المسلمين قد أدخلوا صناعة الورق إلى الأندلس في القرن الثاني عشر الميلادي، وأُنشئ في عام (١٢٧٦م) أول طاحونٍ للورق.

وما لبثت أن طرأت فكرة إضاءة بعض الأسلاك (التي توضع ضمن الحوض الذي يُصنّع فيه الورق)؛ بحيث تكوّن شكلاً هو العلامة المائية التي حوت أحياناً الحروف الأولى أو اسم الصانع.

وأقدم علامةٍ مائية معروفة في هذا النوع ترجع إلى عام (٦٨١هـ=١٢٨٢م)، غير أنّ هذه العلامات قد ظلّت حتى القرن التالي غير مهذّبة، ثم بدأ رسمها يتحسَّن بعد ذلك، ويرى الدكتور قاسم السامرائيّ[١] أنّ ظهورها كان أولًا في الكاغد الشامي، وليس في مصنع فابريانو بإيطاليا كما نقل الدكتور محمّد ماهر حمادة[٢]، وقد استخدمت في إحداث هذه الأشكال صور الأزهار والحيوانات كالطيور والأسماك مثلاً، وكثيراً ما نجد صوراً عديدة لرأس ثور، وكان هذا رمزاً لنقابة الورّاقين.

أمّا في هولندا فقد استعملوا عدّة علاماتٍ منها خلية النحل، وفي إنكلترا اتخذوا صورة قلنسوة المجنون شعاراً لعلامتهم التي أُخذ عنها الاصطلاح المعروف الآن باسم

(١) علم الاكتناه العربي الإسلاميّ: قاسم السامرائيّ: ٢٩٥.

(٢) في كتابه الكتاب العربي مخطوطاً ومطبوعاً: ١٥٢.

(Foolscap). وقد ظلّ الكثير من هذه العلامات إلى يومنا هذا، وهي تستعمل في الدلالة على أحجامٍ معينة في الورق كحجم (الفولسكاب) مثلاً.

ومن أوربا انتشر بعد ذلك استعمال العلامات المائية إلى الشرق الذي أخذت عنه أوربا صناعة الورق[١].

ولمّا كان انتشارها واسعاً في الورق الأوربيّ كانت معياراً للتمييز بين الورق العربي والورق الأوربيّ.

ومن الأمثلة المتقدّمة على استخدام العلامات المائية في الشرق ظهورها في كتاب (التوضيح لشرح الجامع الصحيح) لابن الملقّن المتوفى سنة (٨٠٤ هـ)، وهي مكتوبة على ورقٍ حَمَوِيّ تظهر فيه الخطوط المائية الثنائية الضيّقة الأبعاد، وهي محفوظة في مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض برقم (٣١٢)[٢].

المعيار العاشر: في الحبر والمداد

(المِداد): سُمّي بذلك؛ لأنّه يَمُدُّ القلم أي يُعينه، وكلّ شيءٍ مددت به شيئاً فهو مِداد، قال الأخطل:

رأتْ بارقـاتٍ بالأكُـفِّ كأنَّهـا مصابيحُ سُـرْجٍ أُوقِـدَتْ بِمِدَادِ

وسُـمّي الزيـت مـداداً؛ لأن السِّـراج يُمَـدُّ بـه، فـكلّ شـيءٍ أمـددت بـه الليقـة ممّـا يكتـب فهـو مِـدَاد.

أمّا (الحبر) فأصلُه اللون، يقال فلان ناصع الحِبر، يُراد به اللون الخالص الصافي من كلّ شيء[٣].

وقد فصَّل صاحب (عمدة الكُتّاب وعدّة ذوي الألباب) عمل أجناس المِدَاد وأنواعها، فذكر: الكوفيّة، والفارسيّة، والعراقيّة، والمصريّة، والصينيّة، وما يُكتب منها في المصاحف،

(١) تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر: إسفندال: ٧٩.

(٢) في كتابه علم الاكتناه العربي الإسلاميّ: ٢٩٥.

(٣) صبح الأعشى: ٢/٤٦٠-٤٦١.

وذكر عشراتٍ من الأنواع من الأحبار السود، والملوّنة، وطرائق صناعتها، وما يُصنع من النباتات، وما يُكتب بالذهب والفضّة والنحاس[١].

وقد لوحظ في العصر السعديّ في بلاد المغرب الاعتناء بالمِداد للنسخ الخزائنية؛ إذ كان يُكتب بالمِداد المقام من فائق العنبر، المتعاهد السقي بالعبير المحلول بمياه الورد والزهر.

ومن ملحقات هذا الموضوع أنّه شاع تنشيف المِداد بسحيق الذهب الخالص، وكان هذا في الكتابات السلطانية أكثر منه في الكتابات العلمية، وما يزال هذا مشاهداً في كتابات السعديين بخطوطهم على أوائل الكتب؛ لتصحيح وقفها على مكتبتي القرويين وابن يوسف، ومن المخطوطات المنشفّة بهذه الطريقة (تكملة ديوان ابن حمديس) المنتسخة عام ٩٩٥ هـ، إذ يبدو الترميل لامعاً فوق كتابات التعبيرات البارزة في الديوان المحفوظ في المكتبة الملكية في الرباط تحت رقم ٦٣٦٦[٢].

وعادة ما تكون صناعة المِدَاد من المواد الأوّليّة المتوافرة في البيئة التي تحدث فيها عملية النَّسخ، إذ إنّ الناسخ غالباً ما يستعمل مداداً صنَعَه هو أو أهل بلدته أو إقليمه؛ لذلك فإنّ النظر في موجودات المحيط البيئيّ و ما تؤهّله جغرافية المحيط المكاني ذو أثرٍ كبير في تحديد نوع المداد، والله أعلم.

المعيار الحادي عشر: في التعقيبات: نظام ترتيب الأوراق

تُعرّف التعقيبة بأنّها الكلمات التي تثبت في آخر كلّ صفحةٍ لتدلّ على أوّل كلمةٍ من الصفحة القادمة، وهي تدلّ على تتابع النّص.

وإن كان من الصعب معرفة نشأتها؛ ذلك أنّه لا نملك سنداً تاريخياً ومادياً نحدّد

(١) ينظر:عمدة الكُتّاب وعدّة ذوي الألباب: المنسوب إلى المعزّ بن باديس، بتحقيقنا، وذلك في الأبواب الآتية:
الباب الثاني: في عمل المداد وسائر أصنافه، والباب الثالث: في عمل الأحبار السُّود، والباب الرابع: في عمل الأحبار الملوّنة، واللِّيَق المركبّة، والدهانات المستحبّة، والباب السادس: في تلوين الأصباغ وخلطها، واستخلاص بعضها من بعض، وتصويلها،والباب السابع: في الكتابة بِلِيَق الذهب والفضة والنحاس وحلّهم وما يقوم مقامهم.

(٢) تاريخ الوراقة المغربية: ٨٥-٨٦..

بموجبه الزمن الذي شهد بزوغ ظاهرة التعقيبات بدقة، إلّا أنّ الواقع العملي في صناعة الكتاب نظام يتمّ بموجبه الحفاظ على تسلسل أوراقه خلال مراحل التصنيع؛ وإلّا كيف نفسِّر عدم اختلاط كراسات المخطوط على المجلّد أو المزوّق إذا كانت الكُرّاسات خاليةً من التعقيبات أو من أيّ نظامٍ تسلسليّ ترقيميّ أو تعقيبيّ تعارف عليه الناسخ والمزوّق والمجلّد؟

غير أنّ الذي وصل إلينا هو أنّ نظامَي الترقيم والتعقيبة بدآ يظهران في مخطوطات مؤرّخة في القرن السادس الهجريّ[١] كما ظهر لأحد الباحثين[٢].

إلا أنّ الخِزانة الظاهريّة في دمشق تحتفظ بنسخةٍ من (ديوان الفرزدق)، توافرت فيها التعقيبات في أوراقها، نُسخت قبل عام (٣٣١ هـ)[٣]، وهي من رواية الحسن ابن الحسين السُّكريّ، ورقمها فيها (٨٨٠٠)، وتضمّ الخِزانة الوطنية بباريس نسخةً من كتاب (المدخل الكبير في علم أحكام النجوم) لأبي معشر البلخيّ، عليها علامة التعقيبة، نُسخت سنة (٣٢٥ هـ)، وفي الخزانة السابقة نفسها كتاب (تاريخ الملوك والأمم) للأصمعيّ، نسخه ابن السّكّيت سنة (٢٤٣)[٤]، وهذا يدلّ على أنها كانت مستخدمة في القرون الهجريّة الأولى.

ومثل هذا النظام لم يختصّ بعلمٍ من العلوم الإسلامية دون علم، وإنما ورد في الغالبية العظمى من المخطوطات.

أمّا ترقيم المخطوطات فالظاهر أنّه بدأ في نهاية القرن الخامس الهجريّ[٥].

---

(١) ينظر مخطوط (جمل الفلسفة) لمحمّد الهنديّ، في المكتبة السليمانية بإستانبول (أسعد أفندي رقم ١٩١٨)، المؤرخ في سنة ٥٢٩هـ، إذ ظهرت التعقيبات في أوراقه بصورة جلية.

(٢) أنماط التوثيق في المخطوط العربي في القرن التاسع الهجريّ: عابد سليمان المشوخي: ١٣٧-١٣٩.

(٣) نشرها مصوّرة عن الأصل الخطيّ مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م، وقدّم لها الأستاذ الدكتور شاكر الفحّام.

(٤) دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي: أحمد شوقي بنبين: ٧٦-٧٧.

(٥) رحلة المصحف الشريف من الجريد إلى التجريد: حسن قاسم حبش البياتي: ٩١.

المعيار الثاني عشر: في عنوان الكتاب

يُفصح عنوان الكتاب في كثيرٍ من الأحيان عن العصر الذي أُلّف فيه، فنرى أنّ بداية العصر الأيوبيّ والمملوكيّ شهد ظهور السجع واستخدامه في عنوانات الكتب، مثل:(كتاب الروضتين في أخبار الدولتين(لأبي شامة المقدسيّ، و(نهاية الأرب في فنون الأدب) للقلقشنديّ، واستمرّ ذلك حتى نهاية العصر العثمانيّ، ومَن طالع أثبات العلماء وفهارسهم وَجد فيها الكثير من ذلك، بل إنّ بعض المعاصرين أُولِع بذلك، فتجاوز بذلك عصر العثمانيين في تمسّكه بهذا التقليد.

المعيار الثالث عشر: في لغة الكتاب

يُمكن تقسيم لغة الكتاب من حيث الموضوع، والتاريخ، ولغة الكتاب بالمعنى المجرّد.

فمن حيث الموضوع قد تُساعد لغة الكتاب على تتبّع تاريخ تأليف الكتاب، فعندما يستشهد المؤلّف بأقوالٍ لِعَلَمٍ معيّن، أو أشعار أو شواهد معروفة القائل، أو يتمّ ذكر حوادث تاريخيّة؛ فهذا يعني أنّ الكتاب أُلّف بعدها، ومن ثمّ فإنّ النَّسخَ قد تمّ بعدها حتماً.

إضافة إلى ذلك فإنّ الكتاب له لغته الخاصّة به، ومن المفيد الإشارة إلى أنّ لكلّ عصرٍ لغته، ولكلّ عالِمٍ معجمه ومفرداته، والدّربة بذلك هي الكفيلة بتحقيق المعرفة بذلك.

وإذا أخذنا المكان بعين الاعتبار فإنّه يُحسن الإشارة في هذا الباب إلى أنّ المغاربة مثلاً يكتبون (الفقيه) لكلّ عالِمٍ سواء كان عالم دينٍ أم أدب، فإن وُجد ذلك على مخطوطٍ في الأدب لمؤلّفٍ ليس بفقيه بالمعنى الاصطلاحيّ للكلمة؛ فالأغلب أنّه من بلاد المغرب الإسلاميّ.

المعيار الرابع عشر: في الناسخ

يُعرَّف الناسخ بأنّه العارف بقواعد النّسخ في اصطلاح الكتب ومعرفة قواعد العلم الذي ينسخه، وهو الورّاق الذي ينقل عن أصلٍ مخطوط، وقد اقتصر استعمال هذا

المصطلح على مَن كانوا يعملون في نسخ الكتب بالأجرة[١]، وقد كان منهم الجاهل، والعالم، وطالب العلم، والمتوسّط بينهم؛ لذلك اختلفت نفاسة النّسخ وقيمتها وضبطها.

وقد جرت عادة النُّسّاخ على ذكر أسمائهم وتدوينها في آخر المخطوط، فيقولون: (نسخه (أو رقمه) فلان بن فلان بخطّه)، وقد لا يُعرفُ فنلجأ إلى معرفة الناسخ من جملة حالاتٍ عدّة:

نسبة الناسخ: فقد يُشير الناسخ في آخر اسمه إلى نسبته، فترشدنا كتب الأنساب إلى معرفة ذلك إنْ كان من المشهورين.

اسم الناسخ: فقد يذكر اسمه واسم أبيه فقط، فيعيننا ذلك على معرفة طبقة الناسخ مع القرائن الأخرى المتجمّعة لدينا، ومن ثمّ معرفة ترجمة الناسخ- إنْ كان من الأعيان- من كتب التراجم.

المعيار الخامس عشر: في مكان النسخ

يُعدّ مكان النسخ إحدى العلامات التقريبية لعمر المخطوط، فتاريخ الفتوحات الإسلاميّة في أمصار المسلمين معروفة؛ لذلك فإنّ أيّ مخطوطٍ يكون مدوّناً عليه مكان النسخ، فهذا يعني أنّ نسخه كان بعد فتح ذلك المكان.

إضافة إلى ذلك فإنّه قد يتمّ تقييد مكان النسخ في مدرسةٍ أو مسجد أو جامع أو زاوية أو رباط ونحو ذلك، فإنّه في هذه الحالة يُمكن معرفة إنشاء هذه المشيّدات من كتب الخطط والآثار.

وهناك معايير أخرى مثل: الزخرفة، والتذهيب، والتصوير، والوقف، وغير ذلك.

(١) معجم مصطلحات المخطوط العربي: بنبين وطوبي: ٣٥٧.

المصادر والمراجع

١. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: محمّد بن أحمد المقدسيّ المعروف بالبشاريّ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٧م.

٢. الأعلام: خير الدين الزركليّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٣. أنماط التوثيق في المخطوط العربي في القرن التاسع الهجريّ: عابد سليمان المشوخيّ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

٤. تاريخ الخطّ العربي وآدابه: محمّد طاهر الكرديّ، مكتبة الهلال، القاهرة، ط١، ١٩٣٩م.

٥. تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر: إسفندال، ترجمة: محمّد صلاح حلمي، المؤسسة القومية للنشر والتوزيع، القاهرة.

٦. تاريخ الوراقة المغربية، محمّد المَنُّونيّ: كلية الآداب جامعة محمّد الخامس، الرباط، ١٩٩١م.

٧. تتمة الأعلام: محمّد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت،ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٨. تحقيق ما للهند من مقولة معقولة في العقل أو مرذولة: البيرونيّ، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٩. .جمال القُرّاء وكمال الإقراء: عَلَم الدّين السخاويّ، تحقيق: عليّ حسين البوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

١٠. الخطّ العربي من خلال المخطوطات: مركز الملك فيصل، الرياض، ١٤٠٦هـ.

١١. الخطاطة: الدالي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٠٥م.

١٢. دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي: أحمد شوقي بنبين، جامعة محمّد الخامس، الرباط،١٩٧٠م.

١٣. دراسة فنية لمصحفٍ مبكّر محفوظ في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض: عبد الله محمّد عبد الله المنيف، أطروحة ماجستير، جامعة الإمام محمّد بن سعود.

١٤. ديوان الفرزدق: مجمع اللغة العربية بدمشق، قدّم له: الدكتور شاكر الفحّام، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.

١٥. رحلة المصحف الشريف من الجريد إلى التجريد: حسن قاسم حبش البياتيّ، دار القلم، بيروت.

١٦. شجرة المعارف والأحوال: العز بن عبد السلام، تحقيق: إياد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٦، ٢٠٠٦م.

١٧. صبح الأعشى في صناعة الإنشا: القلقشنديّ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م.

١٨. طبقات القرّاء: الذهبيّ، تحقيق: أحمد خان، مركز الملك فيصل، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٩. علم الاكتناه العربي الإسلاميّ: قاسم السامرائيّ، مركز الملك فيصل، الرياض.

٢٠. عمدة الكتّاب وعدّة ذوي الألباب: معز بن باديس، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٧م.

٢١. فن التجليد عند المسلمين: اعتماد يوسف القصيريّ، وزارة الثقافة والإعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، ١٩٧٩م.

٢٢. فن فهرسة المخطوطات، مدخل وقضايا: معهد المخطوطات العربية، ندوة قضايا المخطوطات(٢)، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢٣. قبس من عطاء المخطوط المغربيّ: محمّد المَنُّونيّ، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت.

٢٤. الكتاب العربي المخطوط: أيمن فؤاد السيّد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٧م.

٢٥. الكتاب في الحضارة الإسلامية: يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت.

٢٦. كيف بدأ التصنيع في المغرب: عبد العزيز بن عبد الله، مجلة دعوة الحق، العدد، ٢٦٧، ١٤٠٨هـ.

٢٧. محاضرات في المخطوط العربي، الجانب العلمي: محمّد مطيع الحافظ، دمشق، الدورة التدريبية السادسة لمبعوثي الدول العربية لدراسة شؤون المخطوطات العربية،١٩٨٧م.

٢٨. المحكم في نقط المصاحف: لأبي عمرو الداني، وزارة الثقافة، دمشق.

٢٩. مصاحف صنعاء: دار الآثار الكويتية، ١٩٨٥م.

٣٠. معجم مصطلحات المخطوط العربي: بنبين وطوبي، دار الحديث الحسنية، الرباط.

٣١. مقدمة ابن خلدون: محمّد بن عبد الرحمن بن خلدون، دار القلم، بيروت، ط٥.

٣٢. مقدمة ابن خلدون: تحقيق: أ.م. كاترمير، مصورة مكتبة لبنان عن طبعة باريس ١٨٥٨م، وطبعة دار القلم، بيروت،١٩٨٤م.

٣٣. مناهج العلماء والمسلمين في البحث العلمي: فرانتز روزنتال، دار الثقافة، بيروت.

٣٤. المناهج العلمية في كتابة الرسائل الجامعية وتحقيق المخطوطات والعلوم المساعدة: حسان حلاق ومحمّد منير سعد الدين، دار بيروت المحروسة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.

٣٥. منهج تحقيق المخطوطات: إياد خالد الطبّاع، دار الفكر، دمشق.

٣٦. الموسوعة في علوم الطبيعة: دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.

٣٧. النشر في القراءات العشر: ابن الجزريّ، دار الكتب العلمية بيروت (مصورة عن المكتبة التجارية).

٣٨. النقط (مطبوع مع كتاب المقنع فى رسم مصاحف الأمصار): أبو عمرو الداني، تحقيق: محمّد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

المخطوطات العربية في المكتبة المركزية لجامعة القاهرة
دراسةٌ في تكوّن المجموعات وضبطها وخصائصها
(القسم الثاني والأخير)

Arabic Manuscripts in the Central Library of Cairo University
Study in the formation of collections, its control and properities
(Second Section and the last)

الأستاذ المساعد الدكتور محمّد حسن عبد العظيم

كلية الآداب/جامعة بني سويف

مصر

Asst. Prof. Dr. Mohamed Hassan Abdel Azim

Faculty of Arts / Beni Suef University

Egypt

الملخّص

تضمّ المكتبة المركزية في جامعة القاهرة مجموعةً ضخمةً من المخطوطات العربية، تكونت خلال السنوات الأولى من نشأة الجامعة، وعلى الرغم من قيمة جامعة القاهرة ومكانتها بوصفها أعرق الجامعات المصرية وأضخمها إلّا أنّ الإفادة من هذه المخطوطات قاصرةٌ ومحدودةٌ وغير ملائمة، كذلك فإنّ مكان هذه المخطوطات على خريطة المخطوطات في الدولة؛ إذ إنّها لم تلقَ العناية الكافية، دراسةً وخزناً وصيانةً وترميماً وضبطاً وإتاحةً وتسعى الدراسة إلى تحقيق الفروض الآتية:

تكونت مجموعة المخطوطات في المكتبة المركزية في جامعة القاهرة خلال السنوات الأولى من عمر الجامعة، لا يوجد ضبط ببليوغرافي كامل ودقيق في المكتبة، السجلات حاصرةٌ لكلّ المخطوطات العربية في المكتبة المركزية، تتسم المجموعة بثرائها الشكلي والموضوعي والزمني، لا تلقى المجموعة العناية اللّازمة فيما يرتبط بصيانتها وترميمها؛ لعدم وجود ورشة صيانة ملائمة، أماكن الحفظ وتدابيره ملائمة، الحالة المادية العامة للمجموعة جيّدة.

اتبعتْ الدراسة أكثرَ من منهجٍ بحثيّ، كلٌّ منها يخدم قضيةً بحثيةً معينةً، فقد اعتمدت الدراسة على المنهج الميداني الوصفي التحليلي الذي يهدف إلى جمع البيانات عن الظاهرة المدروسة وتحليلها؛ بغية الخروج بمؤشرات ودلالات معينة، كذلك تمت الاستعانة بالمنهج الببليوغرافي الببليومتري في شقّه الببليوغرافي الخاص برصد الاتجاهات النوعية والعددية في المجموعات المدروسة، وفي سبيل تحليل الأرقام والبيانات المختلفة اعتمدت الدراسة على النسبة المئوية البسيطة بحسب مقتضيات الدراسة وأهدافها.

وهذا القسم -الذي بين يدي القارئ الكريم- هو مكمل للقسم الأول الذي نشر في العدد السابق.

Abstract

The Central Library of Cairo University contains a large collection of Arabic manuscripts, which were formed during the early years of the university's establishment. Despite the value of Cairo University and its status as one of the oldest and largest Egyptian universities, the manuscripts are limited, and inappropriate. Manuscripts of that value have not received sufficient attention, study, storage, maintenance, design, control or availability.

So, this study aims to achieve the following assumptions:

The collection of manuscripts is in the central Library of Cairo University since the first years of the university. There is no complete bibliography in the library. The records survey all the Arabic manuscripts in the central library. The collection is distinguishable by its formal objective and temporal richness. The collection does not receive the necessary care regarding its maintenance and restoration; because there is no proper maintenance workshop, conservation places and measures. However, the general physical condition of the collection is good.

Moreover, this study followed more than one research approach, each of which serves as a specific research issue. The study relied on descriptive field methodology, which aims to collect and analyze data based on the phenomenon studied in order to produce certain indicators and indications. The bibliographic approach was also used in the bibliography qualitative and quantitative in the studied collections. In order to analyze the various figures and data, the study relied on the simple percentage according to the study's requirements and objectives.

العناوين التي تناولها القسم الأول

١. المكتبة المركزية في جامعة القاهرة وسبل تكوّن مجموعة المخطوطات العربية بها:

(المكتبة المركزية في جامعة القاهرة إطلالة تاريخية، بناء مجموعة المخطوطات العربية في المكتبة المركزية وتنميتها، نظم اقتناء المخطوطات، نمو مجموعة المخطوطات العربية في المكتبة ومصادرها).

٢. أدوات الضبط الببليوجرافي للمخطوطات العربية في المكتبة المركزية في جامعة القاهرة:

(فهارس المخطوطات في المكتبة المركزية في جامعة القاهرة، الفهرس المحزوم، بطاقة فهرسة المخطوطات بالفهرس: شكلها وتصميمها، المدخل الرئيس بالفهرس، الفهرس المطبوع للمخطوطات، الفهرس المحزوم لمكتبة الأمير إبراهيم حلمي، السّجلات).

٣. الاتّجاهات العددية والنوعية للمخطوطات العربية في المكتبة المركزية بجامعة القاهرة

٣/. تمهيد

بدايةً ثمّة ظاهرتان في المخطوطات تجدر الإشارة إليهما، وهما مرتبطتان ببعضهما بعضاً؛ الأولى - وقد سلفت الإشارة إليها - هي مشكلة المجاميع، إذ يضمّ المخطوط الواحد عدّة كتبٍ أو رسائل جُمعت معاً سواء للمؤلّف نفسه أم لمؤلّفين مختلفين، في الموضوع نفسه أم مشتتة موضوعياً، والظاهرة الثانية هي اشتمال المخطوط الواحد على حواشٍ أو تعليقات أو تقريرات تُعدّ في حدّ ذاتها مخطوطات مستقلّة، بخاصّة أنّ المخطوطات العربية كانت تضمّ ثلاثة أشكالٍ من الإنتاج الفكريّ؛ هي: الكتاب، والرسالة، والمقالة، وكان التفريق بينها يتمّ على أساس المادة العلمية المتضمنة في العمل، فالكتاب أغزر في مادته العلمية، تليه الرسالة ثم المقالة، وهي تقابل في عصرنا الحديث - حسبما يرى أ.د.شعبان خليفة – الكتاب، والكتيّب، والنشرة Book,Book Let,Pamphlet[1].

وتكمن مشكلة هاتين الظاهرتين في توزيع المجموع وتحليل الاتجاهات؛ إذ لو اكتفى الباحث بالإشارة إلى المخطوطات بحسب أرقام قيدها - أي بوصفها مجموعاً - سواء مخطوطات فردية مستقلة أم مجاميع، لكان ذلك إغفالاً للحجم الفكريّ الحقيقيّ للمجموعة، كذلك لو تناولت الدراسة المخطوطات من حيث هي مكونات فكرية، لكان الرقم النهائيّ بعيداً عن أرقام المجلدات، ولأحدث ذلك نوعاً من الارتباك، وعليه فقد آلت الدراسة على نفسها تناول المجموعة بالطريقتين، فنجد في الصفحات القادمة جدولين للمدخل نفسه، أوّلهما بحسب المخطوط كوعاءٍ متكامل يعامل فيه المجموع كمخطوطٍ واحد بصرف النظر عن الأعمال الموجودة فيه، والجدول الثاني يتناول الأعمال (العناوين) المختلفة داخل المخطوط (المجموع)، وهنا يجب التنويه بوجوب اختلاف الأرقام والنسب ليس نتيجةً لأخطاءٍ أو تضاربٍ، ولكنّه يتوقف على حالة كلّ مخطوطة، وكونها تشتمل على أعمالٍ فكرية متعدّدة من عدمه.

(١) الفهرست لابن النديم دارسة ببليوغرافية: شعبان خليفة ووليد العوزة: ٥٢ - ٥٣.

أمّا عن البيانات المتضمّنة بالجداول الواردة في الصفحات التالية، فقد تمّ استقاؤها بواسطة قائمة المراجعة المعدّة لهذا الغرض، وبعد تجميع البيانات قام الباحث بتوزيع الاتجاهات المختلفة بطريقة يدوية.

١/٣ حجم مجموعة المخطوطات العربية في المكتبة المركزية في جامعة القاهرة

قبل تناول الرصيد الفعليّ للمخطوطات العربية في المكتبة المركزية لجامعة القاهرة نودّ الإشارة إلى دراسات وأبحاث وأدلّة أشارت – ولو بصورة عرضية - إلى حجم مخطوطات المكتبة، وما حدا بالدراسة إلى التنويه بهذه الدراسات هو تباين الأرقام والإحصاءات الواردة بها، واختلافها بصورةٍ تنمّ عن عدم دقّة الحصر؛ لاعتمادها على مصادر هي بطبيعتها غير منتظمة وغير دالّة كالسجلّات، وكذلك لاعتماد بعضها على بعضها الآخر. وفيما يأتي نستعرض تلك الأعمال مرتّبة زمنياً من الأقدم إلى الأحدث[(١)]:

جدول رقم (٣)

حجم مجموعة المخطوطات العربية في المكتبة بحسب المصادر والمراجع التي أشارت إليها

م	اسم المؤلّف	تاريخ النشر	الحجم الكلّي للمخطوطات	حجم المخطوطات العربية
١	نعمات سيّد أحمد مصطفى	١٩٧٦	١٠٨٨٦	----
٢	أحمد بدر، محمد فتحي عبد الهادي	١٩٨٧	١١٠٠٠	----

(١) المكتبات الجامعية: دراسات في المكتبات الأكاديمية والشاملة: أحمد بدر، محمّد فتحي عبد الهادي: ١٨٧، خدمة الإعارة الداخلية والخارجية بمكتبات جامعة القاهرة: أماني محمّد أحمد حسن: ١٨-٢٠، فهارس المكتبة المركزية بجامعة القاهرة: أميمة محمد طلعت: ١٠، تسعون عاماً من العطاء: جامعة القاهرة: ١٨٩، دليلك إلى المكتبة المركزية: جامعة القاهرة، القاهرة، الضبط الببليوجرافي للمخطوطات العربية في مصر: السيّد السيّد النشّار: ٣٣، تحليل النظام بمكتبات جامعة القاهرة لاستنباط النظام الآلي المناسب: شريف كامل محمود: ٢٣٢،بناء وتنمية المجموعات في المكتبة المركزية في جامعة القاهرة: شعبان خليفة: ٢٧١ وما بعدها.
دور المكتبات الجامعية في البحث العلميّ: نعمات سيّد أحمد: ٢٧٢.

٣	شريف كامل محمود شاهين	١٩٩١	٩٥٠٠	٧٠٠٠
٤	المكتبة المركزية بجامعة القاهرة	١٩٩٢	١٤٣١٨	----
٥	فيدان عمر مسلم	١٩٩٢	٩١٩٦	٥٤٣٠
٦	السيّد السيّد النشار	١٩٩٤	٩١٩٦	٥٤٣٠
٧	أماني محمد أحمد حسن	١٩٩٦	١٠٨٨٦	----
٨	جامعة القاهرة	١٩٩٨	٩١٩٦	٥٤٣٠
٩	أميمة محمد طلعت الخطيب	١٩٩٩	١٤٥٠٠	٤٠٠٠
١٠	المكتبة المركزية بجامعة القاهرة	٢٠٠٠	٨١٦٠	----

وإن كان ثمّة ملاحظة؛ فهي ذلك التباين والاختلاف الصارخ في الأرقام بين تلك الدراسات، بخاصة أنّ السّواد الأعظم منها قد اعتمد على السجلّات، ويكفي هنا أن نقارن بين دراسة أميمة محمّد طلعت الخطيب وبين المرجع الأخير (دليلك إلى المكتبة المركزية) لنجد البون شاسعاً بينهما، إذ قدّرت الأولى عدّة المخطوطات بـ(١٤٥٠٠) مخطوطةٍ، في حين ذكرت الثانية أنّ المخطوطات تبلغ (٨١٦٠) مخطوطةً.

أيضاً يُلاحظ وجود ثلاثة أعمالٍ تتشابه تماماً في الأرقام، وهي الأعمال ذات الأرقام (٥، ٦، ٨)، وهذا ناتج عن اعتماد العملين السادس والثامن على العمل الخامس، واستقاء البيانات منه؛ لكونه المُعَدّ أولاً. إضافةً إلى المصدر رقم (٧) الذي أتى برقمين مختلفين، وقد تشابه مع الدراسة رقم (١) في العدد الأول، وتشابه مع الدراسة رقم (٤) في العدد الثاني.

ومن ثمّ نلحظ عدم وضوح الصورة، وعدم رؤية الحجم الفعليّ للمخطوطات؛ لعدم وجود حصرٍ دقيق لها؛ ممّا أدّى إلى تعرّض المجموعة لكثيرٍ من الأحكام القاسية، مثلما هو مذكور في بعض الأعمال السابقة: قليل منها ذو أهمية حقيقية نادرة، والكثير منها نسخ مصوّرة فوتوغرافياً[١]، (١١٠٠٠) مخطوطةٍ، ما له قيمة حقيقية منها يبلغ قرابة (٣٠٠٠) مخطوطةٍ ومعظمها مصوّر على الفوتوستات[٢]. إضافةً إلى كثيرٍ من الأحاديث

(١) دور المكتبات الجامعية في البحث العلمي: ٢٧٢.

(٢) المكتبات الجامعية: دراسات في المكتبات الأكاديمية والشاملة: أحمد بدر و محمد فتحي عبد الهادي: ١٨٧.

والأحكام الشفاهية التي ذكرت للباحث، وكلّ هذا عائدٌ إلى عدم وجود إحصاءٍ حقيقيّ لهذه المجموعة.

٢/٣ الاتجاهات الشكلية للمخطوطات العربية في المكتبة المركزية في جامعة القاهرة

المطروح للدراسة هنا شكلان وُجدت المخطوطات عليهما؛ وهما المخطوطات الخطّية - التي تمثل السمة الغالبة - والمخطوطات المصوّرة.

وقبل تفصيل القول في هذين الشكلين نود الإشارة إلى أنّ المخطوطات الموجودة متنوّعة الحجم، فهناك مخطوطات كبيرة الحجم وأخرى متوسطة، وثالثة صغيرة الحجم، كذلك تتنوّع من ناحية عدد الأوراق والصفحات؛ فهناك مخطوطات تتعدّى الألف صفحة، في حين توجد مخطوطات دون العشرين صفحة مثل:

١. أبو حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزاليّ. رسالة أيّها الولد. ١٣ ورقة في ضمن مجموع. مخطوطة رقم ٢١٣٩٨.
٢. محمّد المرعشيّ المعروف بساجقلي زاده. حاشية على الفرائض السراجية. تقع في ٥ ورقات (١.ص). مخطوطة رقم ١٨٩٤٦.
٣. القاضي البيضاويّ. تفسير سورة يس من تفسير القاضي البيضاويّ. ١٣ ورقة. مخطوطة رقم ٢١٣٦٣
٤. الشيخ نور الدين أبو الحسن علي بن محمّد الأشمونيّ. منهج السالك إلى ألفية بن مالك.١٢٤٦ص. مخطوطة رقم ١٦,٧٧.
٥. من المخطوطة نفسها نسخة أخرى. ١٢٥٦ص. مخطوطة رقم ١٦,٧٨.

وفي ذات السياق نشير إلى وجود رسائل علمية مكتوبة بخطّ اليد، ولكنّها محفوظة في ضمن الرصيد العام للرسائل الجامعية وتعامل معاملتها، ومن ثَمّ لا تنطبق عليها إجراءات المخطوطات، وبتحرّي تلك الظاهرة ظهر أنّها نادرة جدّاً، وأنّها غير معلومةٍ لدى العاملين في المكتبة؛ لأنّه لا يوجد تمييز في فهرس الرسائل ولا في المخازن بين الرسائل الخطيّة والمطبوعة، وبمحاولة الاطّلاع على الرسائل التي أُجيزت خلال المدّة أو الأزمان

القديمة، ظهر أنّ المكتبة قد استبعدت كثيراً من الرسائل القديمة بزعم أنّها نُشرت في كتبٍ حديثة، وغالبية الموجود على الرغم من قدمه فإنّه مطبوع، وما هو بخطّ اليد لا يكاد يسترعي الانتباه.

وعوداً إلى الشكلين الأساسيين محلّ البحث (المخطوطات الأصلية والمخطوطات المصوّرة) نجد المخطوطات الأصلية تمثّل السمة الغالبة على المجموعة كلّها، فكما نرى في الجدولين الآتيين (٤، ٥)، تبلغ المخطوطات الأصلية (٤١٠٩) مخطوطاتٍ بنسبة ٩٥٪، في حين تبلغ المخطوطات المصوّرة (٢١٥) مخطوطةً بنسبة ٥٪، وبحسب التعداد الداخلي نجد المخطوطات الأصلية (٦٦٩٧) مخطوطةً بنسبة ٩٦,٤٪، والمخطوطات المصوّرة (٢٥١) مخطوطةً بنسبة ٣,٦٪.

جدول رقم (٤)

الاتجاهات الشكلية للمخطوطات العربية بحسب أرقام القيد:

الشكل	عدد المخطوطات	النسبة٪
المخطوطات الأصلية	٤١٠٩	٩٥
المخطوطات المصوّرة	٢١٥	٥
إجمالي	٤٣٢٤	١٠٠٪

جدول رقم (٥)

الاتجاهات الشكلية للمخطوطات بحسب العناوين:

الشكل	عدد المخطوطات	النسبة٪
المخطوطات الأصلية	٦٦٩٧	٩٦,٤
المخطوطات المصوّرة	٢٥١	٣,٦
إجمالي	٦٩٤٨	١٠٠٪

وهذه النسب منطقية؛ إذ إنّ الأساس عند بناء مجموعة المخطوطات في المكتبة وتنميتها أن يتمّ التزوّد بالمخطوطات الأصلية أولاً، ثم تأتي المخطوطات المصوّرة بعد ذلك؛ لتكملها وتسدّ ما بها من عجز - عكس تلك المكتبات التي ترتكز مقتنياتها في

المقام الأول على المصوّرات كمعهد المخطوطات العربية في القاهرة. وعلى الرغم من أنّ نسبة المخطوطات المصوّرة لا تتعدّى نسبة ٥٪ من حجم المجموعة، إلّا أنّها تملك من عناصر القوّة الكثير مثل بعدها الزمني؛ إذ إنّ أقدم المخطوطات الموجودة في المكتبة هي مخطوطات في معظمها مصوّرة، كذلك فإنّ المخطوطات المصوّرة إضافةً إلى ميزتها التأمينية، لها ميزات أخرى في مقابل الأصول في ضوء الاعتبارات الآتية[(١)]:

١. إنّ النظر إلى المخطوطات يركّز على الفائدة الموضوعية المرجوّة منها سواء كانت أصلية أم مصوّرة.
٢. إنّ المخطوطة بعد تحقيقها ومن ثمّ نشرها لا يبقى لها قيمة إلّا من الناحية المادّية (الكوديكولوجية)، والمهتمّون بالمخطوطات من الناحية المادّية أقلّ من المهتمّين بها من الناحية الموضوعية.
٣. إنّ المكتبات المعنيّة بجمع المخطوطات تعتمد على مصوّرات المخطوطات أكثر من اعتمادها على المخطوطات الأصلية من حيث الإتاحة.

إضافةً إلى العناصر سالفة الذكر من انخفاض الأسعار، والحماية، وتقلّص تدابير الحفظ والصيانة، وهذا يعدّ قدحاً في آراء مَنْ يَسِمُون مجموعة مخطوطات المكتبة بانخفاض القيمة؛ لاحتوائها على كثيرٍ من المصوّرات، وممّا يدحض ذلك الرأي ما تشير إليه الإحصاءات السابقة؛ إذ إنّ المصوّرات لا تمثّل بأيّ حالٍ من الأحوال أكثر من ٥٪ من المجموعة، وهي نسبة قليلة جداً.

٣/٣ الاتجاهات الموضوعية للمخطوطات العربية في المكتبة المركزية في جامعة القاهرة

رأت الدراسة أن يكون التوزيع الموضوعيّ للمجموعة بحسب الأقسام الرئيسة لتصنيف ديوي العشريّ- لأنّه تقسيم متواضع عليه- ومن خلال الجدولين الآتيين (جدول رقم ٦، جدول رقم ٧) تتضح لنا الاتجاهات الموضوعية، ومنهما نرى أنّ الديانات (معظمها في الفقه والتصوّف والسيرة) تأتي في المرتبة الأولى بنسبة (٤٤,٢ - ٤٦,٤٪)

(١) تنمية المجموعات في مجال المخطوطات بالجامعات السعودية: عبد الرحمن بن عبدالله: ١٦٣.

من المجموعة، تليها اللغات (أغلبها في النحو والصرف) في المرتبة الثانية بنسبة (١٨,٣-٢٠,٨٪)، وتكتمل الثلاثية بالفلسفة (أكثرها في المنطق) التي تحتلّ المركز الثالث بنسبة (١٧,٦-١٨,٢٪)، لتشكّل هذه الموضوعات الثلاثة مجتمعةً (٨٢,٦-٨٢,٩٪) من مجموعة المخطوطات العربية في المكتبة، ثم تأتي الآداب في الترتيب الرابع بنسبة (٦,٧-٨٪) لتمثّل فارقاً واضحاً بينها وبين المركز الثالث، ثم تتدنّى النسب في الرتب التالية، إذ تتمثّل المرتبة الخامسة بنسبة (٣,٧ - ٤,١٪) والتي تضمّ (الجغرافيا والتراجم والتاريخ)، وتحتل العلوم البحتة (الحساب والفلك) المرتبة السادسة بنسبة (٣-٣,٣٪)، تليها العلوم التطبيقية (الطب والهندسة) في الترتيب السابع بنسبة (١,٣- ١,٨٪)، ثم نجد المراكز الثلاثة الأخيرة لم يتعدّ حجم كلٍّ منها نسبة الواحد الصحيح من المائة؛ إذ نجد الفنون (كفنون القتال والفروسية) تمثل (٠,٤٠- ٠,٨٪) محتلّةً المرتبة الثامنة، تأتي بعدها المعارف العامة(وقد جعلت هذه للموضوعات التي لم نجد لها مكاناً في الموضوعات الأساسية، وكذلك للمخطوطات التي تتناول أكثر من موضوعٍ داخل العمل الواحد) في المرتبة التاسعة بنسبة (٠,٣- ٠,٥٪)، وأخيراً تأتي العلوم الاجتماعية (ومنها ما هو في التعليم، وما هو يخصّ بعض العادات والتقاليد) في المرتبة العاشرة الأخيرة بنسبة (٠,٣-٠,٤٪). وسنعرض نماذج لتلك الموضوعات في نهاية الاتجاهات.

جدول رقم (٦)

الاتجاهات الموضوعية للمخطوطات العربية بحسب أرقام القيد

رقم التصنيف	الموضوع	عدد المخطوطات	النسبة المئوية٪
٠٠٠	المعارف العامّة	٢١	٠,٥
١٠٠	الفلسفة	٧٦٢	١٧,٦
٢٠٠	الديانات	١٩١٢	٤٤,٢
٣٠٠	العلوم الاجتماعية	١٨	٠,٤
٤٠٠	اللغات	٨٩٩	٢٠,٨
٥٠٠	العلوم البحتة	١٣٠	٣
٦٠٠	العلوم التطبيقية	٧٨	١,٨
٧٠٠	الفنون	٤	٠,٨

٨٠٠	الآداب	٢٩١	٦,٧
٩٠٠	الجغرافيا والتراجم والتاريخ	١٧٩	٤,١
إجمالي		٤٣٢٤	٪٩٩,٩

جدول رقم (٧)

الاتجاهات الموضوعية للمخطوطات العربية بحسب العناوين

رقم التصنيف	الموضوع	عدد المخطوطات	النسبة ٪
٠٠٠	المعارف العامّة	٢٤	٠,٣
١٠٠	الفلسفة	٢٦٢	١٨,٢
٢٠٠	الديانات	٣٢٢٧	٤٦,٤
٣٠٠	العلوم الاجتماعية	٢١	٠,٣
٤٠٠	اللغات	١٢٧٤	١٨,٣
٥٠٠	العلوم البحتة	٢١٠	٣
٦٠٠	العلوم التطبيقية	٨٩	١,٣
٧٠٠	الفنون	٢٦	٠,٤
٨٠٠	الآداب	٥٥٧	٨
٩٠٠	الجغرافيا والتراجم والتاريخ	٢٥٨	٣,٧
إجمالي		٦٩٤٨	٪٩٩,٩

وبتحليل هذه التوزيعات نجدها تتفق مع طبيعة التآليف العربية القديمة؛ إذ يغلب على كلّ المصادر الحاصرة للتراث العربيّ غزارة التأليف في علوم الدين الإسلاميّ بما يمثّله من عقيدةٍ وعبادة وقربة إلى الله[١]، فنجد كثرةً في كتب السيرة النبوية، وكتب الفرائض (المواريث)، وكتب الفقه على مختلف المذاهب، إضافةً إلى كمٍّ ملحوظٍ من الكتب الصوفيّة، وكلّ ذلك كان واضحاً للعيان في مجموعة المكتبة المركزية في جامعة القاهرة، واستمراراً لذات الاهتمام نجد علوماً قد جاءت لتخدم الدين كعلوم التفسير،

(١) قام يحيى محمود الساعاتيّ بدراسة استعرض فيها محتويات (الفهرست) لابن النديم و(كشف الظنون) لحاجي خليفة و(مفتاح السعادة) لطاش كبرى زاده، فتبين له غلبة التآليف في علوم الدين الإسلامي واللغة العربية على محتويات تلك الببليوجرافيات. وضعية المخطوطات في المملكة العربية السعودية إلى عام ١٤٠٨هـ: يحيى محمود الساعاتيّ: ٤٤.

والقراءات، والجرح والتعديل، وكان القالب المناسب والوسيلة القوّية المساندة لذلك اللغة؛ التي نجدها تحتل المركز الثاني بصفتها بضاعة العرب الرائجة حتى قبل ظهور الإسلام، وما أسواق عكاظ ببعيدة عن الذهن، وقد كان الاهتمام باللغة آنذاك - العصور الإسلامية - مميّزاً لسببين. أوّلهما ما ذكر منذ قليل وهو خدمة الدين، وثانيهما هو التعصّب للعروبة والاعتزاز بها في بعض الأحايين؛ فقد خُشي على اللغة والدين أيضاً من الأعاجم الذين دخلوا الإسلام، فاستمرّت التآليف في اللغة، أعقبتها دراسات وتفسيرات تدور حولها فتستنطقها أحياناً وتفصّلها وتوضّحها أحياناً أخرى، وقد ظهرت حركات فكرية متعدّدة بسبب تمسّك بعضهم بالنصوص والتفسير الدينيّ المبني على النقل، وإعلاء بعضهم قيمة العقل كأساسٍ لتأويل النصوص وتفسيرها، وكذلك الاختلاف في تفسير بعض غيبيّات الدين وتأويلاتها، وكذلك ظهور الحركات الصوفية وحركات الجدل والمناظرات وحركات المتكلّمين، كلّ ذلك أنتج حركةً فلسفية كبيرة هضمت فلسفات الأمم السابقة - بخاصة الفلسفة اليونانية - ثم أخرجت فلسفةً ذات صبغةٍ إسلامية تبحث في الأسباب الكامنة وراء الأشياء، وتحاول ردّ الأمور إلى أصولها، وهذا نجده ماثلاً في الجدولين السابقين، إذ تحتل الفلسفة المرتبة الثالثة بعد الدين واللغة، واللافت للنظر حقاً هو أنّ هذه الموضوعات الثلاثة كما ذكر تمثّل (٨٢,٥- ٨٢,٦٧٪) من المجموعة مقارنةً بآخر ثلاثة موضوعات في الترتيب (الفنون، والمعارف العامة، والعلوم الاجتماعية) التي تمثّل (١,٤٣- ١,٩٨٪)من المجموعة، وهذا يسلمنا إلى تصنيف الموضوعات المغطاة في المجموعة بحسب حجمها على ثلاث فئات:

١. موضوعات بؤرية: الديانات، واللغات، والفلسفة، وتمثّل (٨٢,٦-٨٢,٩٪).
٢. موضوعات ثانوية: الآداب، والجغرافيا والتراجم والتاريخ، والعلوم البحتة، والعلوم التطبيقية، وتمثّل(١٥,٦-١٦٪).
٣. موضوعات هامشية: الفنون، والمعارف العامة، والعلوم الاجتماعية، وتمثّل (١-١,٧٪).

وإن كان ثمّة تأويل لذلك؛ فهو راجع إلى غلبة النظرة الموسوعية في التأليف، وإلى غلبة الصبغة الدينية والفلسفية على مختلف العلوم، فلم يكن هناك فصل واضح وصريح

بين العلوم المختلفة وبين الدين كما هو الحال في الوقت الراهن، ومن ثمّ نجد كثيراً من العلوم قد ارتدت آنذاك عباءة الدين، إضافةً إلى كون الفلسفة أمّ العلوم؛ مما جعلها تمثّل آنذاك قاسماً مشتركاً بين كثيرٍ من الموضوعات.

وفيما يأتي نماذج من المخطوطات تمثّل الموضوعات الرئيسة:

- أبوعبد الله زكريا بن محمّد بن محمود القزوينيّ. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. رقم ٢٣١١٥.
- أبوعبد الله محمّد بن عبد الله بن إدريس الشريف الإدريسيّ. نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمداين والآفاق. رقم٧٥٧٠.
- أبو القاسم ابن أبي بكر السمرقنديّ. السمرقندية. رقم ٢٠٨١٢.
- الإتحاف بمعرفة الانحراف. وهي رسالة في الفلك. رقم ٢١١٥٠.
- اقليدس الصوريّ. كتاب مبادئ الهندسة. رقم٢٣٣١٩.
- برهان الدين الزرنوجيّ. تعليم المتعلّم طريق التعلّم. رقم١٩٦٥٢.
- جون ر.سوانتون. هل الحروب لا مفرّ منها. ترجمة محمّد رضا. رقم٣١٥٤٦.
- حامد بن عبد الفتاح البالويّ. زبدة العرفان في وجوه القرآن. رقم١٨٧٤٠.
- شاناق الهنديّ. كتاب شاناق في السموم والترياق. ترجمة محمود صدقي. رقم٢٦١٢٣.
- شمس الدين محمّد بن علي بن محمّد بن طولون الصالحيّ الدمشقيّ الحنفيّ. الثغر الباسم فيما قيل في الخاتم. ويقصد به لبس الخاتم كعادة.
- عبد الرحمن بن عليّ بن محمّد بن الجوزيّ. مختصر المدهش. رقم٢٣٠٩٦.
- عبد السلام بن عمر المارديني. أمّ العبر في ذكر مَنْ مضى ومرّ. رقم٢٣٠٦٨.
- عبد الغني النابلسيّ. الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري. وهي في الفلك. رقم١١٨٩٧.
- عبد القاهر الجرجانيّ. العوامل المائة في النحو. رقم١٥٨٧٨.
- عليّ بن أبي الحزم القرشيّ ابن النفيس الدمشقيّ المصريّ. كتاب شرح فصول أبقراط. رقم٢٦١٢٨.

- عليّ بن محمّد الطائيّ. كتاب التجارة والوصايا. رقم١٩٠٤٠.
- عليّ الحلبيّ. إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون. رقم ١١٤٠١.
- عمرو بن بحر بن محبوب المعروف بالجاحظ. كتاب البخلاء. رقم٢٦٠١٥.
- عيسى بن إسماعيل الحنفيّ الأقصاريّ. نهاية السؤل والأمنية في تعليم أعمال الفروسية. رقم٢٦٣٣٨.
- كتاب جالينوس في الموت السريع. رقم٢٦١٣٢.
- كمال الدين أبوالبقاء محمّد بن موسى بن عيسى بن عليّ الدميريّ. حياة الحيوان الكبرى. رقم٢٣١٩٥.
- القاسم بن عليّ الحريريّ. مقامات الحريريّ. رقم١٠٦٤٣.
- الفزيّ. شرح النزهة في الحساب لابن الهايم. رقم٢١١٤٨.
- مجموعة تحتوي على متفرقاتٍ في مسائل شتّى.
- محمّد بن بير عليّ البركويّ. إظهار الأسرار في النحو. رقم١٦١٦١.
- محمّد بن محمّد الغزاليّ. الأربعين في أصول الدين. رقم١٥٠٠١.
- محمّد بن عبد الغني الأردبيليّ. شرح الأنموذج في النحو للعلّامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ. رقم١٥٩٤٩.
- محمّد رضا. نقد التعليم في مصر ونتائجه. رقم٢٩١٩٧.
- محمّد مختار. عقائد أهل السنة. رقم٢,١١٣.

٤/٣ الاتجاهات الزمنية للمخطوطات العربية في المكتبة المركزية في جامعة القاهرة

بدايةً، إذا كان الالتزام في هذه التوزيعات سيكون بتاريخ النسخ، فلا يخفى ما يكتنف تحديد تاريخ النسخ من صعوباتٍ جمّة منها:

١. غالباً لا توجد في المخطوطات صفحة عنوان، والتي كانت المقدّمة تقوم مقامها.
٢. نادراً ما يوجد تاريخ النسخ، وإذا وُجد فإنّه يكتب حروفاً في المقدمة أو في حرد المتن.

٣. قد لا يدلّ التاريخ على النسخة الموجودة، وإنّما يدلّ على النسخة الأصلية المنقول عنها، ونقلها الناسخ خطأً.
٤. تؤرّخ بعض المخطوطات بتواريخ مبهمة كخلق آدم أوسنة الطوفان.
٥. قد يُسقط المؤلّف أو الناسخ بعض الأرقام من التاريخ كإسقاط رقم الألف مثلاً.

كلّ هذا بلا شكّ أضاف مشقةً وعسراً على عملية تحديد تاريخ النّسخ بخاصةٍ أنّ أكثر من نصف المجموعة (٥٨٪) غير مؤرّخٍ، ومن ثمّ فقد عمد الباحث إلى أكثر من طريقةٍ في هذا الصدد، فتارةً يتمّ الاعتماد على الورق ذاته، وأخرى يتم الاعتماد على الخطّ، بيد أنّ ذلك غير كافٍ؛ بسبب تشابه الورق وعدم تعدّد الخطوط، فلجأ الباحث إلى الاعتماد على أسماء النسّاخ ومحاولة معرفة عصورهم، ومن ثمّ معرفة عصر المخطوطة، وقد أفاد الدراسة كثيراً الاعتماد على القرن، وهو تاريخ واسع فضفاض، وعدم الاعتماد على السنوات. ومثّل الجدولان الآتيان (٨، ٩) التوزيعات الزمنية:

جدول رقم (٨)

الاتجاهات الزمنية للمخطوطات بحسب أرقام القيد.

القرن	عدد المخطوطات	النسبة ٪	الترتيب
٤	٣	٠,٠٦	٩
٦	٢	٠,٠٤	١٠
٧	٨	٠,٢	٨
٨	٢٥	٠,٦	٧
٩	١٣٤	٣	٦
١٠	٣٥٤	٨,٢	٤
١١	١٠٤٥	٢٤,٢	٣
١٢	١٢٩٦	٣٠	١
١٣	١٢٢٣	٢٨,٣	٢
١٤	٢٣٤	٥,٤	٥
إجمالي	٤٣٢٤	٪١٠٠	

جدول رقم (٩)

الاتجاهات الزمنية للمخطوطات بحسب العناوين

القرن	عدد المخطوطات	النسبة ٪	الترتيب
٤	٣	٠,٠٠٤	١٠
٦	٧	٠,١	٩
٧	٨	٠,١١	٨
٨	٢٩	٠,٤	٧
٩	٢٣٠	٣,٣	٦
١٠	٦٠٧	٨,٧	٤
١١	١٧٥٠	٢٥,٢	٣
١٢	٢٠٥٦	٢٩,٦	١
١٣	١٩١٠	٢٧,٥	٢
١٤	٣٤٨	٥	٥
إجمالي	٦٩٤٨	٪٩٩,٩	

وممّا سبق يتضح لنا أنّ القرن (١٢) الثاني عشر يأتي على قمة الحقب الزمنية المغطاة في المجموعة بنسبة (٣-٢٩,٦٪)، ويليه في المرتبة الثانية القرن (١٣) الثالث عشر بنسبة (٢٧,٥ -٢٨,٣٪)، بعد ذلك يأتي القرن (١١) الحادي عشر ليحتل المرتبة الثالثة بنسبة (٢٤,٢- ٢٥,٢٪)، ثم نجد في المرتبة الرابعة القرن (١٠) العاشر بنسبة (٨,٢- ٨,٧٪)، ثم القرن (١٤) الرابع عشر في المرتبة الخامسة بنسبة (٥- ٥,٤٪)، يليه القرن(٩) التاسع في المرتبة السادسة بنسبة (٣- ٣,٣٪)، وفي النهاية تأتي القرون (٨، ٧، ٤، ٦) الثامن والسابع والرابع والسادس بنسبٍ لا تتعدّى الواحد الصحيح، فيقع القرن الثامن في المرتبة السابعة بنسبة (٠,٤- ٠,٦٪)، وتبعه في المرتبة الثامنة القرن السابع بنسبة(٠,١١- ٠,٢٪)،ثمّ القرن الرابع بنسبة (٠,٠٠٤- ٠,٠٦٪) في المرتبة التاسعة، وأخيراً يأتي القرن السادس في المرتبة العاشرة الأخيرة بنسبة (٠,٠٤- ٠,١٪).

ومن القراءة السابقة يمكن - كنهجنا السابق - أن نصنّف تلك القرون بحسب حجم

المجموعات بها إلى ثلاث فئات:

١. المجموعة البؤرية: القرون (١٢، ١٣، ١١) بنسبة (٨٢,٣- ٨٢,٥٪).

٢. المجموعة الثانوية: القرون (١٠، ١٤، ٩) بنسبة (١٦,٧- ١٧٪).

٣. المجموعة الهامشية: القرون (٨، ٧، ٤، ٦) بنسبة (٠,٨- ١٪).

ومن ثم نجد المجموعة البؤرية حديثة إلى حدٍّ كبيرٍ، بخاصةٍ إذا قسمنا القرون إلى قسمين زمنيّين، لوجدنا أحدث أربعة قرون (١٤، ١٣، ١٢، ١١) تمثّل نسبة (٨٧- ٨٧,٩٪) من المجموعة مقارنةً بنسبة (١٢,١- ١٣٪) للقرون الأقدم (١٠،٩،٨،٧،٦،٤).

وإن كان ثمّة مبرر لذلك فإنّ نوعية المكتبة وطبيعة نشأتها وحداثتها مقارنةً بغيرها - كدار الكتب المصرية والمكتبة الأزهرية - والرغبة في تكوين المجموعات اللّازمة من الأوعية، كلّ هذا حدا بالقائمين على المكتبة إلى قبول أية مخطوطاتٍ أو مطبوعات من دون معايير واضحة، ممّا أورد للمكتبة كثيراً من المخطوطات الحديثة، بل هناك كثير ممّا يُطلق عليه مخطوطات؛ لكونها مكتوبةً بخطّ اليد، وإنْ كانت قد كُتبت في الطباعة وتحديداً في منتصف القرن العشرين، إضافةً إلى أنّ المخطوطات القديمة قد استقرت في أماكن بعينها كدار الكتب والمكتبة الأزهرية ممّا عسّر مَهمّة الحصول عليها، ومن الأمور الجديرة بالذكر في هذا السياق أنّ القرون الحديثة بطبيعتها أكثر غزارة في نسخ المخطوطات وإنتاجها والالتفاف حولها، وذلك على مستوى التراث العربي كلّه.

وفيما يأتي نماذج من المخطوطات تمثّل القرون المختلفة:

- ابن وهب. الجامع في الحديث. القرن الرابع الهجريّ. رقم٢٢٩٨٦.
- أبوسعيد الحسن بن علي السيرافيّ. أخبار النحويين. ٣٧٦هـ. رقم٢٤٠٣٦.
- أبوبكر محمّد بن خلف ابن المرزبانيّ البغداديّ. فضل الكلاب على كثيرٍ ممّن لبس الثياب. نسخة مصوّرة عن الأصل المكتوب في القرن الرابع الهجريّ.
- المحاسبيّ، الحرث بن أسد بن عبد الله المحاسبيّ البصريّ. له عدة رسائل:
  - المسائل في الزهد وغيره.
  - بَدْء مَن أناب إلى الله عزّ وجل.

- كتاب المكاسب والورع والشبه، وبيان مباحها ومحظورها، وأخلاق الناس في طلبها والرد على الغالطين فيه.
- كتاب آداب النفوس.
- ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه.
- المسائل في أعمال القلوب والجوارح.

نسخة مأخوذة بالفوتستات من نسخةٍ مخطوطة (٥٢٣هـ)، محفوظة تحت الرقم ١١٠١ في مكتبة جار الله.

- مغازي رسول اللهﷺ: الإمام أبي عبد الله محمّد بن عمر الواقديّ. ٥٦٤هـ، رقم٢٤٠٣٤.
- ديوان المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن المتنبيّ. مأخوذة بالفوتستات عن نسخةٍ مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٣٠ أدب. أدب. تاريخ نسخ النسخة الأصلية ٦٠١هـ، رقم٢٦٠٨٦.
- . كتاب سيبويه: سيبويه.٦٠٧هـ، رقم٢٦٠١٧.
- شرح تفسير التصريف: أبو عثمان المازنيّ ٦٠٩هـ: أبوالفتح عثمان بن جني، رقم٢٤٠٣٥.
- الآثار الباقية عبر القرون: أبو الريحان محمّد بن أحمد البيرونيّ ٦٤٠هـ، رقم٢٢٩٨٢.
- كتاب البخلاء: عمرو بن بحر بن محبوب المعروف بالجاحظ. نسخة مأخوذة بالفوتستات من نسخةٍ مخطوطة ٦٩٩هـ محفوظة تحت الرقم ١٣٥٩ بمكتبة كوبريلي باستانبول. رقم٢٦٠١٥.
- الصحاح الجوهريّ في اللغة: أبونصر إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ ٧٠٨هـ، رقم٢٣٢٩٨.
- كتاب حلية الأبرار في الأذكار: القطب النوويّ ٧١٠هـ، رقم٢٦٣٣٣.
- لغة التنبيه: أبو زكريا يحيى بن شرف النوويّ ٧١٢هـ، رقم٢٣٢٣٤.
- أصول الهندسة: محمّد بن سرياق بن محمّد بن سرياق الورقينيّ المراغيّ.

٧١٥هـ رقم. ٢٣٢,٩.

- مجموع كتب ورسائل:
  - تاريخ الحكماء، وهو كتاب نزهة الأرواح وروضة الأفراح المشتمل على تاريخ الحكماء اليونانيين والإسلاميين للشيخ شمس الدين الشهرزوريّ، وهو يشتمل على مائة وإحدى عشرة ترجمة. مصّورة بالفوتستات. عام ٧٥٣هـ.
  - منظومة في نعت حضرة الرسالة النبوية المصطفوية المحمّدية، وفيها مدح السلطان شيخ ولي بهادر خان سيدي عز الدين مطهّر. مصوّرة بالفوتستات بالفارسية. ٧١٧هـ، رقم ٢٣٣٢٨ .
  - محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مريّ بن حسن النوويّ. لغة التنبيه: ويُسمّى التحرير؛ وهو شرح لكتاب التنبيه لأبي إسحق إبراهيم بن علي الشيرازيّ. ٧٤٢هـ، رقم٢٣٢٣٤.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعيّ: أحمد بن محمّد بن علي الفيوميّ المقريّ (أبو العباس) ٧٤٢هـ، رقم١٦٨٩١.
- مصابيح السنة لأبي محمّد الحسين بن مسعود بن محمّد الفرّاء البغويّ. ٧٥٨هـ، رقم٢٢٤٣٨.
- المختار للفتوى: مجد الدين أبو الفتح الموصليّ.٧٦٠هـ، رقم١٧٠٥٧.
- ديوان ابن الفارض: عليّ سبط الشيخ ابن الفارض ٧٧٣هـ، رقم٢٣٠١٢.
- شرح على الرسالة الشمسية. ٧٨٣هـ، رقم١٥١١١.
- مجموع منه: كتاب الوافية في علم القافية. محمّد بن أبي بكر بن محمّد الفاريّ المالكيّ. ٧٨٦ هـ، رقم٢١٦٣٣.
- . حاشية الكستليّ على شرح العَقائد النسفية: مصلح الدين مصطفى القسطلانيّ٨٧٠هـ، رقم ١١٩٥٩.
- حاشية على تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية. ٨٨٣هـ، رقم١٥١٥.
- . أنوار التنزيل وأسرار التأويل: القاضي عبد الله بن عمر بن محمّد بن عليّ البيضاويّ ٩١٣هـ، رقم٢٢٢٤٧.

- أبو العتاهية وزهده: محمّد عبده حسن عزام. ٩٣٠هـ. رقم٩١١٩.
- شرح النزهة في الحساب لابن الهايم: الفزيّ. ٩٨٨هـ. رقم ٢١١٤٨.
- عمدة الحكّام ومرجع القضاة: محبّ الدين الحنفيّ الحمويّ ١٠٠٢هـ، رقم١٧٢١٥.
- شرح السنوسيّ على أم البراهين: محمّد بن يوسف السنوسيّ ١٠٤٧هـ، رقم١١٩٥٣.
- حاشية على الفرائض السراجية: محمّد المرعشيّ المعروف بساجقلي زاده ١١٥٠هـ، رقم١٨٩٤٦.
- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر: عبد الوهاب الشعرانيّ ١١٧٥هـ، رقم١٥٦٤٢.
- الأنوار اللّامعة للبدور الطالعة على دلائل الخيرات: محمّد عبد الله السملاويّ ١١٧٦هـ، رقم١٥٣٤٢.
- الشاطبية (حرز الأماني ووجهة التهاني): أبو محمّد القاسم الشاطبيّ ١٢١٩هـ، رقم١٨٧٣٢.
- كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان: عبد الوهاب الشعرانيّ ١٢٨٧هـ، رقم ١٥٥٥٥.
- تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية: قطب الدين الرازيّ ١٣٠٣هـ، رقم ١٥١٨٦.
- كتاب الإرشاد لمصالح الأنفس والأجساد: إسماعيل بن هبة الله بن جميع الإسرائيليّ المتطبّب المصريّ ١٣٥١ هـ، رقم٢٦١٠٣.

وبعد تحليل الاتجاهات الشكلية والموضوعية والزمنية لمجموعة المخطوطات العربية في المكتبة تجدر الإشارة إلى أنّ المجموعة تضمّ (٥٤) مخطوطةً كتبها مؤلّفوها أو أبناء مؤلّفيها أو تلامذة مؤلّفيها، أو نُسخت من نسخةٍ كتبها مؤلّفها أو قوبلت على نسخة المؤلّف، وهي من السّمات التي تميّز المخطوطات بعضها عن بعضها الآخر، ومن أمثلة ذلك:

- حاشية الباجوريّ على السلم المرونق للشيخ إبراهيم الأخضريّ: إبراهيم

الباجـوريّ. منقولـة عـن نسـخة المؤلّـف. رقـم١٥٣١٣.

- الأشباه والنظائر: زين الدين بن نجيم المصريّ. بخطّ المؤلّف. رقم١٧١٩١.
- المواكـب السـنية شـرح الكواكـب الدرية في مـدح خير البرية: سـالم بن محمّد بن موسـى المقـريّ. بخطّ تلميذ المؤلّف علي ابن الشـيخ أحمد العريـف. رقم٢٣٠٠٥
- عبـد الـرازق بـن خليل. تقريب المرام في شـرح تهذيـب الكلام لسـعد التفتازانيّ. بخـطّ مؤلفّها. رقم١١٩٠٤.
- طريق العبر في طريق النقشبندية: عبد الغني النابلسيّ. بخطّ ابن المؤلّف. رقم١٥٤٦٤.
- رسـالة فـي تفضيـل آل بيـت المصطفى: عبد القـادر بن محمّد درويش الحسـينيّ الحمزاويّ. بخـطّ المؤلّف. رقم١٧٥٥١
- شـرح الأجهـوريّ للجوهـرة: علـيّ بـن زيـن الدين بـن محمّـد الأجهوريّ. نُسـخت مـن نسـخة المؤلّف. رقـم١١٩٠٧.
- كتاب التجارة والوصايا: عليّ بن محمّد الطائيّ. بخطّ المؤلّف. رقم١٩٠٤.
- حاشـية الصبّـان علـى شـرح مـلا حنفي علـى الرسـالة العضدية فـي آداب البحث: محمّـد بن علـيّ الصبّان. بخـطّ مؤلّفها. رقـم١٥٣٠٥.
- القـول السـديد فـي أحـكام التقليد: منيب الهامشـيّ الحنفيّ. نُسـخت عن نسـخةٍ قُوبلـت علـى نسـخة المؤلّف في حضـوره. رقم٢٠٠٧٩

٥/٣ الزيادة العددية

من المتعارف عليه أنّ مقدار الزيادة السنوية يُرصد من خلال السجلّات، إذ يدوّن فيها أمام كلّ وعاء تاريخ وروده إلى المكتبة، والواقع أنّ الأمر في سجلات المخطوطات في المكتبة المركزية في جامعة القاهرة جدُّ محيّرٍ للأسباب الآتية:

١. عدم وجود سجلّات مستقلّة للمخطوطات.
٢. لا توجد في السجلّات إشارات قاطعة تميّز المخطوطات عن المطبوعات.
٣. بدأ القيد بالسجلّات الراهنة - وفقاً للتواريخ الموجودة - منذ نهاية عشرينيات القرن العشرين، وهو مغايرٌ للواقع الفعليّ للتزويد ربّما؛ إذ إنّ المخطوطات بدأت تأتي إلى المكتبة ابتداءً من سلفها مكتبة الجامعة الأهلية.

٤. عندما بدأ تسجيل التاريخ في الأوقات اللّاحقة لم يسجّل بالدقة والوضوح والاستمرارية والاكتمال المناسب، فتارةً يذكر التاريخ، ويهمل مراتٍ ومراتٍ.

ويعدّ عقد الأربعينيات فارقاً بين مرحلتين للاقتناء؛ مرحلة النموّ والاقتناء المتزايد سواء عن طريق الإهداء أم الشراء، والمرحلة التالية وهي مرحلة ركود في النموّ، وفيها تأتي المخطوطات على استحياءٍ قليلةً ونادرةً، وفي ذات العقد نجد مجموعةً قيّمة من المخطوطات الطبّيّة قد جاءت للمكتبة، هي مجموعة المستشرق ماكس مايرهوف، كذلك نجد في هذا العقد أيضاً مخطوطات كلٍّ من السيّد محمّد رضا، والسيّد محمود صدقي التي لا تتسم بحداثة الورود فقط، وإنّما تتسم بحداثة النّسخ والكتابة أيضاً.

وإنْ كان هذا ينطبق على المجموعة الخطيّة، فإنّ المخطوطات المصوّرة استمرت في النموّ والورود لمدةٍ أحدث من ذلك بكثير، ويعود هذا إلى إمكانية الحصول على نسخٍ مصوّرة من المخطوطات بسهولةٍ ويسر، وبسعرٍ أقلّ من المخطوطات الخطيّة، ومن ثمّ نجد المخطوطات المصوّرة قد جاء معظمها في أوقاتٍ لاحقة خلال النصف الثاني من القرن العشرين، إذ نجد كثيراً منها قد ورد خلال عقدي الستينيات والسبعينيات.

وختاماً، وحسبما هو موجود بالسجلات؛ فإنّ أقدم تاريخٍ موجود هو عام (١٩٢٩م)، وأحدث عامٍ هو(١٩٧٣م)، وإنْ كان ثمّة تحفّظ فهو على عام (١٩٢٩م)، الذي لا يدلّ مطلقاً على بداية ورود المخطوطات إلى المكتبة كما سلفت الإشارة.

٦/٣ جرد المخطوطات

تعرّضت المخطوطات العربية على مرّ العصور لكثيرٍ من عمليات النهب والسرقة والدمار، سواء بسبب الظروف الطبيعية أم بسبب الحروب أم بسبب النزاعات والتعصبات المذهبية، وما وصل إلينا من هذا التراث لم يسلم بدوره من الإهمال تارةً، وتعمّد سرقته تارةً أخرى، ومن ثَمّ زخرت المكتبات والمتاحف الغربية بكثيرٍ من المخطوطات العربية. ومع هذا لم تحظَ المخطوطات العربية بتشريعٍ مستقل يجرّم سرقتها وإتلافها، ويضرب على يد المقصرين، اللّهم إلّا قانون حماية الآثار رقم (٢١٥) لسنة ١٩٥١م؛ الذي جعل المخطوطات والمواد النادرة في ضمن المجموعات الأثرية الواجب الحفاظ عليها

وعدّها تراثاً وطنياً[١]. وصدور قرار رئيس جمهورية مصر العربية رقم (١١٤) لسنة ١٩٧٣م، المتعلّق بالموافقة على انضمام مصر إلى الاتفاقية الخاصة بحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرقٍ غير مشروعة، التي أقرها المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة في دورته السادسة عشرة التي عقدت في باريس ١٤ نوفمبر١٩٧٠م.[٢]

أمّا على مستوى المكتبات فإنّ اللوائح تنصّ على عدم جواز فقد المخطوطات في ضمن نسبة الفاقد السنويّ الخاص بالمواد الأخرى. ومن ثمّ تقوم المكتبات بإجراء عملية الجرد للكشف عن المخطوطات المفقودة والاطمئنان على سلامة الرصيد وكماله، وطبقاً للائحة مكتبات جامعة القاهرة يكون جرد المخازن جزئياً كلّ عام؛ حتى يتمّ جرد المخازن بأكملها مرةً كلّ خمس سنوات، أمّا القاعات ذوات الرفوف المفتوحة، فيتمّ جرد محتوياتها سنوياً.[٣]

وعلى الرغم من أنّ المادة (٢٤) من اللائحة تنصّ على عدم جواز فقد المخطوطات[٤] إلّا أنّه بالاطّلاع على السجلات وُجد أنّ (٢١٣) مخطوطةً تضمّ (٣٢٠) عملاً مسجّلاً أمامها بالسجلات أنّها أُسقطت في الجرد، وذلك على مدار مدّةٍ زمنية تمتد من ١٩٦٠-١٩٩٧م، وبتوزيع المجموعة على سنوات الجرد نجدها كالآتي:

جدول رقم (١٠)

توزيع المخطوطات التي أسقطت في الجرد (بحسب أرقام قيدها) على سنوات إسقاطها

سنة الجرد	عدد المخطوطات	النسبة ٪
١٩٦٠	٨٣	٣٩
١٩٦٧	١	٠,٥

(١) قانون رقم (٢١٥)لسنة ١٩٥١م لحماية الآثار المتضمّن المخطوطات في جمهورية مصر العربية: المورد، مج ٥/ ع١ /١٩٧٦م، ٨٦-٨٩ .

(٢) قرار رئيس جمهورية مصر العربية رقم ١١٤ لسنة ١٩٧٣م: المورد، مج ٥/ ع١ /١٩٧٦م. ٩٠-٩٥.

(٣) الإدارة العامة للمكتبات الجامعية لائحة مكتبات: جامعة القاهرة: ١٨.

(٤) الإدارة العامة للمكتبات الجامعية لائحة مكتبات: ١٩.

١٩٦٨	٤٥	٢١,١
١٩٧٠	١	٠,٥
١٩٧٢	١	٠,٥
١٩٧٧	٢٠	٩,٤
١٩٨٠	٢٨	١٣
١٩٨٥	٩	٤,٢
١٩٨٦	١	٠,٥
١٩٩١	٧	٣,٣
١٩٩٣	١٠	٤,٧
١٩٩٤	٦	٢,٨
١٩٩٧	١	٠,٥
الإجمالي	٢١٣	٪١٠٠

جدول رقم (١١)

توزيع المخطوطات التي أُسقطت في الجرد (بحسب العناوين المتضمنة) على سنوات إسقاطها

سنة الجرد	عدد المخطوطات	النسبة ٪
١٩٦٠	١٢١	٣٨
١٩٦٧	١	٠,٣
١٩٦٨	٧١	٢٢,٢
١٩٧٠	١	٠,٣
١٩٧٢	١	٠,٣
١٩٧٧	٢٣	٧,٢
١٩٨٠	٤٣	١٣,٤
١٩٨٥	١٨	٥,٦
١٩٨٦	١	٠,٣
١٩٩١	٢٠	٦,٢
١٩٩٣	١٠	٣,١
١٩٩٤	٩	٢,٨

١٩٩٧	١	٠,٣
الإجمالي	٣٢٠	٪١٠٠

ومنها نجد عام ١٩٦٠م يأتي على قمّة السنوات التي أُسقطت فيها المخطوطات، إذ أُسقط فيه (٨٣) ثلاث وثمانون مخطوطةً بنسبة ٣٩ ٪ من إجمالي المخطوطات التي أُسقطت، يليه عام ١٩٦٨م بنسبة ٢١٪، بل إنّ عقد الستينيات يأتي على رأس العقود التي أُسقطت فيها المخطوطات، إذ أُسقط فيه (١٢٩) مائة وتسع وعشرون مخطوطةً بنسبة٦,٠٥ ٪ من إجمالي المخطوطات التي أُسقطت.

ونلحظ من تلك الظاهرة أمرين:

١. وجود مخطوطاتٍ تسقط في الجرد، وهذا مخالف لنصّ اللّائحة سالف الذكر.
٢. عدم وجود تبريراتٍ وأسباب مقنعة لعمليات إسقاط المخطوطات من السجلات، وإنّما يُكتفى بذكر عبارة(أُسقط في جرد عام كذا). وذلك باستثناء عدد (٧) سبع مخطوطاتٍ (تضمّ عشرين عنواناً) نُقلت إلى متحف الجامعة، وكان ذلك في عام ١٩٩١م.

٤. حفظ المخطوطات وصيانتها وترميمها

تتأثر المخطوطات بحكم تكوينها بالظروف الطبيعية المحيطة بها، وبالعوامل الكيميائية والبيولوجية، وكذلك بالسلوك الإنسانيّ المتعامل معها، إضافةً إلى التقادم الزمني وآثاره فيها.

وإذ إنّ المخطوطات تراث يصعب تعويضه وإبداله بغيره، فقد أصبح واجباً مراعاة الدقة في حفظها، وتوفير الوسائل، واصطناع الظروف الملائمة لها المتمشية مع طبيعتها، والعمل على صيانتها بصفةٍ دورية ودائمة؛ حتى يطول عمرها أطول مدّة زمنية ممكنة، وترميم ما أصابته يد الزمن، وهو ما يمثّل موضوع هذا المبحث الذي نتناول فيه الأطر النظرية للحفظ والصيانة والترميم في المكتبة محلّ الدراسة.

١/٤ مقدّمة

كانت مصطلحات (حفظ، صيانة، ترميم) تُستخدم في أدبيات الموضوع - إلى وقتٍ قريب - بصورةٍ تبادلية مترادفة، ومع النصف الأخير من القرن العشرين بدأت الدراسات التنظيرية والتطبيقية تفرّق وتميّز بين هذه المصطلحات، وفيما يأتي بعض الدراسات التي تفرّق بين هذه المصطلحات الثلاثة[(١)]:

- بدايةً نجد المجلس القوميّ الاستشاريّ للحفظ بالولايات المتحدة الأمريكية يستخدم هذه المصطلحات كالآتي:

الصيانة بوصفها مصطلحاً شاملاً ينصبّ أساساً على الفحص وتحديد الوعاء.

الحفظ كونه عملاً يؤدّى من أجل تأخير تدهور الأوعية، وذلك بالتحكم في ظروفها البيئية ومعالجتها.

ويتمثّل الترميم فيما يُؤدّى من أجل إصلاح المتدهور.

(١) بعض الاتجاهات الحديثة في حفظ وصيانة الكتب والمطبوعات في المكتبات: عماد عبد الحليم: ١٨٩-١٩٠.

- يميّز كريستوفر كلاركسون - موظف صيانة بريطانيّ - وهو يحدّد الفروق البينيّة بين تلك المصطلحات، فيرى أنّ (الحفظ) هو علاج وقائي يختصّ بكلّ وجهٍ من أوجه النشاط المكتبيّ، ويشترك فيه كلُّ روّاد المكتبة والعاملون بها كلٌّ على قدره، وقريباً منه مصطلح (الصيانة) الذي يهدف إلى ضمان سلامة الأشياء التي تتلف بسرعةٍ وصلاحيتها؛ وذلك لاستخدامها أطول مدّةٍ ممكنة، في حين أنّ (الترميم) يهدف إلى إعادة البناء شبه الشامل للموادّ خلال مدّةٍ محدّدة؛ لضمان استخدام أكثر كفاية. ومن ثَمّ فإنّ كلاريكسون قد ربط المصطلحات الثلاثة بمدى العمليات التي تنطبق عليها، فالترميم يدلّ على التغييرات الرئيسة، والصيانة مرتبطة بالتغييرات الدنيا، في حين لا يدلّ الحفظ على أية تغييرات.
- عرّف الاتحاد الدوليّ لجمعيات المكتبات ومؤسساتها (IFLA) بهذه المصطلحات الثلاثة - كما يذكر روس هارفي - على النحو الآتي:

«**الحفظ:** ويشمل كلّ الاعتبارات الإدارية والمالية بما فيها التخزين، وشروط التكييف، وخبرات العاملين، والتقنيات والأساليب المستخدمة في حفظ المقتنيات المكتبية، والصيانة تدلّ على السياسات المحدّدة والممارسات المستخدمة في حماية الموادّ المكتبية والأرشيفية من التلف والبلى، بما في ذلك الأساليب والتقنيات التي يبتكرها العاملون الفنيّون، ويدلّ الترميم على الأساليب والتقنيات المستخدمة من قبل العاملين الفنّيين المشتركين في عملية إصلاح الموادّ المكتبية التي عفا عليها الزمن، تهالكت بالاستخدام وبعوامل أخرى».

- في حين أنّ أ.د. شعبان عبد العزيز خليفة يحدّد الفروق بين هذه المصطلحات كالآتي[1]:

الحفظ: تهيئة الظروف الداخلية والتحكّم فيها؛ حتى يعيش الوعاء في ظروفٍ تساعد على بقائه سليماً معافىً أطول مدّة ممكنة، ومنع التلف من التسرّب إليه.

الصيانة: فحص دوريّ للاطمئنان على سلامة الأوعية، وعزل المصاب منها

(١) تعليق كتابي لسيادته على مسوّدة الدراسة.

وتحديد درجة الإصابة؛ وذلك لتشخيص المرض ووصف العلاج, وهو المرحلة التالية أي الترميم.

الترميم: إصلاح التالف والمتدهور لوقف التلف وإبطال التدهور؛ لإطالة عمر الوعاء على قدر المستطاع

- وبعد؛ نحدّد من قبلنا توصيفاتٍ إجرائية لهذه المصطلحات بما يخدم الدراسة:

فالحفظ يقصد به توفير المكان المناسب لطبيعة المخطوطات بَدءاً من حسن اختيار الموقع ومواصفات الإنشاء والبناء وصولاً إلى التجهيزات المادية الداخلية من دواليب (خزائن) وأرفف وغيرها.

في حين تنسحب **الصيانة** على الإجراءات المتخذة لمنع تهالك المخطوطات؛ بما فيها اصطناع الظروف الطبيعية من ضوءٍ ورطوبة مناسبة، وحسن التعامل مع الظروف الكيميائية والبيولوجية للمخطوطات، وضبط السلوك الإنساني وتوجيهه في تعامله مع المخطوطات.

أمّا **الترميم** فهو مغاير للحفظ والصيانة بصفة المصطلحين السابقين يدلّان على إجراءٍ وقائيّ، في حين أنّ الترميم هو إجراء علاجيّ، كذلك فهو يتعامل مع المخطوطات المصابة عكس المصطلحين السابقين اللذين يتعاملان مع المخطوطات في حالتها الطبيعية، بل وقبل إيداعها المكتبة.

٢/٤ حفظ المخطوطات

بدايةً؛ يكتسب المكان قيمته وأهميته من قيمة الشيء المحفوظ فيه، فإذا كانت المخطوطات قيمةً تاريخية وحضارية وفكرية وعلمية وقومية، بل عزيزةً ونادرة يصعب تعويضها، فلابدّ من أن يكون مكان حفظها على قدرها، بدايةً من اختيار الموقع وبنائه وتجهيزاته. وبحسب التعريف الإجرائيّ سيتمّ تناول ثلاثية: الموقع , والبناء , والتجهيزات.

موقع الحفظ

بادئ ذي بَدء، وضع خبراء مباني المكتبات أربعة شروطٍ أساسية لموقع المكتبة-أيّاً

كان نوعها- يجب الالتزام بها، وهي:

١. سهولة الوصول إليه.
٢. السماح بدخول أكبر كمية من الضوء الطبيعيّ.
٣. السماح بدخول أكبر كمية من التهوية الطبيعية.
٤. السماح بالتوسع مستقبلاً.[١]

إضافةً إلى هذا، فإنّ أماكن حفظ المخطوطات يجب أن تتوافر فيها بعض السمات والشروط الإضافية، فلابدّ من أن يكون المكان بعيداً عن أماكن الازدحام والتكدّس بالسيارات، وبعيداً عن المناطق الصناعية؛ وذلك تفادياً لتأثير عوادم السيارات ومخرجات المصانع في المخطوطات - كما سيتمّ لاحقاً - ولذات السبب يجب أن يكون مكان الحفظ في الأدوار السفلية؛ حتى لا تتأثر المخطوطات بإفرازات الدخان والغازات الضارة، بل يذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك؛ فيرى ضرورة إنشاء المخازن تحت الأرض؛ حتى تسمح بالحفظ لأوقاتٍ أطول، ولتكون مخزناً وملجأً في الوقت نفسه[٢].

ومن دواعي الأمن والسلامة يتعيّن أن يكون المكان وسطاً قريباً من قاعات الاطّلاع والتصوير وورشة الصيانة والترميم والتجليد.

وإنشائياً، فقد أصبح هناك ما يُعرف بمباني المكتبات المتوافقة مع البيئة، وهي التي تعمل على حماية محتوياتها، بل زائريها من الجوّ الخارجيّ - حرارةً وأمطاراً ورياحاً - من خلال استغلال الظواهر الطبيعية واستخدام المواد اللّازمة[٣]، من أجل ذلك يفضّل أن تكون الجدران سميكةً، كما يفضّل استخدام رقائق من الألمنيوم في مواد البناء؛ للاحتفاظ بدرجةِ حرارةٍ ثابتة[٤].

(١) مباني المكتبات المدرسية وتجهيزاتها في مصر عرض للواقع ورؤية للمستقبل: شعبان عبد العزيز خليفة: ٢

(٢) صيانة وخزن وتعفير المخطوطات: أسامة ناصر النقشبنديّ: المورد، مج ٥/ ع ١ /١٩٧٦م، ١٥٨ .

(٣) معايير تصميم مباني المكتبات الكبرى: هاري فولكنر براون: ٢٦٥.

(٤) بعض الاتجاهات الحديثة في حفظ وصيانة الكتب والمطبوعات في المكتبات: ١٩٣.

تجهيزات المكان: ونذكر هنا بعضها ونرجئ بعضها الآخر إلى موضوع الصيانة؛ لارتباطها الشديد به، ومن المحاذير في هذا الصدد وجوب البعد عن استخدام خزائن(دواليب)خشبية[١]؛ لأنّها تساعد على نموّ الحشرات وتتفاعل مع الجوّ بسهولةٍ، ويصعب تنظيفها بصورةٍ جيدة، وأنّها تمثّل عامل خطرٍ في حالة الحرائق، وعليه يجب استخدام الخزائن المعدنية؛ لأنّها عكس الخزائن الخشبية؛ سهلة التنظيف، ولا تسمح بنموّ الحشرات، وتحمي المخطوطات و تقيها في حالة الحرائق، إضافةً إلى كونها آمنةً غير قابلة للكسر، ومن ثمّ السرقة والضياع. و يشترط أن تكون الخزائن مثقّبةً ثقوباً دقيقة تسمح بمرور الهواء العادي فقط من دون الأتربة والغبار وبنسبٍ معينة.

وترتيباً على ما سبق، يجب أن تكون الأرفف معدنيةً لذات الأسباب سالفة الذكر، ويجب أن تكون متحركةً تسمح بالتعامل مع المخطوطات بحسب أحجامها المتباينة. ومن الأمور الواجبة كذلك استخدام مساند كافية تقي المخطوطات من التقوّس الذي يضعفها ويفسدها، ويجب أن تكون هذه المساند مبطّنةً بالفلين – أو مادةٍ مماثلة - لحماية المخطوطات من الاحتكاك بالمعدن[٢]، بيد أنّ هناك رأياً يفضّل حفظها أفقياً؛ لتجنب ذلك التقوّس إلّا أنّ الوضع الأفقي يعوّق الاستدعاء والاسترجاع، ويعرّض المخطوطات للتمزق والتلف من كثرة التقليب والبحث.

وإذا كان ما سبق يتعلّق بحفظها وترتيبها مادياً، فإنّ أسس الترتيب من ناحية المضمون والمحتوى قد تكون إحدى طرائق ثلاث:

١. حسب نظام التصنيف العام المستخدم في المكتبة.
٢. حسب نظام تصنيفٍ خاصّ بالمخطوطات.
٣. حسب أرقام القيد والتسجيل (أسلوب التسلسل العدديّ).

ومن نافلة القول إنّ لكلٍّ ميزته؛ فإنْ كان النظامان الأولان يحافظان على الوحدة الموضوعية ويكشفان عن مدى التوازن في المجموعة ويساعدان في عملية التزويد، فإنّ

(١) الكتب والمكتبات في العصور الوسطى والقديمة: شعبان خليفة: ٢٢١.

(٢) حفظ ووقاية المقتنيات في دار الكتب المصرية بين الواقع وتطلعات المستقبل: عايدة نصير: ١٤.

النظام الأخير سهّل الاستخدام، إذ لا يتطلّب درايةً وخبرة بنظام التصنيف وترتيبه، ويعفي من إجراء عملية التصنيف ذاتها، وأنّه يساعد في عمليات الجرد ويكشف بسهولةٍ ويسر عن المخطوطات المفقودة؛ لاعتماده على الأرقام الموجودة في السجلات ذاتها. كذلك يرى بعضهم أنّ أسلوب التسلسل العدديّ يؤدي إلى الإقلال من ملامسة المخطوطات، إذ إنّ الأمر لا يحتاج إلى التقليب والبحث، وإنّما يتمّ إخراج المخطوط وإعادته بحسب الرقم المدوّن على الكعب، بسهولةٍ ويسر[١].

وبتطبيق ذلك على المكتبة المركزية في جامعة القاهرة نجد مخطوطات المكتبة قد انتقلت بين أكثر من مكانٍ عِبْرَ تاريخها وتطوّرها بتغيّر مكان المكتبة ذاتها، بل إنّ مكان المخطوطات ذاتها تغيّر داخل المبنى الحالي، حتى استقرت في مكانها الحالي في قاعة الخدمة المكتبية التي تقع في الدور الأرضي على يسار الداخل إلى المكتبة، وتبلغ مساحتها حوالي (٥٠) متراً مربعاً، وفيها شبّاكان كبيران من الناحية الشرقية، وبابها من الناحية الغربية، وهي مبنيّة كجزءٍ من المكتبة على الطراز القديم ذي الأسقف المرتفعة - المبنى موجود منذ أواخر عشرينيات القرن العشرين - وهي غير معدّة أساساً للمخطوطات، ومن ثمّ لا تتوافر فيها الشروط الإنشائية المطلوبة.

وفيما يتعلّق بالخزائن (الدواليب) فهي خشبية ثابتة، ومقسمة أفقياً إلى قسمين: علويّ وسفليّ، يتكون الجزء العلويّ من (٧) سبعة أرففٍ، وله باب زجاجيّ عليه ستائر قوية لها ميزات سنوردها لاحقاً، ويتكون الجزء السفليّ من (٣) ثلاثة أرفف وبابه خشبيّ، ولهذه الخزائن مفاتيح خاصة لدى مسؤولي القاعة.

أمّا الأرفف فإنها كذلك خشبية ثابتة لكنّها كبيرة؛ إذ إنّها تتسع لأكبر المخطوطات ارتفاعاً، ولا تستخدم مساند لحماية المخطوطات من التكوُّم والتقوّس؛ ممّا أصاب المخطوطات بالتلف والتمزّق، بخاصة وأنّ المخطوطات الكبيرة والمتوسطة والصغيرة توضع معاً بدون فواصل أو مساند أو غيرها, والمطّلع على الخزائن والأرفف يلحظ غياب التوازن بينها فيما تحمله من مخطوطات، ففي حين نجد أرففاً تئنّ بما تحمله من مخطوطاتٍ، نجد مثيلاتها في رفاهيةٍ من أمرها.

(١) صيانة وخزن وتعفير المخطوطات: ١٥٩.

وفيما يخصّ الترتيب، فإنّ المخطوطات موضوعة داخل الخزائن بصورةٍ رأسية، ومرتبة بحسب أرقام القيد والتسجيل، ومن ثَمّ لا تتبع أيّ نظام تصنيفٍ منطقيّ، وهذا أدّى إلى اختلاط المخطوطات الأصلية مع المخطوطات المصوّرة معاً. ومع أنّ الترتيب بحسب أرقام القيد - التي تستخدم كأرقام استدعاء - يتيح سرعة الوصول إلى المخطوطات، ومن ثَمّ سهولة وسرعة إحضارها إلّا أنّ ذلك الترتيب قد اختلّ في كثيرٍ من الأرفف، ممّا يؤثر في المخطوطات ذاتها من كثرة التقليب والبحث.

٣/٤ صيانة المخطوطات

كما أسلفنا، فإنّ الصيانة عملية مبتغاها أن يطول عمر المخطوطات أكبر مدّة زمنيةٍ ممكنة، وأن يتأخر تآكلها وتدهورها قدر الإمكان، ومن ثَمّ فإنّ عملية الصيانة تتعلّق بمجموعة التدابير والاحتياطات والوسائل التي تُتخذ في سبيل تحقيق ذلك الغرض.

وقبل استعراض هذه التدابير والاحتياطات والوسائل حريّ بنا أن نقف عند أهم العوامل التي تعجّل بتدهور حالة المخطوطات، والتي تجيب عن السؤال الآتي: من ماذا نصون مخطوطاتنا؟ وكذلك ذكر الأعراض الناتجة عنها، بعد ذلك نردف كلّ عاملٍ بالتدابير والاحتياطات والوسائل اللّازمة.

بدايةً؛ تتكون المخطوطات من مواد (سيلولوز) ممثلةً في الورق، وموادّ بروتينية ممثلةً في الجلود والرّقوق[١]، وهي تتعرّض لكثيرٍ من العوامل المحيطة كالتلوّث الجويّ، وتباين درجات الحرارة والرطوبة والإضاءة، ممّا يجعلها تتحول إلى موادّ تساعد على نموّ الحشرات والفطريات، إضافةً إلى السلوك البشريّ المتعامل مع المخطوطات إدارةً وخدمةً و اطّلاعاً، كلّ هذا يصيبها ويتلفها تدريجياً بخاصة إذا وضعنا في الحسبان كونها موادّ استخدمت منذ أمدٍ بعيد، ومن ثمّ تُظهر عليها أعراضاً وأضراراً مثل:

١. جفاف الأوراق وتقصّف أحرفها.
٢. انتشار الثقوب والقطوع على حوافّ المخطوط ونصوصه.
٣. انتشار بقع لونية كيميائية وبيولوجية على الصفحات والأغلفة.

(١) المخطوط العربي الإسلامي: محمد بن إبراهم الشيبانيّ: ١٤-١٣.

٤. التصاق الأوراق ببعضها، ومن ثَمّ تحجّرها.

٥. تآكل الأوراق تحت أحرف الكتابة.

٦. بهتان لون الحبر وموادّ الكتابة الأخرى.

٧. التواء الأغلفة وانكماشها بخاصة الجلدية منها؛ وذلك إذا تلا ارتفاع نسبة الرطوبة ارتفاع مفاجئ في درجات الحرارة.

٨. تفتّت الكعب وهشاشته.

٩. تصلّب الأغلفة أو تحجّرها وتمزّق مفاصلها.[١]

وهذا كلّه بطبعه يؤدي إلى تقليص الإفادة من المخطوطات، وينذر بقرب دمارها وهلاكها. ويمكن تقسيم العوامل المؤثرة في المخطوطات والمؤدية إلى الأعراض والأضرار السابقة على:

١. عوامل كيميائية.

٢. عوامل طبيعية.

٣. عوامل بيولوجية.

٤. عوامل سلوكية.

(١) العوامل الكيميائية

كالغازات، والأدخنة، والغبار والأتربة.

فالغازات مثل: ثاني أكسيد الكبريت، ثاني أكسيد الكربون، الأوزون، كبريت الهيدروجين، غاز النشادر، وتكمن خطورتها في تناثرها في الهواء الجويّ ممّا يصعب عملية تجنّبها وتفاديها، بخاصة إذا علمنا أنّ غازاً مثل الأوزون أو ثاني أكسيد الكبريت تمتصه ألياف الورق – بخاصة في الشتاء – بسهولة، ولو لم تصل نسبته في الهواء نصفاً في المليون، فيتّحد مع الأكسجين وبخار الماء الموجودين في الهواء، مع مركبات الحديد الموجودة في الورق، فيتكون حامض الكبريتيك الذي يتفاعل مع ألياف السيلولوز ويتلف

(١) العلم وصيانة المخطوطات: مصطفى السيّد يوسف: ٦٤-٦٣.

الورق، وبازدياد نسبة هذا الحامض في الورق تزداد نسبة تحلّله. والمخاطر نفسها تكمن في الأدخنة التي تنتج بسبب عمليات الأكسدة والاختزال غير الكامل للموادّ، وبسبب احتراق الفحم والوقود المستخدم في عمليات التدفئة، وفي النشاط الصناعي، وكذلك الناتج من عوادم السيارات.

أمّا **الغبار والأتربة:** فهي عبارة عن حبيباتٍ دقيقة وخفيفة يحملها الهواء وتنتشر داخل صفحات المخطوطات وعلى جلودها، حاملةً معها جراثيم الفطريات وبويضات الحشرات، فتصيب المخطوطات إصاباتٍ بالغةً، بخاصة إذا توافرت لها الظروف المساعدة على نموّها كالحرارة والرطوبة.

وكما يقول عبد العزيز المسفر[١] فإنّ احتواء الغبار على نسبٍ من العناصر المعدنية كالحديد والرصاص يسهم في إنشاء بقعٍ صفراء على الورق، مكوّنةً الأحماض المسببة في تكسّر الأوراق وتلفها، وتلف الأحبار أيضاً.

ولحماية المخطوطات وصيانتها من ذلك يجب اتّباع الآتي:

١. غلق النوافذ والأبواب بصورة محكمة.
٢. استعمال مكانس كهربائية لشفط الأتربة والغبار عند التنظيف.
٣. وجود شفاطات لتنقية جوّ المخازن من الأتربة والغبار.
٤. منع التدخين بالمخازن وصالات القراءة.
٥. تنقية الهواء الداخل للمكتبة عن طريق المرشحات الإلكتروستاتيكية لترسيب المواد العالقة في الجو، ومن ثمّ منع دخول الغازات الضارة إلى المخازن والقاعات.
٦. التغلّب على وجود الغازات عن طريق استخدام جهاز تكييفٍ يمرّ فيه الهواء عن طريق أنابيب فيها ماء بارد مشبّع بمحلولٍ قلويّ يمنع الصدأ عن الأسطح المعدنية التي يمرّ عليها الهواء بعد ذلك[٢].
٧. يمكن كذلك الاعتماد - مستقبلاً - على التشجير المكثّف حول المبنى؛ إذ إنّه

(١) المخطوط العربي وشيء من قضاياه: عبد العزيز بن محمد المسفر: ١١٦.
(٢) الكتب والمكتبات في العصور الوسطى: ٢٢٠.

يؤدّي فائدتين؛ أولاهما امتصاص الغبار والأتربة، والثانية تظليل الجدران المعرّضة للشمس ممّا يقلّل من درجة الحرارة[١].

وقبل النظر إلى الوضع داخل المكتبة المركزية في جامعة القاهرة تجدر الإشارة إلى أنّ مسؤولية الصيانة فيها تقع على عاتق مدير الخدمة المكتبية حسبما نصّت عليه المادة (٢١) الحادية والعشرون من لائحة المكتبات الجامعية في جامعة القاهرة: «تسلّم مقتنيات المكتبة إلى أمناء المخازن، ويكونون مسؤولين عنها بالتضامن فيما بينهم, ويشرف عليهم مدير إدارة الخدمة المكتبية الذي يكون مسؤولاً عن المحافظة عليها وصيانتها، وتيسير الإفادة منها في ضوء القواعد المنصوص عليها باللائحة»[٢].

أمّا فيما يخصّ العوامل السابقة فإنّ جامعة القاهرة تُعدّ أكبر الجامعات المصرية وأعرقها، وتقع في عاصمة القطر، ممّا جعلها مركزاً لتجمّعٍ سكانيّ وخدميّ كبير، وأضحت الشوارع المحيطة بها مكتظّةً بالسيارات، بل أصبحت الجامعة ذاتها مملوءةً بالسيارات، وهذا المجتمع يفرز كثيراً من الغازات المختلفة والأدخنة التي تؤثر في المخطوطات؛ فنجد امتصاص الأوراق لعادم السيارات يؤدي إلى تحوّله إلى حامض النيتريك الذي يؤدي بدوره إلى تغيّر لون الأوراق وإضعافه[٣].

وهنا تتضح لنا ندرة التدابير المتّخذة في هذا الشأن، فنجد قاعة المخطوطات غير مزوّدةٍ بشفاطاتٍ هوائية أوتكييفات تنقّي الهواء الداخل للقاعة عبر تمريره على ماءٍ بارد، كذلك لا توجد مكانس كهربائية لشفط الأتربة ومنعها من التطاير في الجوّ حتى لا تضرّ بالمخطوطات، وإنّما يتمّ تنظيف القاعة بالطرائق التقليدية كالمكانس اليدوية التي تساعد على تناثر الأتربة والغبار، كذلك فإنّ الطريق ممهد أمام وصول الأدخنة إلى القاعة – ولو بنسَبٍ غير كبيرة - عبر الباب المفتوح بصورةٍ دائمة لكون القاعة قاعةً لإدارة الخدمة، وكذلك بسبب موقع القاعة ذاتها، إذ إنّها في مدخل المكتبة، ومن ثمّ يمرّ أمامها العاملون والمستفيدون ممّا يسهم في تطاير الأتربة ودخولها القاعة. وممّا يحسب

(١) حفظ ووقاية المقتنيات في دار الكتب المصرية:٥-٦.

(٢) الإدارة العامة للمكتبات الجامعية لائحة مكتبات جامعة القاهرة: ١٨.

(٣) حفظ ووقاية المقتنيات في دار الكتب المصرية: ٥-٦.

للمكتبة في هذا الشأن كون الخزائن الخشبية مغلقةً بصورةٍ محكمة ولا تفتح إلّا عند الحاجة، ومثلها النوافذ التي لا تفتح إلّا قليلاً.

(٢) العوامل الطبيعية

وهي الظروف الجوية والمناخية بخاصة غير المستقرة وغير المنضبطة؛ لأنّ الكائنات الحيّة غالباً ما تنمو بفعل عوامل: الغذاء، والحرارة، والرطوبة، والضوء، فإذا كانت الأوراق والجلود والرقوق غذاءً للحشرات والقوارض والكائنات الدقيقة - كما سنرى - فإنّه من باب الصيانة يجب ضبط درجات الحرارة ونسب الرطوبة والضوء.

الحرارة: إذا تعرضت المخطوطات لدرجات حرارةٍ عالية، فإنّ أوراقها يتغيّر لونها إلى الصفرة، ويسرع إليها التقصّف وتصبح هشّةً؛ فألياف الورق تتقلّص وتتمدّد مع التغيّرات المفاجئة في درجات الحرارة ممّا يجعلها تتكسّر وتتلف، كذلك فإنّ المواد المستخدمة في التجليد كالغراء والصمغ تفقد قوتها وتماسكها[1]. وارتفاع درجات الحرارة قد يكون بسبب المناخ كما في المناطق الحارة أو ناتجاً عن التدفئة المستخدمة شتاءً في المناطق الباردة أو بسبب قوّة الإضاءة. وعليه يجب:

١. استخدام أجهزة قياس الحرارة بصفةٍ مستمرة.
٢. استخدام أجهزة التكييف لضبط درجات الحرارة التي يفضّل أن تتراوح بين ٢٠-٢٤ درجةً مئوية، على أنْ توضع هذه الأجهزة في أماكن تضمن حسن التوزيع بين الأركان كافة.
٣. عدم استخدام أجهزة التدفئة في أماكن خزن المخطوطات.

الرطوبة: تُعدُّ من ألدّ أعداء الكتب والمخطوطات والوثائق؛ ويقصد بالرطوبة كمية بخار الماء الموجود في الجوّ في درجة حرارةٍ مناسبة، وقليل من الرطوبة مطلوب ليحفظ للأوراق والجلود ليونتها، ولكن الجنوح تجاه الارتفاع والانخفاض يسبّب أضراراً بالغة بالموادّ، فانخفاض الرطوبة يؤدي إلى جفاف الأوراق والتوائها، ونموّ الفطريات والكائنات الحية، وتغيّر الألوان، وظهور بقعٍ سوداء وبنيّة اللون، وكذلك يؤدي إلى تأكسد الحبر

(١) الكتب والمكتبات في العصور الوسطى: ٢١٩.

والمداد المحتوي على الحديد والكربون أو الحبر الملوّن أو الحبر المذهّب.

ويجمل المسفر الأخطار التي تنجم عن ارتفاع نسبة الرطوبة في المخطوطات فيما يأتي[١]:

١. تمتصّ الألياف (الأوراق) بخار الماء فتنتفخ مسببةً تشوّهاً في شكل المخطوط.
٢. تكوُّن البقع الترابية المائية ممّا يشوّه المخطوط ويتلف كتابته.
٣. تكوُّن الحموضة والبقع الصفراء على الأوراق.
٤. نموّ الحشرات والكائنات الدقيقة، ممّا يؤدي إلى انتشار الثقوب، وتآكل النصوص على الأوراق والجلود.
٥. كرمشة أغلفة المخطوطات والتوائها بخاصّة إذا تلاه ارتفاع مفاجئ في درجات الحرارة.
٦. نموّ الفطريّات والبكتيريا التي تفرز موادّ لزجةً، ومن ثمّ تؤدي إلى تماسك الصفحات وتحجّر المخطوطات.

وفي سبيل حسن التعامل مع الرطوبة يجب الالتزام بما يأتي:

١. استخدام أجهزة لقياس نسبة الرطوبة في الجوّ، وأجهزة تكييفٍ لضبط نسبة الرطوبة التي يجب أن تتراوح بين ٥٠-٦٥٪.
٢. يمكن تجنّب الرطوبة بوضع رقائق من الألمنيوم في موادّ البناء للاحتفاظ بدرجة حرارةٍ ثابتة[٢].
٣. عندما تقلّ الرطوبة عن٤٠٪ ولا يوجد تكييف مركزيّ، يمكن استخدام أجهزة رفع الرطوبة[٣]، وعندما ترتفع نسبة الرطوبة أكثر من معدلها يجب استخدام مادّةٍ لامتصاص الرطوبة. وهناك تفضيل لمادة سيليكا جيل SILICA GEL التي توضع في علبةٍ مثقّبة داخل خزائن المخطوطات، إذ تمتاز بأنها[٤]:
   - لا تؤثر في المخطوطات، وتمتصّ نسبةً مرتفعة من الرطوبة في

(١) المخطوط العربي وشيء من قضاياه: ١١٧-١١٨.
(٢) المدخل لدراسة الوثائق العربية القاهرة: محمود عباس حمودة: ٦٥٧ .
(٣) المخطوط العربي الإسلامي: ١٧.
(٤) خدمات المخطوطات العربية في مكتبات مدينة الرياض: راشد بن سعد بن راشد القحطاني: ١٣٣.

خزائـن المخطوطات.

- يمكـن اسـتخدامها بعـد تجفيفهـا أكثـر مـن مـرّةٍ؛ فلونهـا مائـل إلـى الزرقـة وتتحـوّل بعـد تشـبّعها بالرطوبـة إلـى اللـون الأحمـر، وعندئذٍ يمكـن تجفيفهـا فـي فـرنٍ درجـة حرارتـه مرتفعـة حتـى يعـود لونهـا الأصلـيّ، ومـن ثـمّ اسـتخدامها ثانيـةً.

الضوء: تتأثر الأوراق المصنوعة من لبّ الخشب والألياف السليلوزية بالضوء؛ لارتفاع نسبة الأحماض فيها، فتعرّضها للضوء لمدّةٍ طويلة يفقدها صلابتها ويضعف خواصّها ويغيّر لونها إلى الصفرة[١]. و أنّ الضوء يعدّ مصدراً للحرارة التي تؤثر أيضاً في المخطوطات - كما ذكر- وكما يرى بعضهم فإنّ «خطورة تعرّض المخطوطات لموجات الضوء تكمن في أنّ أعراض الإصابة التي يحدثها الضوء كلّها أعراض غير عكسية؛ أي لا يمكن علاجها إذا أصبحت أمراً واقعاً على المخطوط»[٢].

ويتوقّف تأثير الضوء على عدّة عوامل، منها[٣]:

قوّة الإضاءة، مدّة التعرّض للإضاءة، درجة الحرارة، سمك الورق وكثافته، تركيب الهواء المحيط بالورق من حيث تركيز غاز الأكسجين وتجدّد الهواء والرطوبة النسبية وغازات التلوث الجويّ، المركّبات غير السليولوزية الموجودة في الورق، الموادّ المضافة إلى الورق مثل المركّبات المعدنية الملوّنة أو الموادّ الحمضية أو القلوية المستخدمة في صناعة الورق أو في علاجه وترميمه، طول الموجة الضوئية.

وتنقسم الأشعّة الضوئية - طبيعيةً كانت أم صناعيةً- إلى ثلاثة أنواع:

١. **الأشعة فوق البنفسجية:** وهي أشعة غير مرئية تتراوح أطوال موجاتها ما بين ٣٠٠٠-٤٠٠٠ انجستروم.

٢. **أشعة الضوء المرئية:** تتراوح موجاته ما بين ٤٠٠٠- ٧٦٠٠ انجستروم.

(١) الكتب والمكتبات في العصور الوسطى: ٢١٩.

(٢) العلم وصيانة المخطوطات: ٧٨.

(٣) المخطوط العربي وشيء من قضاياه: ١١٩.

٣. **الأشعة تحت الحمراء:** وهي أشعة غير مرئية تبلغ أطوال موجاتها أكثر من ٧٦٠٠ انجستروم.

وقد ثبت أنّه كلّما قصر طول الموجة الضوئية كلّما كان ضررها سريعاً وقوياً والعكس، وعليه فأقوى الموجات الثلاث الأشعة فوق البنفسجية يليها الضوء المرئيّ، وأخيراً الأشعة تحت الحمراء.

وترتيباً على ما سبق يجب اتخاذ التدابير الآتية:

١. أن يكون مكان الحفظ مغلقاً بأقلّ قدرٍ من النوافذ، على أن يُضاء صناعياً عند الحاجة، وبنسب قليلة تسمح بالرؤية لمدّةٍ أو لأوقاتٍ محدودة[١].

٢. منع وصول الأشعة فوق البنفسجية، سواء من الإضاءة الطبيعية أم الصناعية، وذلك عن طريق وسائل متعددةٍ، منها:

- عدم السماح بوصول الضوء مباشرة للمخطوطات، بل يصل منعكساً من جدارٍ مغطّى بالجبس أو الجير؛ لامتصاص الأشعة الضارّة لتقليل شدّتها[٢].
- استخدام أنواعٍ خاصّة من الزجاج؛ لأنّ الزجاج العادي مع حجبه لتلك الأشعة إلّا أنّه لا يعطّل التفاعلات الضوكيميائية التي تصيب الورق بالوهن الضوئيّ[٣].
- دهن زجاج النوافذ والخزائن بأنواعٍ خاصة من الورنيش.
- استخدام الستائر الغامقة.

وبالنظر إلى المكتبة المركزية في جامعة القاهرة نجد درجات الحرارة والرطوبة الموجودة في قاعة المخطوطات هي ذاتها الموجودة في الجوّ العام، فلا توجد أجهزة تكييفٍ، ولا توجد من ثمّ أجهزة لقياس درجات الحرارة والرطوبة، ومن ثمّ فلا يوجد تعامل مناسب مع درجات الحرارة والرطوبة باستثناء عدم استخدام أجهزة التدفئة التي ترفع

(١) الكتب والمكتبات في العصور الوسطى: ٢١٩.

(٢) الأسس العلمية لعلاج وترميم وصيانة الكتب والمخطوطات والوثائق التاريخية: عبد المعز شاهين: ٦٥.

(٣) المخطوط العربي وشيء من قضاياه: ١١٩.

درجات الحرارة؛ ولذلك نجد بعض المخطوطات قد تضرّرت من ارتفاع نسبة الرطوبة في الجوّ التي تنعكس بطبيعتها على قاعة المخطوطات، ومن ثمّ على المخطوطات ذاتها.

وفيما يتعلّق بالإضاءة؛ فهناك اهتمام واضح من قبل المسؤولين، إذ إنَّ النوافذ على الرغم من كبر حجمها إلّا أنّها مغلقة بصورةٍ شبه دائمة، إضافةً إلى وجود ستائر غامقةٍ على الأبواب الزجاجية للخزائن، ممّا يمنع وصول الأشعة فوق البنفسجية للمخطوطات، كذلك فإنّ الإضاءة المستخدمة في القاعة ملائمة وغير دائمة ممّا يحمي المخطوطات، ويعدّ من أساسيات حفظها. وإن كان ثمّة ملاحظة مرتبطة بالإضاءة فهي وصول الضوء بشدّةٍ إلى المخطوطات في قاعة المطالعة؛ وهي(قاعة الدوريات والمراجع)، إذ إنّ نوافذها مفتوحة بصفةٍ مستمرة، فالضوء الداخل إليها شديد، بيد أنّ المدّة قصيرة ولا تتسبّب في ضرر المخطوطات بقدر تضرّرها من التعرّض للضوء نفسه في المخازن ذاتها.

(٣) العوامل البيولوجية

ويُقصد بها الكائنات الحيّة التي تهاجم المخطوطات وتفتك بها بمجرد توافر الظروف الجوية المناسبة لها، وقد أشار المتخصّصون إلى سبعين نوعاً من تلك الكائنات[(١)]، وهي تنقسم إلى:

أ. **كائنات مرئية:**

١. **القوارض:** كالفئران والجرذان.

٢. **الحشرات:** سواء سطحية الضرر أم حفّارة الأنفاق كالصراصير والنمل الأبيض (الأرضة) ودودة الكتب.

ب. **كائنات دقيقة يصعب رؤيتها بالعين المجردة**، فتتكاثر وتنتشر بسرعةٍ كبيرة، ومنها:

١. **البكتريا:** لا تُرى إلّا بالمجهر، ومع كونها صغيرةً جدّاً إلّا أنّها تتميّز بالسرعة

(١) المخطوط العربي وشيء من قضاياه: ١١٩.

والتكاثر[١].

٢. **الفطريات:** عبارة عن خطوطٍ رفيعة جدّاً قطرها (١-٥) ميكرون.

وكثيرٌ من هذه الكائنات يعيش وينمو على الموادّ الداخلة في تجليد المخطوطات كالنشاء والموادّ الصمغية، بل الجلود نفسها، وهي تُحدث ثقوباً في الأوراق، وتحفر فيها خطوطاً غير منتظمة ممّا يسبّب تلفاً شديداً للمخطوطات[٢].

ولخطورة هذه العوامل يجب التعامل معها بكلّ حسمٍ وجدّيةٍ من خلال:

١. مراعاة النظافة التامة والتهوية الجيدة.

٢. التبخير في أوقاتٍ منتظمة للمخازن والمخطوطات؛ فالمخطوطات توضع في خزانات تبخيرٍ محكمة الإغلاق، وتتعرّض لتأثير غازاتٍ قاتلة للحشرات.

٣. استخدام أنواع الطلاء لأرفف المكتبة وأثاثها وأجهزتها، ممّا يساعد على القضاء على الصراصير والعثة وديدان الكتب[٣].

٤. رشّ الأرفف والخزائن بموادّ ومبيداتٍ قاتلة للحشرات والفطريات، وكون المبيدات المتاحة كثيرة فقد وَضع بعضهم معايير ومواصفاتٍ للمبيد الجيد، وهي كما يأتي[٤]:

- ألّا يُحدِث المبيد المستخدم أية أضرارٍ للكتب أو المخطوطات أو الوثائق المعالجة.
- أن يكون ذا كفايةٍ عالية بحيث تكفي جرعات صغيرة منه لإبادة الفطريات وغيرها من الكائنات الحيّة الدقيقة، ومقاومتها.
- ألّا يكون من المبيدات المتطايرة، وأن يكون ذا أثر متبقٍ.
- أن يكون غير قابلٍ للتميع.
- ألّا يتسبب في تغيّر لون الكتب أو المخطوطات أو الوثائق، وألّا يؤدي إلى

(١) المخطوط العربي الإسلامي: ١٦.

(٢) الكتب والمكتبات في العصور الوسطى: ٢٢٠-٢٢١.

(٣) المكتبات الجامعية: ٢٤١-٢٤٢.

(٤) الأسس العلمية لعلاج وترميم وصيانة الكتب والمخطوطات والوثائق التاريخية: ٢٢٦.

تبقّعها.

- أن يكون رخيص الثمن، سهل الحصول عليه.
- أن يتميّز بدرجةٍ سمّية منخفضة للإنسان حتى لا يؤذي القائمين بأعمال المقاومة والإبادة.

وهنا نجد فيما يتعلّق بالكائنات المرئية بخاصة الكبيرة منها، إحكام غلق الخزائن يمنع وصول تلك الكائنات إليها، غير أنّه فيما يتعلّق خاصة بالكائنات الدقيقة من فطرياتٍ وبكتريا إضافةً إلى الحشرات، فإنّ عمليات التعفير والتعقيم والرشّ للمخطوطات تكاد تنعدم، إذ إنّ آخر مرّةٍ تمّ فيها تعفير المخطوطات ورشّها قد مرّ عليها ما يربو على العشرين عاماً[١]، وهي مدّة طويلة جداً، ممّا أثّر في كثيرٍ من المخطوطات، وأدّى إلى انتشار بعض الفطريات التي أثّرت في المخطوطات بصورةٍ واضحة كما سنرى في عنصر الترميم.

(٤) العوامل السلوكية

وهي التي تتعلّق بتعامل الإنسان مع المخطوطات - مستفيداً كان أم موظفاً - بإهمالٍ وعدم اكتراثٍ وعدم درايةٍ.

ومن السلوكيات السيّئة التي يجب التخلّص منها:

١. إمساك المخطوطات بأيدٍ مبلّلة أو غير نظيفةٍ ممّا يصيبها بآثارٍ تساعد على نموّ الفطريات المحلّلة للورق والجلود.
٢. مسك المخطوطات معلّقةً من الغلاف فقط.
٣. سحب المخطوط من على الرفّ بشدّه من أعلى ظهره.
٤. استخدام القلم لوضع علاماتٍ في أثناء القراءة.
٥. ثني بعض الأوراق كعلاماتٍ في أثناء القراءة ممّا يعرضها للتكسّر، ومن ثمّ تقطّعها وفقدانها.

(١) حوار شفاهي مع مدير إدارة الخدمة المكتبية بالمكتبة.

٦. الضغط على المخطوط في أثناء القراءة أو التصوير ممّا يؤدي إلى تمزّق الملازم وتلف الكعب.

٧. التدخين، ممّا ينتج عنه امتصاص الورق لنسبةٍ من الدخان الجويّ فترتفع نسبة الأحماض المتلفة للورق.

٨. وضع المخطوطات بطريقةٍ غير سليمةٍ على الأرفف ممّا يعرّضها للتقوّس والثني.

٩. تناول بعضهم الأطعمة والمشروبات في القاعات، ممّا تتسبّب بقاياها في تكاثر الحشرات والفطريات المضرّة بالمخطوطات.

ومن ثمّ يتعيّن مكافحة تلك السلوكيات الخاطئة عن طريق تطبيق اللوائح والقوانين بحزمٍ وصرامةٍ، وكذلك بوضع اللافتات والإعلانات الموجّهة.

والعوامل السلوكية وهي- كما هو واضح من اسمها- سلوكيات، ومن ثمّ فهي فردية تختلف من شخصٍ لآخر، ففيما يتعلّق بالعاملين في المكتبة المركزية في جامعة القاهرة فإنّه يتمّ التعامل مع المخطوطات بحذرٍ وحرص إلى حدٍّ كبيرٍ ومراعاة لكثيرٍ من المحاذير الواجب تجنّبها، إذ إنّها بدايةً تقع في قاعة الخدمة المكتبية، وهذا يفرض نوعاً من الإلزام والحذر، وأنّها لا تستخدم بكثرةٍ، وفيما يتعلّق بالمستفيدين فإنّ الرقابة المتمثّلة في عنصر الموظف الموجود في قاعة الاطّلاع قد يمنعه من اقتراف بعض السلوكيات السيئة، إلّا أنّه لا توجد تعليمات واضحة أو غير واضحة تخصّ تعامل المستفيد مع المخطوطات؛ كعدم استخدام الأقلام في وضع علاماتٍ بالمخطوط، أو الحذر والحرص عند تقليب أوراق المخطوط وتصفّحه.

إضافةً إلى العوامل السابقة، هناك عوامل طارئة تدمّر موادّ المكتبات كافة بما فيها المخطوطات كالحروب والحرائق التي يجب أخذ بعض التدابير والاحتياطات الوقائية من أجلها:

١. أن يزوّد المبنى بأثاثٍ معدنيّ كامل من رفوفٍ ومكاتب ودواليب.

٢. تركيب منبهاتٍ وأجهزة إنذارٍ أوتوماتيكية.

٣. تصوير نسخٍ فوتستاتية أوميكروفيلمية.

٤. عدم استخدام المياه في إطفاء الحرائق، واستخدام الغازات التي لا تضرّ بالورق مثل غاز الهولون، وغاز ثاني أكسيد الكربون.

٥. وأخيراً يمكن الاعتماد على (التحوّل بوصفه إجراء صيانة)[١] أو ما يمكن أن نطلق عليه الصيانة التحويلية؛ وهي عملية مؤدّاها الحفاظ على المخطوطات وصيانتها عن طريق تصويرها ميكروفيلمياً؛ بخاصة وأنّها طريقة اقتصادية وسريعة وذات كفاءة عالية، وتسمح بإفادة عددٍ كبير من المستفيدين، وذلك مقارنةً بعمليات الترميم التي تتطلّبها الأصول إذا ما تلفت وتدهورت حالتها[٢].

والصيانة المثالية تبدأ منذ ورود المخطوطات إلى المكتبة، وذلك عن طريق فحصها بصفةٍ أولية، وكذلك دورياً لاكتشاف المخطوطات المصابة وعزلها عن غيرها.

وفيما يتعلّق بالعوامل الطارئة بخاصة الحريق، فإنّ القاعة غير مزوّدةٍ بأثاث معدنيّ، وكذلك غير مزوّدةٍ بآلات تنبيهٍ وأجهزة إنذارٍ أوتوماتيكية، ولا توجد أيّ ترتيبات واضحة للتعامل مع الكوارث والحالات الطارئة فيما يتعلّق بحماية المخطوطات وأمنها. أمّا الصيانة التحويلية فمع ذكر المخطوطات والموادّ النادرة كموادّ سيتمّ تصويرها ميكروفيلمياً، إلّا أنّه لا توجد خطة زمنية واضحة لذلك، ولم يُبدأ فيها بعد[٣]. أيضاً كانت هناك محاولات لتصوير مخطوطات المكتبة ميكروفيلمياً؛ إذ عرضت مؤسسة جمعة الماجد الإماراتية على المكتبة أن تقوم المؤسّسة بتصوير المخطوطات مجاناً على الميكروفيلم بشرط حصول المؤسسة على نسخةٍ من الميكروفيلم، إلّا أنّ هذا العرض قُوبل بالرفض من قِبل مسؤولي المكتبة تعللاً بالحماية والخصوصية، وهذا قد حرم المكتبة من وجود نسخةٍ بديلة للاستخدام، ولتكون في ذات الوقت إحدى عمليات الصيانة كما ذكر فيما يتعلّق بالصيانة التحويلية.

---

(١) حفظ الممتلكات الأرشيفية ومواد المكتبات الفريدة: هارتموت ويبر: ٣٤٤.

(٢) استخدم أحمد محمّد الشامي وسيّد حسب الله للتعبير عن هذا المضمون مصطلحين هما: Preservation Microfilming, Preservation photocopying. في: المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات: ١٨٤٦.

(٣) المصغرات الفيلمية واستخداماتها في المكتبات الجامعية بمصر (دراسة نظرية وتطبيقية): سلوى السعيد، عبد الكريم أحمد.

٤/٤ الترميم

مهما بلغت جودة الحفظ، واتخذت تدابير الصيانة واحتياطاتها، فإنّ المخطوطات بحكم تكوينها وبحكم إتاحتها للاستخدام فسيأتي عليها وقت يصيبها الزمن بسنته، وعليه فهذا الجزء يتعامل مع المخطوطات المصابة بأيٍّ من الأعراض سالفة الذكر.

وقد تسلك المكتبة أياً من الطرائق الآتية في ترميم مخطوطاتها:

١. ترمّم في ورشةٍ خارجية حكومية كانت أم أهلية.
٢. ترمّم في ورشةٍ الهيأة التابعة لها كورشة الجامعة مثلاً.
٣. ترمّم في ورشةٍ خاصة بها.

وإن كانت لكلّ طريقةٍ ميزة، إلّا أنّ الطريقة الثالثة الأخيرة توفّر مبدأً مهمّاً هو الأمن والسلامة، إضافةً إلى السهولة واليسر، وإمكانية التأكد المرحليّ من اتّباع المواصفات المطلوبة في الترميم، كذلك توفّر السرعة في العمل لعدم التكدّس. وعلى الرغم من ذلك فإنّ وجود ورشة ترميمٍ خاصة لدى المكتبة ليس بالشيء الهيّن؛ لأنّها تحتاج إلى إمكاناتٍ مادية وبشرية، وترتيبات إدارية قد تنوء بها المكتبة، اللّهم إلّا المكتبة القومية أو المكتبات الجامعية الكبرى.

ولكون عملية الترميم مبنيةً على أسسٍ علمية وممارساتٍ طويلة مغلّفة بحبٍّ وعشقٍ لهذا العمل، فلا بدّ لها من مجموعةٍ من المبادئ والأسس التي تقوم عليها:

١. عدم القيام بأعمالٍ يترتّب عليها محو الخصائص المادية أو المعنوية للوثيقة أو المخطوطة؛ أو تغييرها أو تشويهها أو طمسها من حيث الشكل والمظهر والسمات الفنية ونوعية الكتابات والأحبار المستخدمة فيها.
٢. عدم الإفراط في عمليات العلاج والترميم، والاكتفاء بالقدر الضروريّ منها؛ لضمان سلامة المخطوطة.

ولمّا كانت الأهداف المنشودة من جميع أعمال العلاج والترميم هي الإبقاء على المخطوطات إلى مالا نهاية، فإنّ ذلك يتطلّب اختيار الموادّ الطبيعية والخامات والأدوات غير الضارّة، بحيث يتم البعد قدر الاستطاعة عن الأدوات الحادّة، ويتّم استخدام الموادّ

المماثلة للأصول المطلوب ترميمها[١]؛ لأنّ ذلك يكفل حماية المخطوطات واستمراريتها، وعدم تفاعل تلك المواد مع المخطوطات المرمّمة بطريقةٍ تُحدث أضراراً أخرى، وهنا ينصح كذلك بعدم الإفراط في استخدام اللدائن الصناعية؛ خشية التغيرات والتفاعلات الكيميائية والطبيعية.

وعلى أية حال؛ فإنّ الترميم المبتغى قد يكون إحدى العمليات الآتية أو أكثر[٢]:

١. **التنظيف:** وذلك للتخلّص من الموادّ العالقة بالأوراق والجلود كالأتربة وعلامات الأقلام، وكذلك الفطريات وبعض الحشرات، وهذا يتوقف على طبيعة الورق ونوعيته، ونوعية الموادّ العالقة، وطبيعة الموادّ المستخدمة في الكتابة ومدى تفاعلها مع المحاليل المائية المستخدمة في عملية التنظيف.

٢. **إزالة البقع:** وهذا يتطلّب أيضاً معرفة نوعية الورق وطبيعته، ونوعية البقع والموادّ التي تسبّبت في حدوثها، حتى يمكن التعامل معها بصورةٍ سليمة، وتحديد الموادّ الكيميائية اللّازمة، فقد تكون البقع:

بقعَ شموعٍ - بقع زيوتٍ ودهون وقطران - بقعاً ناتجةً عن إفرازات الذباب وغيره من الحشرات - بقع شايٍ وقهوة - بقع صدأ الحديد - بقع الأحبار والمواد الصابغة.

٣. **إزالة الأحماض الزائدة:** التي تتكون نتيجة تركيب الأوراق ودباغة الجلود، أو بسبب التخزين، أو الأحبار المستخدمة، أو الشوائب الغازية الحمضية الموجودة في الجوّ.

٤. **فصل الأوراق الملتصقة:** أو ما يُسمى تحجّر المخطوطات التي تصبح قالباً متماسكاً ممّا يصعب بل يستحيل معها الإفادة منها، ويحدث هذا لظروفٍ بيئية وجويّة معينة؛ فمثلاً الرطوبة الزائدة قد تساعد على نموّ فطرياتٍ وحشرات تنتج موادّ لزجة وبقعاً لونيةً وأحماضاً عضويةً. وعند إزالة ذلك التصلّب يجب الحذر؛ حتى لا تتلف الأوراق، ولا تضيع الكتابات والنقوش من عليها، وكذلك الحذر في استخدام الأدوات الحادّة كالسكين والمشرط والمكشط. وأيسر الطرائق لذلك

(١) حفظ الممتلكات الأرشيفية ومواد المكتبات الفريدة: ٣٤٢.

(٢) ينظر في ذلك: المخطوط العربي: ٩٩، المخطوط العربي وشيء من قضاياه: ١٢٣-١٢٦، الأسس العلمية لعلاج وترميم وصيانة الكتب والمخطوطات والوثائق التاريخية: ٢٦٥-٣٥٤.

تعريض المخطوط لبخار ماءٍ يسمح بتشبّعه وليونة موادّه، و يتصل بهذا أيضاً بسط الأوراق المطوية أو المثنية بذات الطريقة.

٥. إصلاح التمزّقات وإكمال الأجزاء الناقصة وملء الثقوب؛ ويتمّ علاج الثقوب عن طريق ملئها بعجينةٍ من ورقٍ غير حمضيّ، أمّا الأجزاء الناقصة فتستكمل بأنواعٍ خاصة من الأنسجة الورقية اليابانية تتفق في طبيعتها ونوعيتها وحجمها مع الورق المرمّم، وتستخدم صبغات طبيعية كالشاي والبُن، وتستخدم في إصلاح التمزّقات كذلك نوعيات خاصة من الأنسجة الورقية اليابانية تتميّز بشفافيتها وقوة ألیافها.

٦. تقوية الأوراق الضعيفة أو المهرّأة؛ سواء عن طريق النشأ أم الجيلاتين المخفّف أم عن طريق استخدام أوراقٍ شفافة أو قماش أو نايلون في حالة ترميم المخطوطات المكتوبة على الوجهين، أمّا إذا كانت المخطوطة مكتوبةً على وجهٍ واحد، فيمكن تقويتها عن طريق لصق ورقةٍ أخرى خلفها مع ضرورة البعد عن استخدام الغراء؛ لغلظته وإفساده الورق، واستخدام النشأ مع نسبةٍ صغيرة من الجلسرين تحفظ للورق ليونته ومرونته.

٧. إظهار الكتابات الباهتة؛ وذلك باستخدام عوامل كيميائية كثيرة.

وقد تتمّ عملية الترميم بطريقة يدوية، فيقوم المرمّم بالعملية خطوةً بخطوة من خلال أدواتٍ بسيطة، أو تتمّ دفعةً واحدة بطريقةٍ آلية، وقد يفضّل المرمّمون الطريقة اليدوية؛ لأنّها أدعى للسلامة والحرص والاحتياط.

وفي كلٍّ يُنصح بوضع أقنعةٍ أو كمّامات خاصة وقفازات طبيّة، ومنع التدخين، وتجنّب المصادر الحرارية كافة عند استخدام المبيدات، و ينصح بغسل اليدين والوجه بالماء والصابون، وعدم لمس العين أو الأنف[١].

وعلى مستوى المكتبة المركزية في جامعة القاهرة فإنّ المكتبة لديها ورشة فنية خاصة بالتجليد والترميم، تقع في (بدروم) المكتبة، نلحظ من خلال الهيكل التنظيميّ للمكتبة تبعيتها لإدارة التوثيق؛ وهي ورشة مركزية لجامعة القاهرة بخاصة فيما يتعلّق بالترميم، إذ إنّ التجليد يتمّ في كلّ كليّةٍ على حدة، أمّا الترميم فيتمّ مركزياً بهذه الورشة،

(١) المخطوط العربي وشيء من قضاياه: ١٢٦.

وهي وإنْ كانت لديها الإمكانات التي تعينها في ترميم الكتب، فهي متواضعة فيما يتعلّق بترميم المخطوطات؛ وهو ما حدا بالقائمين عليها إلى استبعاد قيام الورشة بترميم المخطوطات؛ لأهميتها وخطورتها وعدم مناسبة الأدوات لها. وقد حاول الباحث جاهداً الوصول إلى كيفية ترميم مخطوطات المكتبة، فذكر له المعنيّون أنّ المخطوطات لا تتعرض للتلف بسبب العناية الفائقة بها، ومن ثمّ فليست بحاجةٍ إلى الترميم.

وبالفحص الفعليّ للمخطوطات وجدت بعض ملامح الترميم على بعضها، في حين وُجد كثير من المخطوطات بحاجةٍ ماسّة إلى الترميم، فمن ملامح الترميم الموجودة نجد:

١. مسعود بن عمر التفتازانيّ. مختصر المعاني، و هو الشرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزوينيّ . رقم١٦٦٩٦. في أولها كرّاستان مجدّدتان.
٢. جامع الأخبار. رقم ١٥٦٩٦.فيه آثار ترميمٍ بخاصة في آخر ورقتين، غير أنّ الورق مهرّأ أو فيه ثقوب.(١)
٣. القزوينيّ. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، رقم٢٣١١٥.
٤. محمّد نجيب الدين بن علي بن عمر السمرقنديّ. الأسباب والعلامات. رقم١٨٢٤٦. فيه ترقيع بالورقة الأولى.

إضافةً إلى عمليات التقوية التي تتمّ لبعض الأوراق الممزّقة و المهرّأة، وإن كانت في كثيرٍ من الأحيان تطغى على أجزاءٍ من المساحة المكتوبة بخاصة عند استخدام الأوراق غير الشفّافة.

ومع هذا فهناك الكثير من المخطوطات نجد تجليدها ممزّقاً، وفيها أوراق مفكّكة ممّا يسهل معه فقدها مثل:

١. نهاية السؤل والأمنية في تعليم أعمال الفروسية. رقم٢٦٣٣٨.
٢. الصحّاح الجوهريّ.رقم٢٣٢٩٨. فيه أوراق سائبة.

أيضاً هناك مخطوطات في أوراقها ثقوب تصل إلى العشرين ورقةً، بل تكاد بعض

(١) هذا المخطوط لا يوجد فيه عنوان ولا اسم مؤلّف، وقد تمّ استقاء العنوان من السجلات.

المخطوطات تصل إلى درجة التحجّر والتصلّب؛ ممّا يضعف الأوراق ويؤدي إلى تمزّقها عند محاولة الباحثين تقليبها مثل:

١. سالم السنهوريّ. رسالة في ليلة النصف من شعبان. رقم١٥٦٦٦. فيه آثار أرضةٍ واضحة في معظم الصفحات.

٢. زكريا الأنصاريّ. فتح الوهّاب بشرح منهج الطلّاب. رقم١٧,٣٧. في حالةٍ رديئة جداً، يوجد داخل علبةٍ من الكرتون، وأوراقه سائبة(غير مجلّدة)،وكذلك غير مرقّمة، وفيه أوراق كثيرة متآكلة.

٣. عثمان العمريّ الحنفيّ. الكواكب في الأصول. صفحاته متآكلة، وفيه صفحات مفقودة. رقم١٨٩٥٥.

٤. محمّد بن فراموز ملا خسرو. درر الحكّام في شرح غرر الأحكام. رقم ١٩٥٦٥ المخطوط أوراقه مهلّلة، موجود داخل علبة، وله جلدة غير ملتصقة بالصفحات ممّا ييسّر فقدها.

٥. المخطوط رقم ١٨٧٦٩، كادت صفحاته أن تتحجّر، إضافةً إلى أنّ فيه قطوعاً واضحة.

وخلاصة القول؛ يمكننا تسجيل الملاحظات الآتية:

١. بفحص المجموعة ظهر أنّ أغلبها في حالةٍ سيئة سواء من تهرّؤ الأوراق أم تمزّقها أم وجود كثيرٍ من الثقوب التي قد تتعدّى نصف المخطوط، وهو شيء إنْ دلّ فإنّما يدلّ على أنّ الحشرات قد وجدت مرتعاً خصباً ومكاناً آمناً لتمارس نشاطها في ثقب المخطوطات وتدميرها، وذلك في ضوء العلم بأنّ آخر مرةٍ تمّ فيها تعفير المخطوطات ورشّها قد مرّ عليها زهاء العشرين عاماً كما سلفت الإشارة.

٢. توجد عمليات ترميمٍ في بعض المخطوطات أكثرها إصلاح تمزّقاتٍ أو تقوية أوراقٍ مهرّأة ومتقصّفة باستخدام الأوراق الشفافة أحياناً، واستخدام الأوراق غير الشفافة التي تطمس بعضاً من الكتابة أحياناً أخرى، بيد أنّه لا توجد سياسة واضحة لعملية ترميم المخطوطات في المكتبة، ولا توجد سجلات خاصة بذلك.

٣. تذهب الدراسة إلى أنّ جلّ عمليات الترميم التي أُجريت على المخطوطات تمّت

في مرحلةٍ سابقة على دخول المخطوطات المكتبة؛ يدعم هذا الرأي أنّ السجلات تضمُّ كثيراً من العبارات والجمل التي سجّلت مع بداية دخول المخطوطات إلى المكتبة، تعكس وجود عمليات ترميمٍ في عددٍ كبير من المخطوطات.

وعليه؛ فالوضع يحتاج إلى إعادة التفكير والتخطيط من خلال فحص المجموعة وتحديد المخطوطات التي هي بحاجةٍ إلى الترميم، ووضع جدولٍ زمنيّ لذلك سواء تمّت عملية الترميم في الورشة الموجودة في المكتبة بعد دعمها وتطويرها أم تمّ ذلك في ورشةٍ خارجية.

٥. النتائج والتوصيات

وبعدُ؛ فإنّ المكتبة المركزية في جامعة القاهرة تضمّ مجموعةً كبيرة من المخطوطات العربية، إلّا أنّها تعرّضت لكثيرٍ من التهميش وعدم الإعلام عنها بالصورة الكافية، ممّا جعلها تتعرّض لأحكامٍ قاسية فيما يخصّ أهميتها وقيمتها، وعلى أيةِ حال فقد خرجت الدراسة بعدة نتائج نجملها فيما يأتي:

١. تكوّنت مجموعة المخطوطات العربية في المكتبة خلال السنوات الأولى من عمر الجامعة.

٢. يمثّل الإهداء المصدر الأساسي لاقتناء المخطوطات.

٣. لم تكن هناك سياسة تزويدٍ واضحة للمخطوطات.

٤. لا يعكس الهيكل الإداريّ وضعية المخطوطات داخل المكتبة مقارنةً بسواها من أشكال أوعية المعلومات كالدوريات والرسائل الجامعية.

٥. لا يوجد موظفون مختصّون بأمر المخطوطات.

٦. تتمثل أدوات الضبط الببليوجرافيّ للمجموعة في الفهارس والسجلات.

٧. يُعدّ الفهرس المحزوم - الموجود داخل قاعة الفهارس - هو الفهرس الرئيس للمخطوطات، ومع ذلك فإنّه لا يمثّل المجموعة كلّها، إذ يضمّ (٣٢٣١) مخطوطةً بنسبة (٤٦,٥٪)من إجمالي المخطوطات العربية في المكتبة.

٨. يُعدّ المدخل الرئيس في الفهرس هو اسم المؤلّف، ولا تكاد توجد مداخل أخرى

كافية. ومع ذلك لا يتمّ الاستناد إلى أيّ قائمة استنادٍ لضبط الأسماء العربية، ممّا انعكس على ترتيب الفهرس.

٩. كثيرٌ من بطاقات الفهرس بحاجةٍ إلى التجديد والإحلال.

١٠. بطاقات الفهرس متنوّعة من ناحية التصميم، ومن ثمّ متباينة في المعلومات المحتواة.

١١. لا يمثّل الفهرس المطبوع سوى (١٪) من المجموعة، إذ إنّه يقتصر على مجموعة الأمير إبراهيم حلمي فقط.

١٢. تُعدّ السجلات حاصرةً لكلّ المخطوطات.

١٣. لا توجد سجلات مستقلة للمخطوطات، ولا تستقل المخطوطات داخل السجل الواحد، وإنّما تأتي مبعثرةً بين الكتب المطبوعة في ذات السجل.

١٤. هناك تباين واختلاف بين الدراسات التي أشارت إلى المجموعة من حيث حجمها.

١٥. تمثّل المجموعةُ المعارف البشرية الرئيسة كافة، غير أنّها قويةٌ للغاية في مجالات الديانات واللغات، إذ يضمّ هذان الموضوعان (٢٨١١) مخطوطةً بنسبة (٦٥٪) من إجمالي المخطوطات العربية في المكتبة.

١٦. لا تتعدّى المصوّرات نسبة ٥٪ من المجموعة؛ إذ تبلغ المخطوطات المصوّرة (٢١٥) مخطوطةً من العدد الكليّ للمخطوطات العربية في المكتبة.

١٧. يأتي على قمة المجموعة زمنياً القرن الثاني عشر، إذ يمثل (٣٠٪) من المجموعة، يليه القرن الثالث عشر بنسبة (٢٨,٣٪)، ثم القرن الحادي عشر بنسبة (٢٤,٤٪).

١٨. هناك قصورٌ واضحٌ في عملية الإعلام عن المخطوطات الموجودة في المكتبة.

١٩. توجد المخطوطات العربية في قاعة الخدمة المكتبية، وذلك أدعى للحماية والاهتمام.

٢٠. كثيرٌ من المخطوطات بحاجةٍ ماسّة إلى الترميم.

٢١. لا توجد سياسة محدّدة فيما يتعلّق بترميم المخطوطات.

التوصيات:

في ضوء النتائج التي خرجت بها الدراسة، والتي تصوّر واقع المخطوطات العربية في المكتبة المركزية في جامعة القاهرة توصي الدراسة بما يأتي:

١. لابدّ من وجود قسمٍ إداريٍّ مستقلٍ للمخطوطات، فيه موظفون مختصّون بأمر المخطوطات إدارةً وخدمةً.

٢. تخصيص قاعةٍ مستقلة للاطّلاع على المخطوطات فقط.

٣. وضع سياسةٍ واضحةٍ لتصوير المخطوطات، بحيث تسدّ العجز الموجود في بعض المعارف والمُدد والحقب.

٤. مراجعة الفهرس واستكماله وتحديث بطاقاته.

٥. إفراد سجلاتٍ مستقلة للمخطوطات.

٦. إعداد قوائم ببليوجرافية مرحلية تتمّ على أساسٍ موضوعيّ، بحيث تظهر كلّ مدّة قائمة تمثّل موضوعاً واحداً، على أن يراعى اليسر والبساطة في التسجيلة؛ حتى تكون أدعى للعمل وأضمن للاستمرارية، وهو ما يسمّونه بالفهرسة المبسّطة أو المختصرة، وخير أنموذجٍ يمكن الاقتداء به في هذا الشأن الأنموذج المبسّط الذي وضعه عابد سليمان المشوخيّ - المشار إليه داخل الدراسة - مع تعديل المدخل ليكون باسم المؤلّف، كالآتي:

- اسم المؤلّف. عنوان المخطوط. مكان النسخ: اسم الناسخ، تاريخ النسخ.
- عدد الأوراق: عدد الأسطر، المقاس (سم).
- تبصرات.
- المحتويات:

أ. الفن (الموضوع). **ب.** اسم المؤلّف.

٧. ضرورة الإعلام عن المخطوطات بصورةٍ كافيةٍ داخل مجتمع جامعة القاهرة وخارجه.

٨. وضع سياساتٍ محدّدة إجرائياً وزمنياً لعملية ترميم المخطوطات ومعالجتها.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية

١. الإدارة العامّة للمكتبات الجامعية لائحة مكتبات جامعة القاهرة: جامعة القاهرة، مركز جامعة القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٩م.

٢. الأسس العلميّة لعلاج وترميم وصيانة الكتب والمخطوطات والوثائق التاريخية: عبد المعز شاهين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.

٣. الأمير أحمد فؤاد ونشأة الجامعة المصرية: أحمد عبد الفتاح بدير، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٠م.

٤. بعض الاتجاهات الحديثة في حفظ وصيانة الكتب والمطبوعات في المكتبات: عماد عبد الحليم، الاتجاهات الحديثة للمكتبات والمعلومات. مج٤/ ع٨/يوليه ١٩٩٧م.

٥. بناء وتنمية المجموعات في المكتبات ومراكز المعلومات، دراسة: شعبان عبد العزيز خليفة، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

٦. بناء وتنمية المجموعات في المكتبة المركزية في جامعة القاهرة: فيدان عمر مسلم، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم المكتبات والوثائق، ١٩٩٥م، (أطروحة دكتوراه).

٧. تاريخ جامعة القاهرة: رؤوف عباس حلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.

٨. تحليل النظام بمكتبات جامعة القاهرة لاستنباط النظام الآلي المناسب: شريف كامل محمود شاهين، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم المكتبات والوثائق،١٩٩١م، (أطروحةدكتوراه).

٩. تسعون عاماً من العطاء: جامعة القاهرة، مركز جامعة القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٠. تقرير عن المخطوطات في جمهورية مصر العربية: دار الكتب والوثائق القومية، المورد.مج٥/ ع١ /١٩٧٦م.

١١. التقرير المقدم عن مكتبة جامعة القاهرة ١٩٦٣-١٩٦٤: بورجميستر، مجلة المكتبة العربية. مج ٣/ ع ٣-٤/ ١٩٦٥م.

١٢. تنمية المجموعات في مجال المخطوطات بالجامعات السعودية والمراكز البحثية: عبد الرحمن بن عبد الله العبيد، دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات، ع٣ /سبتمبر/ ١٩٩٩م.

١٣. حفظ الممتلكات الأرشيفية وموادّ المكتبات الفريدة: هارتموت ويبر، ترجمة: حسام عبد الحميد، تقرير المعلومات في العالم ١٩٩٨/١٩٩٧م، الطبعة العربية، مركز مطبوعات اليونسكو، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٤. حفظ ووقاية المقتنيات في دار الكتب المصرية في مصر بين الواقع وتطلعات المستقبل: عايدة نصير، المكتبة الوطنية، ٩- ١نوفمبر، ١٩٩٣م .

١٥. خدمات المخطوطات العربية في مدينة الرياض: راشد سعد بن راشد القحطاني. مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٦م.

١٦. خدمة الإعارة الداخلية والخارجية بمكتبات جامعة القاهرة: أماني محمد أحمد حسن، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم المكتبات والوثائق والمعلومات، ١٩٩٦م.رسالة ماجستير).

١٧. دليلك إلى المكتبة المركزية: جامعة القاهرة، المكتبة المركزية، مركز جامعة القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٨. دور المكتبات الجامعية في البحث العلمي (دراسة واقعية لمكتبة جامعة القاهرة): نعمات سيّد أحمد مصطفى، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم المكتبات والوثائق، ١٩٧٦م، (أطروحة دكتوراه).

١٩. صيانة وخزن وتعفير المخطوطات: أسامة ناصر النقشبنديّ، المورد. مج٥/ ع١ /١٩٧٦م.

٢٠. الضبط الببليوجرافي للمخطوطات العربية في مصر (دراسة وتخطيط): السيّد السيّد محمود النشار، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم المكتبات والمعلومات، ١٩٩٤، (أطروحة دكتوراه).

٢١. الضبط الببليوجرافي للمخطوطات في الجزائر (دراسة وتخطيط): نسيبة عبد الرحمن محمد الصوالحي، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم المكتبات والوثائق، ١٩٨٨م، (رسالة ماجستير).

٢٢. العلم وصيانة المخطوطات: مصطفى مصطفى السيّد يوسف، عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٨٤م.

٢٣. فن فهرسة المخطوطات: مدخل وقضايا (بحوث ومناقشات ندوة قضايا المخطوطات «٢»)، تنسيق وتحرير: فيصل عبد السلام الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٩م.

٢٤. فهارس المكتبة المركزية بجامعة القاهرة(دراسة تحليلية تقييمية): أميمة محمد طلعت الخطيب، القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم المكتبات والوثائق والمعلومات، ١٩٩٩م، (رسالة ماجستير).

٢٥. الفهارس والببليوجرافيات في مكتبات الجامعات الثلاث بالقاهرة من الناحية الوصفية والموضوعية (دراسة ميدانية مقارنة): محمد فتحي عبد الهادي، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم المكتبات والوثائق، ١٩٧١م، (أطروحة دكتوراه).

٢٦. الفهرست لابن النديم دراسة بيوجرافية ببليوجرافية ببليومترية وتحقيق ونشر: شعبان خليفة، وليد العوزة، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة،١٩٩١م.

٢٧. فهرسة المخطوطات العربية: عابد سليمان المشوخيّ، مكتبة المنار، الزرقاء –الأردن، ١٩٨٩م.

٢٨. الفهرسة الوصفية للمواد غير المطبوعة في المكتبات ومراكز المعلومات: محمد أحمد بغدادي،

مراجعة: السيّد السيّد النشار، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية،٢٠٠٢م.

٢٩. قانون رقم (٢١٥) لسنة ١٩٥١م لحماية الآثار المتضمن المخطوطات في جمهورية مصر العربية، المورد، مج ٥/ ع١ /١٩٧٦م.

٣٠. قرار رئيس جمهورية مصر العربية رقم ١١٤ لسنة ١٩٧٣م، المورد، مج ٥/ ع١ /١٩٧٦م.

٣١. قواعد فهرسة المخطوطات العربية: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٢، ١٩٧٦م.

٣٢. الكتب والمكتبات في العصور الوسطى: شعبان عبد العزيز خليفة، الشرق المسلم - الشرق الأقصى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٧م، (مجموعة البليوجرافيا التاريخية).

٣٣. مباني المكتبات المدرسية وتجهيزاتها في مصر عرض للواقع ورؤية للمستقبل: الندوة المصرية حول المكتبات المدرسية وسبل تطويرها: شعبان عبد العزيز خليفة، القاهرة: اللجنة الوطنية المصرية للتربية والثقافة والعلوم (يونسكو- اليكسو- ايسيسكو)، ١٩٩٨م.

٣٤. المجموعات العربية والإسلامية في مكتبة الكونكرس (دراسة وتقييم): فوزي ميخائيل تادرس، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم المكتبات والوثائق والمعلومات، ١٩٩٧م، (أطروحة دكتوراه).

٣٥. محاورات في منهاج البحث في علم المكتبات والمعلومات: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٧م.

٣٦. المخطوطات العربية في جامعة ليدز: عبد اللطيف بن دهيش، عالم الكتب، مج ٣/ ع ١ /١٩٨٢م.

٣٧. المخطوطات العربية في دار الكتب القومية بمصر دراسة في تكوين المجموعات وضبطها وإتاحتها: شمس الأصيل محمد علي حسن، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم المكتبات والوثائق والمعلومات، ١٩٩٥م، (أطروحة دكتوراه).

٣٨. المخطوطات العربية في المكتبات العمانية: دراسة لتكوينها وتنظيمها وسبل الإفادة منها: خلفان بن زهران بن حمد الحجي، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم المكتبات والوثائق والمعلومات، ١٩٩٧م، (رسالة ماجستير).

٣٩. المخطوطات العربية في مكتبة الكونكرس الأمريكية (دراسة تقويمية تحليلية): هانم عبد الرحيم إبراهيم، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم المكتبات والمعلومات، ٢٠٠٠م، (أطروحة دكتوراه).

٤٠. المخطوط العربي الإسلامي فوائد، قيمة، صيانة: محمد بن إبراهيم الشيبانيّ، دار الوراقين للنشر والتوزيع، الجابرية- الكويت، ١٩٩٩م.

٤١. المخطوط العربي دراسة في نشأته وملامحه البليوجرافية: أوراق الربيع في المكتبات والمعلومات، مج٢ /١٩٧٩-١٩٨٣، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١م.

٤٢. المخطوط العربي وشيء من قضاياه: عبد العزيز بن محمد المسفر، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٩٩م.

٤٣. مدخل إلى دراسة الوثائق العربية: محمود عباس حمودة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م.

٤٤. مشروع تحسيب مكتبة جامعة القاهرة في تكنولوجيا المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات بين الواقع والمستقبل: وقائع المؤتمر العربي الثامن للمعلومات، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٩م.

٤٥. المصغرات الفيلمية واستخداماتها في المكتبات الجامعية بمصر (دراسة نظرية وتطبيقية): سلوى السعيد عبد الكريم أحمد، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم المكتبات والوثائق، ١٩٨٧م، (رسالة ماجستير).

٤٦. معايير تصميم مباني المكتبات الكبرى: هاري فولكنر براون، ترجمة: خالد سيف سكوري، تقرير المعلومات في العالم ١٩٩٧-١٩٩٨م: الطبعة العربية، مركز مطبوعات اليونسكو، القاهرة، ١٩٩٧م.

٤٧. المكتبات الجامعية(دراسة في المكتبات الأكاديمية والشاملة): أحمد بدر و محمد فتحي عبد الهادي، مكتبة غريب،القاهرة،ط٢، ١٩٨٧م.

٤٨. موسوعة الفهرسة الوصفية للمكتبات ومراكز المعلومات: شعبان عبد العزيز خليفة، محمد عوض العايدي، دار المريخ للنشر، الرياض،١٩٩١م.

٤٩. وضعية المخطوطات في المملكة العربية السعودية إلى عام ١٤٠٨هـ: يحيى محمود الساعاتيّ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

المصادر والمراجع الأجنبية

50. Egyptian University Library. Catalogue of the Collection of the Late Prince Ibrahim Hilmy. Cairo: Printing Office Paul Barby, 1936. 367, 181 p.

51. Library of Congress. Manuscripts Reading Room: Conditions of Use, 2..2. Cited In: WWW. Lc web.loc.gov/rr/mss/mss-use. html.

52. Mc Carthy,Stephen. Final Report to the Rector of Cairo University: A survey of the Libraries of Cairo University.Cairo: Cairo University,

53. The Calender of Fouad I University 195.. Cairo: Fouad I University Press, 195.. 217 p

54. Thompson, Lawrence S. Manuscripts. In: Encyclopedia of Library and Information Science. New York: Marcel Dekker, 1976.VOL 17.pp13.-161.

55. Tweedale, Dellene M. Manuscript Catalogs and Cataloging. In: Encyclopedia of Library and Information Science. New York: Marcel Dekker, 1976.VOL 17. pp 118-13.

هل كتب نصير الدين الطوسيّ (ذيل تاريخ جهانگشاي)؟

Did Nasir al-Din al-Tusi write the tail of The History of Jahangushay?

يوسف الهادي

محقّق وباحث تراثي

العراق

Yusuf Al-Hadi

Heritage reviewer and researcher

Iraq

الملخّص

الكثير من المؤلّفات في تراثنا الإسلاميّ وصلت إلينا غفلاً عن أسماء مؤلّفيها، وقد تقف وراء ذلك أسباب عديدة، منها ما هو مقصود ومنها من دون قصد، ومن هنا ظهرت في تراثنا الفكريّ والثقافيّ كتبٌ ومؤلّفات منسوبة خطأً إلى غير أصحابها؛ لذا تبنّى عدد من الباحثين مَهمة البحث في مؤلّفات كهذه ودراستها من حيث موضوعها ومنهجها وأسلوبها مع الأخذ بنظر الاعتبار زمان تأليفها ومكانه محاولين الخروج بجملة من القرائن التي تصحّح نسبتها إلى هذا المؤلِّف أو ذاك، أو على الأقل إثبات عدم صحة نسبتها الشائعة ذإن لم يتمّ الاهتداء في ذات الوقت إلى مؤلّفها الحقيقيّ، وفي كل الأحوال القصد من وراء ذلك خدمة التراث وأهله، ووضع الأمور في نصابها.

وما اشتملت عليه صفحات هذه الدراسة هي محاولة من هذا النوع، تبحث في الملحق الموجود في آخر كتاب تاريخ جهانگشاي للمؤرّخ والأديب والسياسيّ علاء الدين عطا ملك الجوينيّ (ت٦٨١هـ)، وهذا الملحق الذي يمكن أن نعدَّه (ذيلاً) للكتاب يتناول بشكل مختصر أحداث دخول المغول مدينة بغداد، وإنّ أهميته ترجع إلى كونه جزءاً ممّا دأبنا على تسميته في كتاباتنا باسم (الرواية البغدادية) عن الغزو المغوليّ للعراق، ونُسِبَ هذا النصّ إلى العالم والفلكيّ والرياضيّ والفيلسوف نصير الدين الطوسيّ (ت ٦٧٢هـ).

وسيجد القارئ الكريم في هذه الدراسة مجموعة أدلّة علمية اهتدينا إليها واقتنعنا بها، وساقتنا إلى نتيجة مفادها: إنّ هذا (الذيل) الملحق بتاريخ جهانگشاي ليس لنصير الدين الطُّوسِيّ، بل لمؤلّف آخر لم نوفّق للاهتداء إليه حالياً.

Abstract

Many of the works in our Islamic heritage have reached us without names of their authors. There are many reasons for this, some of them are intentional and others are not. Hence in our intellectual and cultural heritage, books and works are attributed wrongly to others; therefore, a number of researchers adopted the task of researching and studying such works in terms of their subject matter, methodology and style, taking into consideration the time and place of their writings and attempting to come up with a number of evidences that corrects their attribution to this scholar or that, or at least to prove that its famous relationship is incorrect. Even if they didn't know the true author at that time. In any case, the purpose behind this is to serve the heritage and its people, and to put things right. What is included in this study is an attempt. Looking at the index at the end of the book Tarikh-i Jahangushay of the historian, writer and politician Ala al-Din Ata-Malik Juvayni died in (681 AH).

This index can be considered as a (sequel) for the book. It deals briefly with the events of the Mongol invasion of Baghdad and its importance is due to being part of what we have called it in our writings named "Al-Baghdadi novel" about the Mongol invasion of Iraq, which is attributed to the scholar, astronomer, mathematician and philosopher Nasir al-Din al-Tusi died in (672 AH). The reader will find in this study scientific evidences led us to this conclusion: the (sequel) attached to Tarikh-i Jahangushay is not for Nasir al-Din al-Tusi but to another author whom we haven't identified him yet.

المقدّمة

كلامنا هنا يتناول البحث في الملحق الموجود في آخر كتاب تاريخ جهانگشاي للمؤرّخ والأديب والسياسيّ علاء الدين عطا ملك الجوينيّ (ت ٦٨١هـ)، هذا الملحق الذي يمكن أن نعدَّه (ذيلاً) للكتاب، ونُسِبَ - كما هو مكتوب في عنوانه - إلى العالم والفلكيّ والرياضيّ والفيلسوف نصير الدين الطوسيّ (ت ٦٧٢هـ).

ومن وجهة نظرنا فإنّ أهمية هذا النصّ ترجع إلى كونه جزءاً ممّا دأَبنا على تسميته في كتاباتنا باسم (الرواية البغدادية) عن الغزو المغوليّ للعراق[١]، وهي الرواية الصحيحة التي كتبها المؤرّخون البغاددة الذين كانوا فيها عند دخول المغول إليها، وهي تقف على النقيض من الرواية الشامية/ المصرية التي اختُلِقت فيما بعد عن هذا الغزو.

هولاكو ونصير الدين

حين تقدَّم هولاكو لتنفيذ المَهمة التي كلَّفه بها شقيقه منكو قاآن، وتحرّك بموجبها بجيشه للاستيلاء على قلاع الإسماعيلية في إيران، ومن ثَمّ التوجّه إلى بغداد وبلاد الشام ومصر بغية إلحاقها بالإمبراطورية المغولية، أرسل في البَدء في أوائل سنة (٦٥١هـ) أحدَ قادته العسكريّين، فشنَّ هجماته على قهستان التي كانت بأيدي الإسماعيلية[٢]. وفي ٢٤ شعبان (٦٥١هـ/١٢٥٣م)، ترك هولاكو معسكره متجهاً نحو الغرب؛ للانضمام إلى طليعة قواته في حربها على قلاع الإسماعيلية[٣].

كان عالِم الرياضيات والفلك والفيلسوف المعروف نصير الدين الطوسيّ يقيم هو

(١) عرَضنا موجزاً للرواية البغدادية في كتابنا: إعادة كتابة التاريخ: ص ١٥ و١٦٥ من الطبعة الثانية.

(٢) جامع التواريخ: رشيد الدين: ٦٩٠/٢ (الطبعة الفارسية)، ٢٤٣/(١)٢ (الترجمة العربية)؛ تقويم التواريخ: حاجي خليفة: الورقة ٥٧أ. وقهستان: هي المنطقة الجبلية التي بين هراة ونيسابور، (معجم البلدان: ياقوت الحمويّ: ٢٠٥/٤).

(٣) تاريخ جهانكشاي: الجوينيّ: ٦٩٢/٣؛ السلوك لمعرفة دول الملوك: المقريزيّ: ٤٧٧/١.

وجمعٌ من الأطباء «مكرَهين لدى ملك الإسماعيلية»[١]. واستناداً إلى نصير الدين نفسه فإنه كان مكرَهاً على الإقامة في قهستان[٢]، بل إنّ وصّاف الحضرة يقول: إنّ نصير الدين «كان لمدة طويلة معتَقَلاً في بلاد قهستان»[٣]؛ ويقول مؤرّخ آخر: إنّ حاكم قهستان ناصر الدين جَلَبَ نصير الدين «بالقَهْر والإكراه إلى قلعة أَلَمُوت، ولم يخرج منها إلى حين النزول والوصول»[٤]، وقيل: إنّه «كان وزير أبيه الذي جلبه إلى القلعة (أَلَمُوت) بالقهر والغلبة، وأبقاه لديه محتجزاً ليتعلَّم منه العلمَ والحكمة»[٥]، وقيل أيضاً: إنّه «جَلَبَه بالقهر والغلَبة في البَدء، لكنّه أصبح أكثر لطفاً معه في النهاية، واتخذه وزيراً»[٦]. ولدينا رواية تصرّح بأنه اختُطف وجيء به إلى قلعة أَلَمُوت، إذ يقول المنشئ الكرمانيّ: «صدرت الأوامر من بلاط إمام الإسماعيليّين إلى الفدائيين بحمله إلى دار الإلحاد[٧]، فشُنَّ عليه هجوم مباغت في شارع البساتين بنيسابور، وهُدِّدَ بالقتل والعذاب إنْ هو لم يذهب معهم إلى [قلعة] أَلَمُوت»[٨].

فيما يأتي نورد تلخيصاً مفيداً لسيرة نصير الدين كتبه الأستاذ فرهاد دفتري:

«وُلِد الخواجه نصير الدين الطوسيّ (٥٩٧ هـ) في طوس في خراسان لأُسرة شيعيّة اثني عشرية، ودرس في نيسابور خلال المدّة ٦١٠ - ٦١٨هـ، ثم بعد ذلك في العراق[٩].

(١) كما يقول رشيد الدين في جامع التواريخ: ٦٩٢/٢ (الطبعة الفارسية)، ٢٤٩/(١)٢ (الترجمة العربية).

(٢) كما يُستَفاد من مقدّمة كتابه(أخلاق ناصري): الورقة ٢ب.

(٣) تجزية الأمصار: الورقة ٣٩؛ مجمع الأنساب: الشبانكارئيّ: ٢٦٢.

(٤) زبدة التواريخ: جمال الدين الكاشانيّ: ٢٢٢. ويعني وصول جيش هولاكو ونزول مَن في القلعة منها.

(٥) كما يقول أولياء الله آملي في (تاريخ رويان)، الورقة ٧٨.

(٦) كما يقول ظهير الدين المرعشيّ في (تاريخ طبرستان): الورقة٢٦أ.

(٧) دار الإلحاد: تعبير شائع آنذاك ويُقصّد به القلاع والأماكن التي كان يسكن فيها أتباع المذهب الإسماعيليّ.

(٨) درّة الأخبار: ناصر الدين المنشئ: ١٠٧.

(٩) الذي نعلمه أنّ نصير الدين الطوسيّ لم يدخل العراق إلاّ في سنة (٦٥٦هـ) مع هولاكو، ثم زاره في سنتي (٦٦٢ و ٦٧٢هـ) ممّا سنذكره لاحقاً.

وحوالي سنة (٦٢٤هـ)، دخل في خدمة ناصر الدين عبد الرحيم بن أبي منصور (ت ٦٥٥هـ)، محتشم أو قائد الإسماعيليّين النزاريّين في قوهستان. وخلال إقامته الطويلة في قائين وبين جماعات نزاريّة أخرى في قوهستان، طَوَّر الطوسيّ علاقات صداقةٍ وثيقةٍ مع راعيه العالِم الذي أهدى إليه كتابيه الضخمين في الأخلاق: (أخلاق ناصري) الذي انتهى منه سنة (٦٣٣هـ)، و(أخلاق محتشمي). وذهب فيما بعد إلى أَلَمُوت[١]؛ إذ حظيَ بسخاء إمامين نزاريّين حتى سقوط الدولة النزاريّة سنة (٦٥٤هـ) على أيدي المغول[٢]، وأصبح عقب ذلك مستشاراً موثوقاً للفاتح المغوليّ هولاكو، الذي بنى له مرصداً ضخماً في مراغة بأذربيجان. وخلال إقامته مع النزاريّين تحوَّل الطوسيّ إلى الإسماعيلية، وشرح هذا التحوّل في سيرته الذاتية (سير وسلوك)، وقدَّم مساهماتٍ مُهمة إلى الفكر النزاريّ في عصره؛ لكنه عاد وارتدَّ إلى الاثني عشرية عقب انضمامه إلى حاشية هولاكو. ثم إنَّ تصنيف العمل الإسماعيليّ الضخم من حقبة أَلَمُوت المتأخرة روضة التسليم، المنجز سنة (٦٤٠هـ) كان قد تمَّ تحت إشراف الطوسيّ المباشر؛ كما قدَّمَ مساهماتٍ مُهمة إلى الفكر الشيعيّ الاثني عشري، وتوفي في بغداد»[٣].

كان ركن الدين خورشاه (حكم في السنوات ٦١٨ - ٦٥٤هـ) هو آخر ملك إسماعيليّ عاش نصير الدين في كَنَفه، وكان يعيش في إحدى قلاع الإسماعيلية الحصينة المعروفة باسم قلعة ميمون دِز[٤]. ومع استسلام خورشاه هذا إلى هولاكو ونزوله عند شروطه سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، انتهت إقامة نصير الدين الطوسيّ في قلعة ميمون دز، وبادر هولاكو إلى ضمِّه إلى حاشيته للاستفادة منه بصفته عالماً في الفلك، إذ يقول مؤلّف كتاب (الحوادث): «كان في خدمة علاء الدين محمّد بن الحسن الإسماعيليّ -هو والد خورشاه- وحضرَ بين

(١) استناداً إلى عناية الله مجيدي (ميمون دز أَلَمُوت: ٢١٥) فقد وصل نصير الدين الطوسيّ إلى قلعة أَلَمُوت بعد سنة ٦٣٣هـ.

(٢) هذا هو رأي الأستاذ دفتري. نعم عاش نصير الدين في أَلَمُوت، لكن استناداً إلى الجوينيّ (تاريخ جهانگشاي: ٧٧٦/٣)، فقد كان في قلعة ميمون دز مع خورشاه عند استسلام هذا الأخير لهولاكو، وهذا يعني أنه انتقل -في زمنٍ ما- مع خورشاه من أَلَمُوت إلى ميمون دز. وقلعة ميمون دز قريبة من قلعة أَلَمُوت (ينظر: شرح مشكلات تاريخ جهانگشاي جويني: خاتمي: ٣٠٤).

(٣) معجم التاريخ الإسماعيلي: دفتري: ١٨٩- ١٩٠.

(٤) تاريخ جهانگشاي: ٧٧٦/٣.

يدي السلطان (هولاكو)، فحظيَ عنده وأنعم عليه، فعملَ الرَّصد بمراغة سنة ٦٥٧هـ»[١].

بعد أن استسلم ملك الإسماعيلية ركن الدين خورشاه إلى هولاكو سنة (٦٥٤هـ) وسلَّم إليه ما استطاع تسليمه من قلاع الإسماعيلية وما فيها من حشودٍ من أتباع هذا المذهب، بادر المغول إلى قتله «وقَتَلوا أقاربَه وأفرادَ أسرته من النساء والرجال حتى الأطفال الذين في المهود فيما بين أبهر وقزوين، فلم يبقَ منهم أثر»[٢].

والحقيقة هي أنّ اهتمام المغول بعلم الفلك يُقصد به التنجيم الذي يعتقدون أنّه قادر على كشف المستقبل، ذلك أنّه «منذ عهد البابليين، ومن ثمَّ عهد الإغريق، اقترنَ الأمل بالكشف عن المستقبل باهتمامٍ علميٍّ بالكون وبالحركات الدقيقة للأجرام السماويّة، أي بعبارة أخرى بعلم الفلك. وكلاهما وُجِدَ جنباً إلى جنب في مزيجٍ يكاد لا ينفصل؛ فالفلكيون في العصور الوسطى- شرقيين كانوا أم غربيين - كانوا منجِّمين في معظم الأحيان»[٣]. وهذا ما سنلاحظه لدى اقتراب هولاكو من بغداد، وسؤاله المنجّمين ونصيرَ الدين الطوسيّ عن مستقبل حربه مع الخليفة، وهذا هو ما دأب عليه الحكّام المغول اللّاحقون؛ إذ نجد السلطان المغوليّ أحمد تكودار حين زحف لقتال الأمير أرغون سنة (٦٨٣هـ)، استشار اثنين من الفلكيين (المنجّمين)، وهما صدر الدين وأصيل الدين نجلا نصير الدين الطوسيّ - وكانا مقرَّبين منه كما هو واضح - فقالا إنه بحسب أحكام النجوم، فليس من المصلحة أنْ يزحف بجيشه للقتال[٤].

إنّ تعامل هولاكو مع نصير الدين هذا التعامل المتساهل ووثوقه به بهذه السرعة

(١) كتاب الحوادث: مجهول: ٣٣٠. يذكر ابن الفُوَطِيّ أنّ هولاكو «أشار بعمل الرصد بمراغة في جمادى الآخرة سنة ٦٥٧هـ» (تلخيص مجمع الآداب: ٤٨٩/٥).

(٢) جامع التواريخ: ٦٩٧/٢ (الطبعة الفارسية)، ٢٥٨/(١)٢ (الترجمة العربية)؛ زبدة التواريخ: ٢٣٢؛ ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان: قطب الدين الشيرازيّ: ٨٩.

(٣) الفاطميون وتقاليدهم في التعليم: هالم: ١٣٤، ويقول أيضاً في الصفحة نفسها: «يعود علم التنجيم في خصائصه الرئيسة إلى البابليّين الذين ظنُّوا أنّ الكواكب السبعة ـ التي عَدُّوا من ضمنها الشمسَ والقمرَ، ولكن ليس الأرض ـ كانت آلهة كان بإمكان البشرية استكشاف نيَّاتها من خلال مراقبةٍ دقيقةٍ لحركاتها،وتبنَّى اليونانيون والرومان هذا الاعتقاد وأورثوه كِلا العالَمينِ الإسلاميّ والغربيّ».

(٤) جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ١٠٠٧/٢ .

إنما كان بوصيّةٍ من شقيقه منكو قاآن حين كلَّفه بحملته على قلاع الإسماعيلية؛ ذلك أنّه كان ينوي الاستفادة من علومه الفلكية «وكان صيت فضائل الخواجه نصير الدين ذائعاً في كلّ مكان كالريح التي تجوب الآفاق. فلما ودَّع منكو قاآن شقيقه هولاكو قال له إنَّ عليه إذا استولى على قلاع الملاحدة أنْ يرسل إليه الخواجه نصير الدين، لكن لمّا كان منكو قاآن منشغلاً آنذاك بفتح ممالك منزي[١] بعيداً عن عاصمته، أمر هولاكو أن يبني مرصداً في ذلك المكان (إيران)؛ ولمّا كان قد وقفَ على حُسْن سيرة نصير الدين وصدق سريرته، كان يريد منه أن يظلَّ ملازماً لهولاكو»[٢].

كان مستوى منكو قاآن الثقافيّ المتقدّم يؤهّله لأنْ يتقدّم إلى شقيقه هولاكو بطلب علميٍّ كهذا، فقد كان «مهتماً جداً بالرياضيات والفلك»[٣]؛ وكان على تماسٍّ ببعض العلماء المسلمين، وقد تلقَّى شطراً من العلم والأدب على افتخار الدين محمّد أحد أعضاء الأُسرة الافتخاريّة القزوينيّة، وهي أسرة مسلمة ينتهي نسبها إلى الخليفة أبي بكر؛ لذا كان جدُّهم افتخار الدين محمّد يحمل لقب «البَكريّ، ومن أحفاده كان افتخار الدين محمّد بن أبي نصر أعظم أكابر مدينة قزوين...، وهو الذي تلقّى العلمَ على يديه منكو قاآن وأشقاؤه وأعمامُه وذووه، وحين ارتقى منكو العرش نال حظوةً لديه، وأصبح حاكماً على قزوين سنة ٦٥١هـ وظلّ حاكماً مدة ٢٧ سنة»[٤]. وعليه فليس مستبعداً أن يكون هؤلاء الافتخاريون وبعض العلماء المسلمون الذين كانوا على اتصالٍ بالبلاط المغوليّ هم الذين أشاروا إلى ما كان يتمتع به نصير الدين من تفوّقٍ في المجال العلميّ خصوصاً الفلك والنجوم؛ إذ ذُكر أنّ منكو قاآن «رغب في إقامة مرصدٍ كبير في بكين أو في عاصمته

(١) منزي (Manzi): تسمية كان يطلقها سكّان شمالي الصين على سكّان الجنوب تحقيراً لهم (تعاليق الدكتورة وانغ يي دان على جامع التواريخ (تاريخ چين)): ١٦١.

(٢) كما يقول رشيد الدين: جامع التواريخ: ٧١٨/٢ (الطبعة الفارسية)، ٢(١)/٣٠٣ ـ ٣٠٤ (الترجمة العربية).

(٣) المراصد الفلكية في العالم الإسلاميّ: صابيلي: ٢٧٩.

(٤) تاريخ كزيده: حمد الله المستوفيّ: ٧٩٨ ـ ٧٩٩؛ عن بقية مشاهير هذه الأسرة والوظائف المُهمة التي شغلوها لدى الحكام المغول، ينظر: تاريخ كزيده: ٧٩٨ ـ ٨٠٠؛ كتاب الحوادث: ٣٨٤ و ٤٣٥؛ تلخيص مجمع الآداب: ابن الفُوَطِيّ: ٣٥/٢؛ تجارب السلف: هندوشاه النخجوانيّ: ١٦؛ هفت إقليم: أمين الرازيّ: الورقة ٣٥٦ب.

قراقورم»[١].

وكان ممّن خرج مع نصير الدين من قلعة أَلَمُوت الإسماعيلية جمعٌ من الأطباء كانوا فيها، يقول رشيد الدين: «لمّا تحقَّقَ هولاكو من سلامة قلب الخواجه نصير الدين الطوسيّ وأبناء رئيس الدولة وموفق الدولة الذين كانوا أطباء نطاسيين ذائعي الصيت أصلهم من همذان، شملهم برعايته ومنحَهم بغالاً لحمل جميع أفراد أُسَرِهم وأعيانهم وأقاربهم، مع كافة أفراد حاشيتهم وخَدَمِهم وأتباعِهم وأشياعِهم، وأن يكونوا مرافقين له. وهم إلى يومنا مع أبنائهم ملازمون دائماً لبلاط هولاكو ومقرَّبون منه ومن المشاهير من سلالته»[٢].

وهكذا وبعد أن غادر نصير الدين قلعة ميمون دِز أصبح في جملة الكتَّاب والفلكيين المختصّين بهولاكو، حتى روى الذهبيّ أنّه «كان ذا حرمة وافرة، ومنزلة عالية عند هولاكو. وكان يطيعه فيما يشير به، والأموالُ في تصريفه»[٣]، وهو الذي أقنع هولاكو بإقامة مرصدٍ فلكيّ في مراغة، وبلغ لديه من الحظوة أنّه كان مطلق اليد في أن يضمّ إليه أيّ شخصٍ من المشتغلين بالفلك والنجوم أو ما يؤدي إليهما، ولدينا القصة المؤثِّرة لمحيي الدين المغربيّ، وكان في حاشية الملك الناصر صلاح الدين ابن الملك العزيز الأيوبيّ[٤] الذي أبقاه هولاكو لديه بعد قتله أباه، ثم غضب بعد وصول الأنباء بهزيمة جيشه في حمص، فأمر بقتله وجميع مَن معه. وحين قيَّدهم المغول ليقتلوهم يقول المغربيّ: «لمّا عاينتُ ذلك بقيتُ أقولُ بصوتٍ عالٍ: إنني رجل منجّم وأعرف بحركات الكواكب ومعي كلام أقوله في خدمة السلطان ملك الأرض [هولاكو]. فأخذوني وأقعدوني وراءهم مع جملة أتباعهم، وشرعوا بقتل الجماعة، ولم يخلص منهم غير ولدَي الملك الناصر فاستأسروهما، ثم ركبوا وعادوا إلى البيوت التي للملك الناصر، ونهبوها وقتلوا باقي الجماعة التي تخلَّفت هناك،

(١) المراصد الفلكية في العالم الإسلاميّ: ٢٧٨.

(٢) جامع التواريخ: ٦٩٦/٢ (الطبعة الفارسية)، ٢(١)/ ٢٥٧ (الترجمة العربية). و(سلالته) وردت في الأصل الفارسيّ (أوروغ) وتعني النسل والسلالة والأولاد والأعقاب (ينظر: قواعد ورسم الخط ومصطلحات تركي جغتايي: مجهول: الورقة ٢٥٠أ).

(٣) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذهبيّ: ١١٤/٥٠.

(٤) هو الملك يوسف (الناصر) بن محمّد (الملك العزيز) بن الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين بن أيوب، صاحب حلب وآخر الملوك الأيوبيين، وقد قُتل بعد معركة حمص التي هُزِمَ فيها المغول في ٢٥ محرم سنة (٦٥٩هـ) (ينظر: مفرج الكروب: ابن واصل: ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١١).

ثم عرضوا الأمر على هولاكو، وأنا صرتُ في خدمة خواجا نصير الدين في الرصد بمراغة، وابنا الملك الناصر في خدمته»[١].

التوجُّه نحو بغداد:

وفي أثناء تناولنا مسير هولاكو بجيشه نحو بغداد، سنركِّز فقط على الوقائع ذات الصلة بنصير الدين الطوسيّ من ذلك المسير.

حين انتهى هولاكو من ارتكاب تلك المجزرة المروِّعة بحقّ الإسماعيليين، تقدَّم بجيشه نحو العراق في أوائل محرّم سنة (٦٥٥هـ) على طريق كرمانشاهان وحُلْوان، وكان معه - كما يقول رشيد الدين - من الكُتَّاب «قراتاي، وسيف الدين البيتكچي المدبِّر لشؤون المملكة، ومولانا الخواجه نصير الدين الطوسيّ، والصاحب السعيد علاء الدين عطا مَلِك الجوينيّ، مع كافة السلاطين والملوك وكتَّاب إيران»[٢]، وهذا أول نصّ يدلّ على ضمِّ هولاكو نصيرَ الدين إلى فريق الكتَّاب الذين كانوا برفقته.

كان الخليفة في بغداد حيث مقرّ الخلافة العباسية هو المستعصم بالله العباسيّ الضعيف البخيل الجشِع اللصّ[٣] المنهمك باللعب بالطيور والموسيقى والطرب إلى حدٍّ أنه عندما كان الجيش المغوليّ قد احتلَّ الجانب الغربيّ من بغداد (الكرخ) وكان يرشق بسهامه الجانبَ الشرقيّ حيث قصر الخليفة، وكان الجيش العباسيّ القليل العدد يواجه الجيش المغوليّ المتفوّق في العدَّة والعَدد خارج بغداد في معركة طاحنة خسر فيها أغلب أفراده، وتشتت الباقون خارج الميدان، كان هو يجلس باسترخاء في أحد أروقة القصر يشاهد

(١) تاريخ مختصر الدول: ابن العبريّ: ٤٨٩، تاريخ الزمان: ابن العبريّ: ٣١٨؛ جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٩١٦/٢، ٢(١)/ ٣١٧ (الترجمة العربية)، وفيه: (ولم ينجُ منهم سوى محيي الدين المغربيّ بحجة معرفته بعلم التنجيم)؛ وفي مفرج الكروب: ٢٨١/٦ «واستبقوا الملك العزيز محمّد ابن الملك الناصر؛ لأنه كان صغيراً، وبقي عندهم مدَّةً وأحسنوا إليه، ثم توفي بعد ذلك». وقد اشتغل هذا الرجل في مرصد مراغة، وكان له نشاط فيه (الذريعة: آغا بزرك: ٢٢٣/٢٣).

(٢) جامع التواريخ: ٨٩٣/٢ (ط روشن وموسوي)، ٢(١)/٢٥٨ (الترجمة العربية).

(٣) عن هذا الخليفة وضعفه ولصوصيته وطمعه وبخله وأشهر سرقاته مصادرته الوديعة التي أودعها لديه ملك الكَرَك الناصر داود الأيوبيّ من الجواهر واللآلئ، ينظر كتابنا: إعادة كتابة التاريخ (الطبعة الثانية): ٣٦ ـ ٤٧.

جارية «صغيرة من موَلَّدات العرب تُسَمَّى عَرَفَة»، وهي تؤدي إحدى رقصاتها، فـ «جاءها سهم من بعض الشبابيك، فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعاً شديداً»[١]. وكانت حاشيته ومستشاروه وكبار موظفيه من أبشع اللصوص[٢].

لم يكن يوجد جيش يدافع عن حِمى البلاد؛ فقد قلَّلَ الخليفة البخيل نفقات الجيش، فاضطُرّ كثيرٌ منهم إلى ترك الخدمة أو التحوّل إلى شحّاذين على أبواب الجوامع والأسواق؛ لاستجداء قوتهم وقوت عيالهم. نقرأ في حوادث سنة (٦٤٨هـ): «ثارت طائفة من الجند ببغداد، ومنعوا يوم الجمعة الخطيب من الخطبة، واستغاثوا لأجل قطع أرزاقهم...، وكان الخليفة قد أهمل حال الجند وتعثّروا وافتقروا، وقُطعت أخبازهم ونُظم الشعر في ذلك»[٣]. وقبل عامٍ من وصول المغول بغداد «كان الخليفةُ قد أهمل حال الجند ومَنَعَهم أرزاقهم، وأسقطَ أكثرَهم من دساتير ديوان العرض، فآلت أحوالهم إلى سؤالِ الناسِ وبذْلِ وجوهِهم في الطلبِ في الأسواقِ والجوامعِ، ونَظَمَ الشعراءُ في ذلك الأشعارَ»[٤].

في اللحظات الأخيرة التي سبقت اجتياح المغول العراق أرسل الخليفة المستعصم اثنين من كبار العسكريين، هما سيف الدين قليج وأيبك الحلبيّ، لاستطلاع تحرّكات الجيش المغوليّ؛ وبينما كان هولاكو متوجِّهاً نحو الجانب الشرقيّ من بغداد، ألقى المغول القبض على هذين الاثنين، فأُخذا إلى هولاكو؛ الذي كان قد أقام معسكره في طاق كسرى المجاور لبغداد.

ولدى التحقيق معهما وافقا فوراً على التعاون معه بعد أن أمَّنهما على حياتهما،

(١) البداية والنهاية: ابن كثير: ٢٣٣/١٣؛ وينظر خبر هذه الواقعة أيضاً في كتاب الحوادث: ٣٥٤ ـ ٣٥٥؛ ولدى ابن شاكر في عيون التواريخ: ١٣٣/٢٠؛ والعينيّ في عقد الجمان: (١٧١، الجزء الخاص بحوادث السنوات ٦٤٨ ـ ٦٦٤هـ)، نقلاً عن ابن كثير.

(٢) عندما كان الجيش المغوليّ يطوّق بغداد خصّص الخليفةُ أموالًا لتشكيل قوةٍ من الرماة يقفون على أسوار بغداد للدفاع عنها، لكن رجال البلاط سرقوا أكثر تلك الأموال (ينظر: مختصر التأريخ: ابن الكازرونيّ: ٢٧٢).

(٣) تأريخ الإسلام: ٦٣/٤٧، ينظر أيضاً: ٣٢/٤٨، حوادث سنة ٦٥٥هـ.

(٤) كتاب الحوادث: ٣٥٠؛ عيون التواريخ: ابن شاكر: ١٢٩/٢٠. ينظر بهذا الشأن تفاصيل أوفى في كتابنا إعادة كتابة التاريخ (الطبعة الثانية): ٤٤ ـ ٤٧.

وأصبحا مرشدينِ للقوات المغولية يهدونهم إلى الطرق التي ينبغي لهم سلوكها[١]، وبادرا إلى كتابة رسائل إلى كبار شخصيات البلاط يرغِّبانهم في الانضمام إلى جيش هولاكو قائلين: «ارحموا أرواحَكم، واطلبوا الأمان؛ لأنّ لا طاقةَ لكم بهذه الجيوش الكثيفة»[٢]. وتوجد رواية تقول: إنّ أيبك الحلبيّ اتصل بالقائد المغوليّ بايجو نويان «وأقبل بين يدي العسكر (المغوليّ) يعرِّفهم الطرق ويهديهم»[٣].

وبإلقاء القبض على هذين الاثنين، وتعاونهما مع هولاكو، حقَّق أكبرَ اختراق استخباراتيّ، تمكَّن بواسطته من معرفة ما يبغيه من معلومات عن بغداد وجيشها وخططها.

كما أسلفنا آنفاً فإنَّ هولاكو كان قد ضمَّ نصير الدين الطوسيّ إلى المجموعة المقرَّبة منه، ويمكن القول إنّ ما قدَّمه القائدان العباسيّان الأسيران لدى هولاكو من معلوماتٍ قد سمعها نصير الدين أيضاً، ومن المعروف أنّ المغول يبالغون في التدقيق بجمع المعلومات. ومن المعلومات التي شاعت فيما بعد -وكان هذان القائدان يعلمانها حتماً- أنّ عدد أفراد الجيش العباسيّ لم يكن ليتجاوز العشرة آلاف فارس[٤]، بل إنّ مواطناً بغدادياً قال إنّه «دون سبعة آلاف فارس، وجُلُّهم ليس بنافع»[٥]. هذا بينما قدَّر أحد مواطني بغداد آنذاك جميع أفراد جيش هولاكو بمئتي ألف مقاتل[٦]، مع مَن انضمَّ إليهم من الحكّام المسلمين، وغيرهم ممّن جاؤوا بجنودهم ومعدَّاتهم لدعم الجيش الغزاة[٧].

مع كلّ هذه المعلومات عن ضعف الخليفة وجيشه، لم يكن هناك ما يدعو هولاكو

---

(١) جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٨٩٤/٢، ٢٨٢/(١)٢ (العربية)؛ تأريخ مختصر الدول: ٤٧٢.

(٢) تأريخ مختصر الدول: ٤٧٢. وقد رَفَضَ أولئك القادة الاستجابة لطلبهما.

(٣) كتاب الحوادث: ٣٤٩.

(٤) البداية والنهاية: ٢٣٤/١٣.

(٥) التحفة في نظم أصول الأنساب: الحسنيّ العلويّ: الورقة ٢٤٦. نقل هذا النصّ عباس العزاويّ في تأريخ العراق بين احتلالين: ١١/٣ (الملحق الثاني) عن العلّامة الدكتور مصطفى جواد. وسينفرد العينيّ ـ المؤرّخ المتأخر ـ بالقول في عقد الجمان (حوادث ٦٤٨ ـ ٦٦٤هـ): ١٧٠، إنّ «عسكر بغداد دون ٢٠ ألف فارس».

(٦) سير أعلام النبلاء: ١٨٢/٢٣.

(٧) إعادة كتابة التاريخ: ٩٤ ـ ٩٧ (الطبعة الثانية)؛ سقوط الدولة العباسية: الغامديّ: ٣٥١ ـ ٣٦٩، الفصل المعنون: دور العناصر المسلمة من خارج أراضي الدولة العباسية في إسقاط الخلافة.

إلى التوقّف عن اجتياح بغداد والحصول على غنائمها، خصوصاً أنّ استسلام الخليفة- الذي سيحدث لاحقاً -كان دالّاً على ضعفه ومسكنته.

وربّما كان للمعلومات التي حصل عليها هولاكو وقادته العسكريون من القائدَيْن (أيبك الحلبيّ، وسيف الدين قليج)- اللّذين أُلقي القبض عليهما -وما أخبراه به عن عدد أفراد الجيش العباسيّ، وقياداته، ومعدَّاته، وفقر مقاتليه، وترك أكثرهم للخدمة العسكرية، ربّما كان لكلّ ذلك أثر فيما يبدو في (ظاهرِه) أنّه نبوءة من نصير الدين الطوسيّ بانتصار جيش هولاكو حين سأله عن مستقبل هجومه على بغداد، بينما هو في (باطنِه) حسابات قائمة على أساس المقارنة بين معطيات الواقع الميدانيّ، وإنَّ خليفةً بهذا الضعف وجيشاً بتلك القِلّة في العدّة والعدد، لن يستطيعا الثبات بوجه الجيش المغوليّ الضخم، وعليه فإنَّ الانتصار سيكون حليف هولاكو كما أنبأه بذلك نصير الدين.

ساعة الامتحان

لاهتمام المغول الشهير بالتنجيم والطالع، بادر هولاكو إلى سؤال المنجّمين عمَّا يمكن أن يطمئنه نفسياً وهو متوجِّه إلى عاصمة الخلافة بغداد التي ملأ صيتُها الآفاق، وكان «يتشاور مع أركان الدولة وأعيان الحضرة في أمر تصميمه على الزحف إلى بغداد، فكان كلٌّ منهم يبدي رأيه حسب ما يعتقد، ثم طلب حسامَ الدين المنجِّم الذي كان مصاحباً له بأمرٍ من القآن[1]؛ ليختار وقت النزول والركوب، وقال له: بيِّنْ كلّ ما يبدو لك في النجوم دون مداهنة. ولمّا كانت له جرأة بسبب حظوته فقد قال بصورة مطلقة: إنّه ليس ميموناً قصْد أسرة الخلافة والزحف بالجيش إلى بغداد؛ إذ إنّ كلّ ملك حتى زماننا هذا قصد بغداد والعباسيين لم يستمتع بالملك والعمر، وإذا لم يصغِ الملك إلى كلامي وذهب إلى هناك، فستظهر ستة أنواعٍ من الفساد؛ أولها: أن تنفق الخيول كلّها ويمرض الجنود، وثانيها: أنّ الشمس لا تطلع، وثالثها: أنّ المطر لا ينزل، ورابعها: تهب ريح صرصر وينهار العالم بالزلزال، وخامسها: لا ينبت النبات في الأرض، وسادسها: أنّ الملك الأعظم يموت في تلك السنة. فطلب منه هولاكو شهادةً بصحة هذا الكلام، فكتبها المسكين».

(١) يعني بأمرٍ من شقيقه منكو قاآن.

كان هذا هو الرأي الأول، أمّا الثاني فكان رأي اللّامات (الكهّان) والأمراء الذين قالوا: «إنّ الذهاب إلى بغداد هو عين المصلحة».

ثمّ إنّ هولاكو «استدعى الخواجه نصير الدين الطوسيّ واستشاره، فخاف الخواجه وظنّ أنّ الأمر على سبيل الاختبار، فقال: لن تقع أية واقعة من هذه الأحداث.

فقال هولاكو: إذن ما ذا يكون؟

قال: إنّ هولاكو سيحلُّ محلَّ الخليفة.

وقد استشهد نصير الدين بالحديث الشريف: **(إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان بموت أحد)** »[١].

وقد طلبَ هولاكو إلى المنجِّم حسام الدين أن «يتباحث مع الخواجه نصير الدين الذي قال: لقد استشهد جمع كثير من الصحابة باتفاق آراء الجمهور وأهل الإسلام ولم يحدث فسادٌ قطّ، ولو قيل إنّ للعباسيّين مكرمة خاصّة بهم فإنّ طاهر [بن الحسين الخزاعيّ] جاء من خراسان بأمر المأمون وقتل أخاه محمّداً الأمينَ، وقتل المتوكلَ ابنُه بالاتفاق مع الأمراء، كذلك قَتَلَ الأمراءُ والغلمانُ (الخليفتين) المنتصرَ والمعتزَّ، وقُتِلَ عددٌ من الخلفاء على يد جملة أشخاصٍ فلم تختلَّ الأمور»[٢].

ولقد بالغ عباس العزاويّ حين رأى أنَّ استشارة هولاكو لنصير الدين كانت سبباً لهجومه على بغداد عندما اختصر كلام رشيد الدين بهذا الشأن، وقال: «استطلع هولاكو رأي حسام الدين المنجِّم في أمر الهجوم على بغداد وما يقوله علم التنجيم بذلك...، فبيَّن له الأخطار التي تنجم من الإقدام على هذا العمل[٣]، أوجسَ خيفة وحذَّره من التصدّي للفتح، ولكن هولاكو لم يقف عنده واستشار الخواجه الطوسيّ، فأفتاه من الطالع بأن لا ضرر على السلطان، وإنّما يُقتَل الخليفة ويُدَمَّر جيشه. وبناءً على هذه الفتوى زَحَفَ الجيش من كلّ صوب ودخلَ هولاكو بغداد، فاكتسبَ الخواجه الطوسيّ مكاناً لائقاً لنجاح

(١) مسامرة الأخبار: الآقسرائيّ: ٤٨. والحديث الشريف في مسند أحمد: ٢٩٨/١، ٣٥٨...؛ وصحيح البخاريّ: ٢٤/٢، ٢٦...؛ وصحيح مسلم: ٢٨/٣، ٣١...؛ وغيرها من المصادر.

(٢) جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٨٩١/٢ ـ ٨٩٢، ٢٧٩/(١)٢ ـ ٢٨٠ (الترجمة العربية).

(٣) لم يذكر العزاويّ تلك الأخطار التي ذكرها حسام الدين، وقد ذكرناها آنفاً.

الهجوم طبقَ الفتوى»[١]. وبالغ الباحث السعيد جمال الدين عندما رأى أنّ نصير الدين الطوسيّ عَمَدَ «إلى التحريض على تدميرها»[٢]، يعني تدمير الخلافة العباسية، وكلا الباحثين استنبطَ من النصّ ما ليس فيه؛ ذلك أنّ هولاكو منذ انطلاقه بجيشه من منغوليا سنة (٦٥٠هـ)، كان قادماً لاحتلال عاصمة الخلافة العباسية، فضلاً عن المعلومات التي حصل عليها من القائدين العباسيّيْن الأسيريْن وغيرهما عن الخليفة وجيشه، وأوضاع البلاد كانت تعزِّز ثقته بالانتصار في ضوء مقارنته بين أعداد الجند لديه ولدى الخليفة، ومقارنته بين الأسلحة والمعدّات.

ومع ذلك لدينا بهذا الشأن وجهة نظرٍ للباحث الدكتور عبد المجيد أبو الفتوح بدوي يقول فيها: «ولعلّ في تعبير رشيد الدين (فخاف وظنَّ أنّ الأمر على سبيل الاختبار)، ما يبرّئ ساحة الطوسيّ؛ لأنّ الرجل فعلاً كان قريبَ عهدٍ بخدمة هولاكو، وربّما ظنَّ أنّ هذا أول امتحان له لمعرفة صدق نواياه تجاه المغول، فإذا أضفنا إلى ذلك ما قاله ابن شاكر الكتبيّ عنه من أنّه (كان للمسلمين به نفعٌ خصوصاً الشيعة والعلويين والحكماء وغيرهم، وكان يَبَرُّهم ويقضي أشغالهم ويحمي أوقافهم) (فوَات الوفيات: ٣١٠/٢ - ٣١١)، وذلك بعد أن أصبح ذا نفوذٍ في دولة المغول؛ إذا أضفنا ذلك أدركنا - في الأقلّ - أنّه ليس لدينا دليل أكيد على سوء نيّة هذا الرجل تجاه الخلافة، وتجاه إخوانه المسلمين المخالفين له في المذهب»[٣].

ويمكن أن يؤيِّد رأي الدكتور بدوي ما ذُكِر من أنّ هولاكو عاقب بعد ذلك المنجِّمين الذين خوَّفوه من غزو بغداد «فأذاقهم أشدَّ أنواع العذاب، وأوردهم مورد العدم، فنالهم ثواب الآخرة»[٤].

---

(١) تأريخ علم الفلك: العزاويّ: ٣٣.

(٢) هو الدكتور محمّد السعيد جمال الدين الأستاذ المشارك في جامعتي عين شمس بالقاهرة والإمام محمّد بن سعود الإسلامية، في كتابه: (علاء الدين عطا ملك الجوينيّ حاكم العراق بعد انقضاء الخلافة العباسية في بغداد): ١٠.

(٣) التأريخ السياسيّ والفكريّ للمذهب السنيّ في المشرق الإسلاميّ: بدوي: ٢٧٠.

(٤) على حد تعبير الآقسرائيّ في (مسامرة الأخبار): ٤٩.

هذا فضلاً عن أنّ حسام الدين ونصير الدين لم يكونا المنجِّميْنِ الوحيدَيْنِ في رَكْب هولاكو؛ فلدى تحرّكه من قراقورم (عاصمة منغوليا آنذاك) استصحب معه جمعاً من «حكماء ومنجِّمي وأطباء الخطا»[١]. وعلى حدّ تعبير أحد القادة المغول وقد ذكر له أحد المنجِّمين فألاً سيِّئاً بشأن إحدى المعارك: «ينبغي أن لا يُذكَر الفأل السيّئ في حضرة الملوك، ويجب أن لا ندَعَ الخوف يتسلّل إلى نفوسنا»[٢].

وقد يكون لبعض ما كان يُشاع عن بغداد، وأنّه قُدِّرَ أن لا يموت فيها خليفة أثرٌ في استطلاع هولاكو رأيي حسام الدين ونصير الدين، وأنّه -أي هولاكو- لن يتمكن من القضاء على الخليفة المقيم في بغداد، ومن ذلك مثلاً ما حَكَمَ به نوبخت المنجِّم ونَظَمَه الشاعر[٣]:

قضى ربُّهـا أن لا يموتَ خليفةٌ بها، إنّه ما شاء في خَلْقِهِ يقضي

حتى عندما قُتِلَ الخليفةُ الأمين فيها، تأوَّلوا ذلك وقالوا: «لم يُقتَل في المدينة، وإنّما كان قد نزل في سفينةٍ إلى دجلة يتنزَّه، فقُبِضَ عليه في وسط دجلة، وقُتِلَ هناك»[٤]؛ أي أنّه قُتِل وهو على (الماء) وليس على (أرض) بغداد. ومعلوم أنّ دجلة يشقُّ وسط بغداد إلى نصفين. بل إنّ الإشاعة القائلة بعدم موت خليفةٍ في بغداد ظلَّت متداوَلةً أيضاً حتى بعد أنْ قُتِلَ المستعصم فيها[٥].

دخول بغداد

لدينا نصّ مهم يقول: إنّ آخر وفد بعث به الخليفة إلى هولاكو للتفاوض معه كان مؤلَّفاً من مستشاره الخاص نجم الدين عبد الغنيّ المعروف بابن الدرنوس، والوزير ابن العلقميّ، ورأس الكنيسة الكاثوليكية مار مكيخا «يطلبون الأمانَ له ولأبنائه وأهله، ويعتذرون له

(١) جامع التواريخ: ٦. والخطا أو الختا هي بلاد الصين الشمالية.

(٢) جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٩٥٧/٢، ٣٦/(٢)٢ (الترجمة العربية).

(٣) كتاب البلدان: ابن الفقيه: ٢٩١؛ تأريخ مدينة السلام: الخطيب البغداديّ: ٣٧٧/١؛ آثار البلاد: زكريا القزوينيّ: ٣١٤. والشاعر هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفيّ.

(٤) تأريخ مدينة السلام: ٣٧٨/١؛ البداية والنهاية: ١٠٥/١٠.

(٥) حيث ذكرها حمد الله المستوفيّ في كتابه (نزهة القلوب): ٣٥، الذي ألَّفه سنة ٧٤٠هـ.

بأنَّ ما جرى إنّما جرى على يد مشيرين أشرار، وأنّهم [أي الخليفة وأفراد أُسرته] إنْ ظلُّوا على قيد الحياة أمسوا عبيداً خاضعين يؤدُّون له الجزية. ولمّا سار هؤلاء [الثلاثة] وأكملوا سفارتهم، ثبَّطهم هولاكو ولم يأذن لهم أن يعودوا إلى الخليفة، وشَدَّد القتال»[١].

في يوم الاثنين ٢٨ من شهر محرم سنة (٦٥٦هـ)، تسلَّق الجُند الزاحفون أسوار بغداد في منطقة برج العجميّ وطهَّروها من الناس، لكنّهم لم يدخلوا المدينة[٢].

في (١ صفر) أرسل هولاكو رسالةً إلى الخليفة بيد نصير الدين الطوسيّ ومعه أمير مغوليّ يُدعى آيتمور، وأرسل ثلاثةً من كبار شخصيات بلاط المستعصم ممّن كانوا قد جاؤوه برسالةٍ من الخليفة يوم ٢٨ محرم وأبقاهم عنده، وهم: فخر الدين الدامغانيّ صاحب ديوان الخليفة، وشرف الدين عبد الله ابن الجوزيّ محتسب بغداد[٣]، وابن الدرنوس مستشار الخليفة الخاص، مع كتاب أمان إلى قائدَيْ الجيش العباسيّ الدويدار الصغير وسليمان شاه[٤]. وإنَّ إرسال هولاكو شخصاً مع نصير الدين برسالته إلى الخليفة دالٌّ على أنّه لم يكن يطمئنُّ تماماً بعدُ إليه.

في اليوم نفسه (١ صفر) أُصيبت عين أحد كبار أمراء هولاكو بسهم جاء من جانب بغداد، فاستشاط غضباً، فأمر بالتعجيل في الاستيلاء على بغداد، ثم طلب إلى نصير الدين الطوسيّ أنّ يعلن على باب الحلبة أماناً للناس، فبدأ الناس بالخروج من المدينة[٥]. ويبدو أنّ هؤلاء قد نجوا من الموت؛ ذلك أنَّ مَن بقي منهم فيها قد ناله القتل أو الموت تحت الأنقاض أو الاحتراق.

في يوم الأحد (٤ صفر) استسلمَ الخليفة إلى هولاكو، فاعتقله مع أنجاله الثلاثة، ثم

---

(١) تأريخ الزمان: ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

(٢) جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٨٩٧/٢، ٢(١)/٢٨٧ (الترجمة العربية). والمقصود بالناس هم المواطنون الذين كانوا يدافعون عن بغداد بما لديهم من أسلحة متواضعة، ينظر: إقبال الأعمال: رضي الدين ابن طاوس: ٩٥/٣.

(٣) عُيِّن محتسباً منذ سنة ٦٤٢ (ينظر: كتاب الحوادث: ٢٣١).

(٤) جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٨٩٨/٢، ٢(١)/٢٨٩(الترجمة العربية).

(٥) جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٨٩٩/٢، ٢(١)/ ٢٨٩(الترجمة العربية).

خَدَعَه فطلب إليه أن يأمر المقاتلين من سكّان المدينة ليتخلّوا عن أسلحتهم ويسلّموا أنفسهم لكي يحصيهم- فبعد انكسار الجيش العباسيّ كانت هناك مقاومة شعبية من المدنيين في بغداد من ذوي النجدة والحميّة- فأذعن الخليفة الساذج لطلب هولاكو، ونفَّذ ما أراد، فبعث مَن ينادي في المدينة بأن يضع الناس أسلحتهم ويخرجوا، واستجاب المقاتلون لنداء خليفتهم، فكان مصير الحشود التي خرجت زمراً هو الذبح على أيدي الجنود المغول[١].

في يوم الأربعاء (٧ صفر) بدأ الجيش المغوليّ تنفيذ عمليات القتل لمواطني بغداد، ونهب الممتلكات والإحراق والتدمير[٢].

في يوم الجمعة (٩ صفر) دخل هولاكو إلى بغداد «ومعه جماعة من أمراء المغول وخواجه نصير الدين الطوسيّ»[٣]، وجلب معه الخليفة بُغية مشاهدة قصره، ودخل إلى أحد قصور الخليفة وهو الدار المثَمَّنة، وطلب إليه أن يقدِّم إليهم هدايا؛ لكونهم ضيوفاً لديه، فقدَّم بين يدي هولاكو أشياء ثمينة من جواهر ونفائس وثياب، فقام هذا بتوزيعها على مَن كان قد قدِمَ معه، ثم طلب إليه أن يُخرِج لهم كنوزه السرِّية، فاعترف الخليفة بوجود حوض مملوء بالذهب الأحمر في ساحة القصر، وحين حفروا اكتشفوا أنه ملآن بسبائك الذهب الأحمر، وكان وزن كلّ سبيكة ١٠٠ مثقال. ثم أحصى هولاكو زوجات الخليفة وسُرِّياته وجواريه...

ثم في مساء ذلك اليوم عاد هولاكو ومن معه إلى معسكره خارج بغداد[٤].

في مساء الأربعاء (١٤ صفر سنة ٦٥٦هـ)، قتل المغول الخليفة ونجله الأكبر.

وفي يوم الجمعة (١٦ صفر) قتلوا نجل الخليفة الأوسط[٥].

---

(١) ينظر تفاصيل ذلك لدى رشيد الدين في (جامع التواريخ) (ط روشن وموسوي): ٢/٩٠٠، ٢(١)/٢٩٠ ـ ٢٩١ (الترجمة العربية)، وقال مؤلّف كتاب (الحوادث) ٣٥٩: إنّ ذلك في اليوم الخامس من شهر صفر.

(٢) جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٢/٩٠٠، ٢(١)/ ٢٩١(الترجمة العربية).

(٣) كتاب الحوادث: ٣٨٢.

(٤) جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٢/٩٠٠ ـ ٩٠١، ٢(١)/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣ (الترجمة العربية).

(٥) جامع التواريخ: ٢/ ٩٠٢ (ط روشن وموسوي)، ٢(١)/ ٢٩٤(الترجمة العربية). وكان للمستعصم

أمّا ابنه الصغير مباركشاه فقد أُهدِيَ إلى أولجاي خاتون (زوجة هولاكو)، فأرسلته إلى مدينة مراغة؛ ليكون مع نصير الدين الطوسيّ، ثم زوَّجوه امرأةً مغوليّةً، فأنجب منها ولدين[١].

قُدِّرَ لنصير الدين الطوسيّ أن يكون شاهداً على تلك الواقعة الدامية، وأرَّخ تأريخ نهاية الدولة العباسيّة بيوم (٤ صفر سنة ٦٥٦هـ)، وهو اليوم الذي استسلم فيه الخليفة المستعصم لهولاكو، فنظمه ببيتين بالفارسية، ونترجمهما شعراً إلى لغتنا العربية[٢]:

عندمـا حلَّ من التأريـخ يومُ الأحدِ الرابعِ من شـهرِ صفرْ
وتصرَّمْن مِنَ الدَّهر المئون الستّ معْ ستٍّ وخمسين سنهْ
ومضى المستعصمُ الهاوي حثيثاً نحو هولاكو على حدِّ الخطرْ
طُوِيَتْ دولةُ حكَّامِ بني العباس في طيِّ سجلِّ الأزمنهْ

وقد دخل نصير الدين الطوسيّ العراق مرةً ثانية سنة (٦٦٢هـ)؛ «لتصفُّح الأحوال والنظر في الوقوف والبحث عن الأجناد والمماليك، ثم انحدر إلى واسط والبصرة، وجمع من العراق كتباً كثيرة لأجل الرصد»[٣]، ثم دخلَه في المدّة التي تلت شهر ربيعٍ الأول سنة (٦٧٢هـ)[٤]، فزار بغداد مع السلطان آباقا بن هولاكو الذي جاء للصيد وغادر بعدها البلاد، فبقي نصير الدين

ثلاثة أبناء: الأكبر أبو العباس أحمد، والأوسط أبو الفضل عبد الرحمن، الأصغر مباركشاه (ينظر: كتاب الحوادث: ٣٥٦ ـ ٣٥٧)، وقد قُتل الأكبر والأوسط، ونجا الأصغر. وكان للمستعصم ابن آخر هو أبو نصر محمّد من إحدى حظاياه واسمها باب بشير، وقد توفي هو وأمه سنة ٦٥٣هـ (كتاب الحوادث: ٣١٩، ٣٢٤).

(١) جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٩٠٢/٢، ٢٩٤/(١)٢ (الترجمة العربية).

(٢) هذان البيتان موجودان في واحدة من مخطوطات الرسالة المنسوبة إلى نصير الدين الطوسيّ الملحقة بآخر كتاب تاريخ جهانكشاي (ينظر: تاريخ جهانكشاي: ٧٨٨/٣، هامش العلّامة قزويني). وقد أوردهما فصيح الخوافيّ (مجمل التواريخ: ٣٢٥/٢) على أنهما لنصير الدين الطوسيّ؛ وذكرهما الآقسرائيّ (مسامرة الأخبار: ٤٩) بلا عزو إلى أحد. البيتان بالفارسية من بحر الرَّمَل وترجمناهما إلى العربية ببحر الرمل أيضاً لكن بمجزوئه.

(٣) كتاب الحوادث: ٣٨٢.

(٤) ذلك أنّه في ربيعٍ الأول من تلك السنة كان ما يزال في مراغة (ينظر: تلخيص مجمع الآداب: ١٧٢/٢، ٨٦/٥).

«ببغداد، وتصفّح الأوقاف، وأَدَرَّ أخباز الفقهاء والمدرسين والصوفية، وأطلقَ المشاهرات[١]، وقرّر القواعد في الوقف، وأصلحها بعد اختلالها»[٢]، والتقى جمعاً من العلماء والمشاهير، وقُدِّرَ له أيضاً أن يموت ببغداد في ١٧ من ذي الحِجَّة سنة ٦٧٢هـ[٣]؛ إذ دُفن في مشهد الإمامين الكاظم والجواد عليهما السلام في المدينة المعروفة اليوم بالكاظمية.

إنّ جميع الوقائع التي شارك فيها نصير الدين من تفاصيل هذا الغزو المغوليّ أو شاهدها بعينيه تجعله مؤهلاً - إنْ شاءَ - لكتابة كلّ ذلك، لكنَّ المسألة هي هل هو الذي كتبَ هذا (الذيل) الملحق بتاريخ جهانگشاي أو لا؟

ذيل تاريخ جهانگشاي للجوينيّ:

المعروف أنّ علاء الدين عطا ملك الجوينيّ(ت ٦٨١هـ) انضمَّ إلى فريق الكتّاب العاملين في بلاط هولاكو منذ سنة (٦٥٤هـ)، ورافقه في غزواته اللّاحقة، ودوَّن بشكلٍ دقيق جميع ما شاهده خلال العمليات الحربية التي خاضها ذلك الغازي المغوليّ في كتابه الذائع الصيت (تاريخ جهانگشاي) الذي ابتدأه بظهور جنكيز خان على مسرح التاريخ وغزوه البلدان الإسلامية وغيرها، وتكلّم فيه على أبناء جنكيز خان وحروبهم، فضلاً عن كلامه على دولتي القراخطائيّين والخوارزمشاهيّين واضمحلالهما، وأخيراً تسنّم منكو قاآن حفيد جنكيز خان العرش وأسندَ إلى شقيقه هولاكو مَهمة غزو قلاع الإسماعيلية في إيران، ومن ثَمَّ الذهاب إلى بغداد مقرّ الخلافة العباسيّة، ومن هناك إلى بلاد الشام ومصر لضمِّ جميع هذه الممالك إلى الإمبراطورية المغولية، وكان آخر ما كتبه الجوينيّ

(١) هي الرواتب الشهرية التي كانت تُدفع للفقهاء والمدرسين والصوفية، فضلًا عن مخصصاتهم من الخُبز.

(٢) كتاب الحوادث: ٤١١.

(٣) نقل الذهبيّ عن المؤرّخ ظهير الدين ابن الكازرونيّ قوله: «مات المخدوم خواجا نصير الدين أبو جعفر الطوسيّ في سابع عشري ذي الحجة، وشيَّعه خلائقُ وصاحبُ الديوان والكبراءُ، ودُفن بمشهد الكاظم. وكان مليح الصورة، جميل الأفعال، مهيباً، عالماً، متقدّماً، سهل الأخلاق، متواضعاً، كريم الطباع، محتملاً» (تاريخ الإسلام: ١١٤/٥٠). قلتُ: إنَّ ما ورد في طبعة تدمري من أنّه مات «في سابع عشري» من سهو قلمه، فالصواب ما ورد في طبعة الدكتور معروف لـ(تاريخ الإسلام: ٢٥٣/١٥) وهو: (سابع عشر). وهذا يخالف ما ذُكِرَ في (كتاب الحوادث: ٤١٦) وما ذَكَرَه البرزاليُّ في (المقتفي: ٣٠٨/١) وفصيحُ الخوافيّ في (مجمل التواريخ: ٣٤٢/٢) من أنّه مات في ١٨ من ذي الحجة.

هو خبر قتل المغول للملك الإسماعيليّ ركن الدين خورشاه في الأول من ربيع الأول سنة (٦٥٥هـ)، ثم توقّف قلمُه البليغ والمقتدر عند ذلك التأريخ. وربّما كان تعيين هولاكو له في شهور سنة (٦٥٧هـ) حاكماً للعراق وخوزستان[١] سبباً في انشغاله عن مواصلة السير بتاريخه إلى التطورات اللّاحقة التي أعقبت ذلك التأريخ (أي ما بعد سنة ٦٥٥هـ).

وُجِدَ في بعض مخطوطات تاريخ جهانگشاي ملحق يمكن أن نعدَّه (ذيلاً) لهذا التاريخ، وقد دأب الباحثون على الإشارة إليه بصفته رسالةً منسوبةً إلى نصير الدين الطوسيّ بسبب ورود اسمه في عنوان هذا الذيل أو الرسالة. ويتضمَّن هذا الذيل كلاماً على الوقائع الخاصة بغزو هولاكو العراق، ويبدأ من الحقبة التي تَلَت توقُّف الجوينيّ عن الكتابة، وهو الزمن الذي عسكر فيه هولاكو بمدينة همذان الإيرانية، ومن هناك أرسل رسالةً إلى الخليفة المستعصم يطلب إليه أن يأتي لمقابلته، وما حدث بعدها من تقدّم القوات المغوليّة وتفاصيل تطورات الموقف الحربيّ الذي انتهى بدخول القوات المغوليّة إلى بغداد، ثم استسلام الخليفة وأنجاله، واستسلام الدويدار الصغير القائد العام للقوات العباسيّة مع القائد العسكريّ سليمان شاه وجلبهما ما بقي من قوات عباسيّة، فقتلهم المغول جميعاً، ثم أمر هولاكو بنهب بغداد، وأمره بعد ذلك بوقف الغارة، إذ أُحضر الخليفة بين يديه مع أنجاله فأمر بقتلهم. وأخيراً أمر هولاكو بتأليف الحكومة التي ستدير شؤون البلاد العراقيّة، ومغادرته العراق وعبوره الحدود العراقيّة إلى داخل إيران.

هذا هو ملخّص الذيل الصغير الحجم الذي يبتدئ بالصورة الآتية: «كيفية واقعة بغداد من نسخة المرحوم أفضل العالَم أستاذ البشر نصير الحق والدين محمّد بن محمّد الطوسيّ رحمه الله».

من الضروري التذكير بأمرين:

الأول: إنَّ الباحث الإيرانيّ العلَّامة محمّد بن عبد الوهاب قزوينيّ قد استند في تحقيقه الجزءين الأول والثاني من كتاب تاريخ جهانگشاي إلى ست مخطوطاتٍ من هذا الكتاب جميعها محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس، واتّخذ إحداهنّ أصلاً، وهي التي كان تاريخ نسخها في الرابع من ذي الحجة سنة (٦٨٩هـ)، أي بعد ٨ سنوات تماماً من

(١) ينظر: تسلية الإخوان: الجوينيّ: الورقة ٨ب.

وفاة الجوينيّ التي حدثت في الرابع من ذي الحجة سنة (٦٨١هـ).

ثانياً: في تحقيقه الجزء الثالث من هذا الكتاب ذكر أنّه استند إلى اثنتي عشرة نسخة، وأنّ من بين الاثنتي عشرة مخطوطة هذه، ثلاثاً فقط ذُيِّلت في آخرها بهذا الذيل[١].

ونذكر هنا أنّ العلّامة محمّد قزوينيّ كان أول مَن اكتشف وجود نسخةٍ أُخرى من هذا (الذيل)، مدرَجة في ثنايا تاريخ ضخم باللغة الفارسية، محفوظ في المكتبة الوطنية بباريس عنوانه (تاريخ نيكپي) (الأوراق ٤٦٠ ب - ٤٦٢ ب)، لمؤلّفه نيكپي بن مسعود ابن محمّد بن مسعود. ولقد أثبتنا في بحثٍ سابق لنا أنّ نيكپي هذا هو نفسه سعيد بن مسعود بن محمّد الكازرونيّ[٢] المتوفى سنة (٧٥٨هـ).

ويبدأ القسم الذي يتناول الحديث عن غزو هولاكو العراق من كتاب نيكپي بالعبارة الآتية: «الوقائع التي جرت للخليفة المستعصم وأتباعه، منقولة من ترجمة جهانگشاي المنقولة من نسخة ملك الحكماء الخواجه نصير الدين محمّد بن محمّد الطوسيّ نُوِّرَ قبرُه الذي قال...»[٣]. وقوله: «من ترجمة» تزيد الأمر غموضاً، فكتاب الجوينيّ هو باللغة الفارسية، وهذا (الذيل) أيضاً باللغة الفارسية، فما معنى قولِهِ «ترجمة»؟

وأشار قزويني إلى وجود قطعٍ متناثرة من (الذيل) في (تاريخ مختصر الدول) لابن العبريّ (ت ٦٨٥هـ).

وبدَوْرِنا اكتشفنا مقاطع مطوّلةً منه في كتاب (جامع التواريخ) لرشيد الدين الهمذانيّ (ت ٧١٨هـ)، مع توسّعٍ يزيدُ كثيراً أحياناً على ما في هذا (الذيل)[٤].

---

(١) ينظر: مقدّمة تحقيق ذيل تاريخ جهانگشاي للجوينيّ: ٢٧٩/٣. وقد راجعنا نحن مثلًا ٦ مخطوطات لهذا الكتاب محفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ بطهران فلم نجد هذا الذيل في أيٍّ منها (ينظر: مخطوطات تاريخ جهانگشاي للجوينيّ، الأرقام ٢٧٦، ٨٩٢، ٥٧٠١، ٩٣١١، ١٤١٨٩، ١٦٤٢٧).

(٢) عن ترجمة سعيد بن مسعود الكازرونيّ، ينظر: كشف الظنون: حاجي خليفة: ١٦٨٨/٢، سلّم الوصول إلى طبقات الفحول: ٢٦٦/٣. ووردت وفاته في المصدرين سنة ٧٥٨هـ. وفي هدية العارفين: إسماعيل باشا: ٣٩١/١، والأعلام: الزركليّ: ١٠١/٣، ذُكر أنّه توفي سنة ٧٨٥هـ، وهو وهْم منهما.

(٣) تاريخ نيكپي: الورقة ٤٦٠ ب.

(٤) توجد هذه المقاطع التي يمكن مقارنتها مع هذا الذيل في (جامع التواريخ) (ط روشن

إذن أصبح لدينا من هذا (الذيل) أربع نسخ:

الأولى: النسخة الملحَقة بكتاب تاريخ جهانگشاي للجوينيّ.

الثانية: النسخة الموسّعة التي اقتبسها رشيد الدين من مصدرٍ ما ووضعها في كتابه (جامع التواريخ).

الثالثة: النسخة التي ضُمِّنت مقاطع منها في (تاريخ مختصر الدول) لابن العبريّ؛ الذي نجد آخر واقعةٍ دوَّنها فيه (في تاريخه) حدثت في ٥ شعبان سنة (٦٨٣هـ).

الرابعة: النسخة التي ضمَّنها الكاتب نيكپي (وهو سعيد بن مسعود المتوفى سنة ٧٥٨هـ) تاريخَه.

لكن المفاجأة كانت في العثور على نسخةٍ من هذا (الذيل) ملحقة بتاريخ جهانگشاي، كُتبت سنة (٦٩٨هـ) _ أي بعد حوالي ١٧ سنة على وفاة الجُوَيْنيّ - محفوظة في المكتبة السليمانية بإستانبول تحت الرقم (٣٥٩)، فبعد انتهاء الناسخ من كتابة التاريخ والذيل، كتَبَ العبارة الآتية: «تمام شُد[1] كتاب تاريخ جهانگشاي جويني بحمد الله تعالى وجُوده، والصلاة على رسوله محمّد وآله الطاهرين الطيبين أجمعين في يوم الأحد الرابع عشر من شهر الله المعظّم شعبان سنة ثمان وتسعين وستمائة».

وهذا يعني أنّ الناسخ يعتقد أنّ التاريخ والذيل يشكّلان مجموعاً تاريخياً واحداً، برغم وضعه اسم نصير الدين الطُّوسِيّ في بداية (الذيل) الذي عنونَه بقوله بما ترجمته: «كيفية واقعة بغداد منقولة من نسخة المرحوم السعيد أفضل العالم فخر الحكماء أستاذ البشر نصير الملة والدين محمّد بن محمّد الطُّوسِيّ...». وهو العنوان الذي دأب ناسخوه على تصديره بها.

مَن هو كاتب هذا الذيل؟

ويتلخّص رأينا بالقول: إنَّ كاتب (الذيل) الملحق بتاريخ جهانگشاي، وابن العبريّ، ورشيد

وموسوي): ٨٨٣/٢ ـ ٩٠٤، وفي ٢٨١/(١)٢ ـ ٢٩٧ (الترجمة العربية).

(١) تَمام شُد تعني: تَمَّ.

الدين جميعاً قد نقلوا من مصدرٍ واحد، مصدرٍ نعتقد بشكلٍ جازمٍ أنّه كان مكتوباً باللغة العربيّة؛ ودليلنا هو اختلاف النصوص الفارسيّة في اختيار المفردات وترتيبها، وهذا ما سنقدِّم إثباتاً عليه من مقارنة مفرداتٍ من مقطعٍ صغيرٍ موجودٍ في (الذيل) الملحق بـ(تاريخ جهانگشاي)، وفي (جامع التواريخ) لرشيد الدين الهمذانيّ فقط.

وسبب إهمالنا النصّ الوارد في (تاريخ مختصر الدول) لابن العبريّ الذي لا شكّ في أنّه ذو علاقةٍ مباشرة بما نحن فيه؛ هو أنّ ابن العبريّ ألَّف كتابه هذا بالسريانيّة، ثم ترجمه إلى العربيّة[١]، وعليه فهو لا يصلح للمقارنة. وكذلك سنهمل النصّ المُضمَّن في تاريخ نيكپي؛ لأنّه صرَّح باقتباسه من تاريخ جهانگشاي.

المقطع الذي اخترناه يتحدّث عن منشور الأمان الذي وزَّعه المغول في أرجاء بغداد حينما كانوا يطوِّقون بغداد بقواتهم من جانبي الكرخ والرصافة، المنشور الذي منحوا بموجبه الأمان لشرائح معينة من المجتمع البغداديّ، وسنضعه بلغته الفارسية التي في الكتابين؛ لكي تتمّ المقارنة بين مفردات النصَّين، ومفرداته واضحة حتى لمَن لا يعرف الفارسيّة[٢]:

ذيل جهانگشاي

«بيست ودوُّم محرم سنة ستٍّ وخمسين وستمايه، شش شبانروز حرب كردند سخت، وپادشاه فرمود كه إين مثال نوشتند كه جماعت سادات[٣] ودانشمندان وإركون ومشايخ وكساني با جنگ نكنند، إيشان را أز ما أمان است. ومِثال بر تير بسته بشهر أنداختند أز شش طرف».

(١) يوحنا ابن العبريّ حياته وشعره: بهنام: ٣٥. وفيه أنّه ذهب إلى تبريز في سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م وفيها «طلبَ إليه فضلاء المسلمين أنْ يترجَم تاريخ الدول الذي ألَّفه بالسريانيّة، ففعلَ وأتى عليه بشهرٍ، فخرج كتابه مختصر الدول».

(٢) النص الأول في آخر كتاب (تاريخ جهانگشاي: ٧٨٧/٣)؛ والنصّ الثاني في (جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٨٩٦/٢ ـ ٨٩٧) ، وفي ٢٨٧/(١)٢ (الترجمة العربية).

(٣) السادات هنا هم أنفسهم العلويون (ذرية رسول الله من عليّ وفاطمة عليهما السلام) المذكورون لدى رشيد الدين.

جامع التواريخ

«سه شنبه بيست ودوم محرَّم به طالع حمل ابتداي حرب كردند وجنگ در پيوستند»، ثمَّ يأتي هنا كلام مقداره نصف صفحة من كتاب جامع التواريخ لا نجده في ذيل جهانگشا، ويأتي المقطع الذي سيشترك مع مثيله وهو: «وشش شبانه روز جنگ سخت كردند، وهولاكو خان فرمود تا شش يَرْلِيغ نوشتند كه قُضات ودانشمندان وشَيْخان وعَلَوِيَّان وإرْكَاوْنان وكساني كه با ما جنگ نكنند، إيشانْ را به جان أز ما أمان است؛ وكاغَذها بر تير بسته أز شش جانب شهر أنداختند».

الواضح هو أنّ المعنى واحد في النصّينِ، لكنّ الاختلاف في عددِ مَن مُنحوا الأمان، فهم لدى رشيد الدين ستة: القضاة، العلماء، الشيوخ، العلويّون، النصارى (أو رجال الدين النصارى)، الذين لا يرفعون بوجوهنا السلاح.

وهم خمسة في (الذيل) مع ترتيبٍ يختلف في التسلسل والألفاظ: جماعة السادات (العلويون)، العلماء، النصارى(أو رجال الدين النصارى)، الشيوخ، الذين لا يرفعون بوجوهنا السلاح.

فلو كان الاثنان نقلا عن مصدرٍ واحد مكتوب باللغة الفارسيّة لما وجدنا هذا الاختلاف في الألفاظ ولا في الترتيب؛ وهذا دالٌّ على أنّ النصّ الذي كان بين يدي المؤلِّفَينِ كان بالعربيّة حصراً، وحين ترجماه اختار كلُّ واحدٍ منهما أن يترجمه بأسلوبه الخاص، وقِسْ على ذلك بقية عبارات النصّ لديهما. وإنّما ارتأينا أن يكون النصّ الأصل المترجَم عنه عربياً؛ لكون مصادر وقائع الغزو المغوليّ قد كُتبت في البلاد الإسلاميّة آنذاك بإحدى اللّغتين العربيّة أو الفارسيّة.

وهناك فروق مُهمّة بين النصّين المكتوبين باللغة الفارسية، وإنَّ مَن يقارنهما سيجد اختلافاتٍ بينهما؛ يمكن أن يكون السبب فيها أنَّ كاتب (الذيل) كان يختصر في النقل، بينما كان رشيد الدين ينقل عن المصدر الذي بين يديه بتوسّع، لكن في المقاطع المتشابهة تماماً - كما رأينا آنفاً - لا يمكن تعليل الاختلاف إلّا بكونهما ينقلان عن مصدرٍ

مكتوب بلغةٍ غير فارسيّة (افترضنا أنّها العربية)، وأنّ كلاً منهما كان يترجمه على هواه.

«نقلتُ من خطِّ مولانا نصير الدين»

هذه العبارة قالها المؤرّخ البغداديّ الشهير ابن الفُوَطِيّ (ت ٧٢٣هـ)[١]، وهو يقتبس نصّاً من الطوسيّ، وهي ليست المرة الوحيدة التي يشير فيها إلى اقتباسه منه، فقد عبّر مرةً أخرى عن ذلك وهو يترجم نقيبَ الريّ بالقول: «نقلتُ من خطِّ مولانا نصير الدين»، وفي ترجمة أحد المشاهير: «ذكره مولانا نصير الدين، ونقلتُ من خطِّه، قال...»، وفي ترجمةٍ أخرى: «ونقلتُ من خطّ مولانا نصير الدين... ما نسبَه إلى قطب الدين المذكور»، وعن أحد الشعراء: «ذكره مولانا نصير الدين في مجموعِهِ وأنشدَ له...»، و«قرأتُ بخطّ مولانا السعيد نصير الدين أبي جعفر الطوسيّ طاب ثراه على كتاب مدارج الكمال إلى معارج الجلال...»، وعن أحد التفاسير: «رأيتُه في خِزانة مولانا نصير»، وأشار مرةً ثانية أيضاً إلى خِزانة كتب نصير الدين هذه[٢].

كلّ هذا يشير إلى علاقةٍ حميمةٍ بين مؤرّخنا ابن الفُوَطِيّ ونصير الدين الطوسيّ؛ إذ كان يسمح له أن ينقِّب في دفاتره الخاصّة المكتوبة بخطّ يده التي منها (مجموع) فيه تراجم بعض المشاهير، بل ويفتِّش في خِزانة كتبه، وينقل منها ما يشاء، ويجد على أغلفة أحد الكتب ما كتبه نصير الدين أيضاً.

لفهم هذه العلاقة بين الرجلين ينبغي لنا التذكير بأنّ ابن الفُوَطِيّ وشقيقه أَسَرَهما المغول خلال هجومهم على بغداد، وبقي في أسرهم ثلاث سنوات، ثم فرَّ منهم سنة (٦٥٩هـ)[٣]، وذهب إلى نصير الدين في مرصد مراغة؛ ليدرس عليه، قال الذهبيّ في ترجمته ابن الفُوَطِيّ: «العالم البارع المتفنّن، المحدّث المفيد، مؤرّخ الآفاق، مفخرة أهل العراق، مولده في المحرم سنة ٦٤٢هـ ببغداد، وأُسر في الوَقعة وهو حَدَثٌ، ثم صار إلى أستاذه ومعلّمه خواجا نصير الطوسيّ في سنة ٦٦٠هـ، فأخذ عنه علوم الأوائل،

(١) وردت العبارة في كتابه (تلخيص مجمع الآداب: ٢٠٨/٥).

(٢) عن النصوص التي نقلناها آنفاً، ينظر: تلخيص مجمع الآداب: ٢٦٦/١، ٦٦/٢، ٣٥٧/٣، ٤٥٢، ٥٣١، ٥٦٥، ٢٢/٤ على التوالي.

(٣) تلخيص مجمع الآداب: ١٣٩/٣.

ومَهَرَ على غيره في الأدب، ومَهَرَ في التاريخ والشعر وأيام الناس، وله النظم والنثر والباع الأطول في ترصيع تراجم الناس، وله ذكاءٌ مفرطٌ وخطٌّ منسوبٌ رشيقٌ وفضائلُ كثيرة، سمع الكثير وعُنِيَ بهذا الشأن، وكَتَبَ وجَمَعَ وأفادَ؛ فلعلَّ أن يُكفَّر به عنه. كتب من التواريخ ما لا يوصف، ومصنّفاته وِقْرُ بعير، خزن كتبَ الرَّصد[١] بضع عشرة سنة، فظفر بكتبٍ نفيسة، وحصل من التواريخ مالا مزيد عليه، ثم سكن بعد مراغة بغدادَ، ووَلِيَ خزنَ كتب المستنصرية، فبقي عليها والياً إلى أن مات[٢]، وليس في البلاد أكثر من كتب هاتين الخِزانتين، وعمل تأريخاً كبيراً لم يبيِّضه، ثم عمل آخرَ دوّنه في خمسين مجلّداً سمَّاه مجمعَ الآداب في معجم الأسماء على معجم الألقاب»[٣]، وكان يختلف إلى سوق الكتب فيها، وانكبَّ على التأليف حتى وفاته فيها[٤]في الثالث من المحرم سنة ٧٢٣، ودُفن بالشونيزية ببغداد[٥]. عُثِرَ على قسمٍ صغير من ملخَّص كتابه (مجمع الآداب) يحمل عنوان (تلخيص مجمع الآداب) الذي حوى معلوماتٍ ذات قيمةٍ علميّة عالية فطُبع.

إذن كان نصيرُ الدين الطوسيّ أستاذَ مؤرّخنا ابن الفُوَطِيّ وراعيه، وهذا هو السبب الذي جعله يطَّلع على أوراق النصير الخاصة والعامة.

ولحسن الحظ فقد عثرنا لدى ابن الفُوَطِيّ على مقطعٍ من نصٍّ خاصٍّ بواقعة بغداد كتَبَه نصير الدين الطوسيّ بصورةٍ لا يرقى إليها الشكّ إطلاقاً. النصّ نقله ابن الفُوَطِيّ (٧٢٣هـ)، وابتدأه بقوله: «نقلتُ من خطِّ مولانا نصير الدين أنّ هولاكو استولى على بغداد...».

سنضع هنا النصّ الخاص باستسلام الخليفة المستعصم وأنجاله إلى هولاكو، الذي بدأه ابن الفُوَطِيّ بقوله: «نقلتُ من خطِّ مولانا...»، وبإزائه ما يقابله من الذيل الملحق بتاريخ

(١) هو المرصد الفلكي الذي بناه نصير الدين الطوسيّ في مراغة بدعم من هولاكو، وكان فيه مكتبة ضخمة اشتملت على أربع مئة ألف مجلد كما يقول ابن حبيب في (درّة الأسلاك: ٢٠٧/١).

(٢) ينظر: تلخيص مجمع الآداب: ١٤٥/٣؛ المنهل الصافي: ابن تغري بردي: ٢٥٦/٧.

(٣) تذكرة الحفّاظ: الذهبيّ: ١٤٩٣/٤، ذيل تأريخ الإسلام: ٢٥٥ ـ ٢٥٨؛ نجد الترجمة نفسها ـ مع تغيير قليل في بعض ألفاظها أحياناً ـ لدى: ابن شاكر الكتبيّ في (فوات الوفيات: ٦٥٩/١)؛ أعيان العصر: الصفديّ: ٦٢/٣؛ الذيل على طبقات الحنابلة: ابن رجب (ط الدكتور العثيمين): ٤٤٩/٤.

(٤) تلخيص مجمع الآداب: ٢٠٨/٥؛ درّة الأسلاك: ٢٠٧/١.

(٥) البداية والنهاية: ١٢٢/١٤. ومقبرة الشونيزية هي مقبرة الشيخ جنيد الحالية.

جهانگشاي الذي عنوانه «كيفية واقعة بغداد» بُغية المقارنة واستخلاص النتائج:

رواية ابن الفُوَطِيّ[١]

«نقلتُ من خطِّ مولانا نصير الدين أنّ هولاكو استولى على بغداد صبيحة الاثنين ثامن عشري[٢] المحرَّم.

وخرج عبد الرحمن ابن الخليفة [الأوسط] يوم الثلاثاء تاسع عشريِّهِ.

وخرج الخليفة يوم الأحد رابع صفر.

وحضرَ هولاكو الدارَ المُثَمَّنَة وأَحْضَرَ الخليفةَ يومَ الخميس ثامن صفر.

وقَتَلُوه بظاهر بغداد ما بين الوقف ليلة الخميس من صفر، وقتل ابنه عبد الرحمن بالقرب منه.

وفي اليوم الثاني قُتِلَ ابنه الأكبر.

وانقرضت الدولة العباسية، وكانت مدَّتها خمس مئة وثلاثاً وعشرين سنة وعشرة أشهر ويوماً واحداً».

رواية كيفية واقعة بغداد

«حميَ وطيس الحرب ليلاً ونهاراً حتى اليوم الثامن والعشرين من المحرَّم، فمع بزوغ شمس ذلك اليوم اعتلى الجنود المغول السور [سور بغداد]...

في الرابع من صفر خرج الخليفة للقاء الملك [هولاكو] مع ابنه وخاصَّته من الأئمة والسادات والمشايخ. فأنزلوهم في باب كلواذى[٣]. ثم أمر هولاكو جنده بنهب المدينة.

وتوجَّه الملك لمشاهدة قصر الخليفة مصطحباً معه جمعاً من رجاله، ثم أمر بإحضار الخليفة وطلب إليه أنّ يقدِّم له ولقادته الهدايا...

---

(١) تلخيص مجمع الآداب: ٢٠٨/٥.

(٢) ثامن عشري تعني الثامن والعشرين.

(٣) باب كلواذى هو ما يُعرف اليوم بمنطقة الباب الشرقي في قلب بغداد.

في الرابع عشر من صفر خرج الملك من باب المدينة وطلب الخليفة فأُحضر هناك، وجلبوا ابنه الأوسط عَقِبَه مع خمسة أو ستة خَدَم. وفي ذلك اليوم وفي تلك القرية قُضيَ عليه مع نجله الأوسط.

وفي اليوم التالي قُتل نجله الأكبر ومَن كان معه في باب كلواذى».

من الواضح أنّ كاتبيْ هذين النصّين هما اثنان وليس الكاتب واحداً، ولا يقولنَّ قائل إنّ النصّ الذي لدى ابن الفُوَطِيّ هو مختصر؛ فهذا اختصار مُخِلٌّ لا يمكن صدوره عن مؤرّخٍ متمرّسٍ كابن الفُوَطِيّ.

واستناداً إلى ما تقدَّم فإنّ (الذيل) الملحق بتاريخ جهانگشا ليس لنصير الدين الطُّوسِيّ، وأنّ الاعتقاد بما اعتقده البروفسور إدوارد براون من أنّه يمكن أن يكون «إضافةَ مؤلِّفٍ متأخِّر»[1]؛ لا يمكن القبول به مع وجود النسخة التي ذكرناها آنفاً من هذا (الذيل)، التي كُتبت في زمنٍ متقدِّم يرجع إلى عهدٍ تلا وفاة مؤلّفه الجُوَيْنيّ بقليل (سنة ٦٩٨هـ)، وينبغي لنا البحث عن مؤلِّف هذا (الذيل).

(١) تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، بارتولد: ١١٢.

المصادر والمراجع

المخطوطة

١. أخلاق ناصري: نصير الدين الطوسيّ، محمّد بن محمّد بن الحسن الإماميّ (ت ٦٧٢هـ)، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ، طهران، تحت الرقم ١٠٢٢٤.

٢. تأريخ: نيكپي (سعيد بن مسعود بن محمّد الكازرونيّ) (ت ٧٥٨هـ)، مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس، تحت الرقم بلوشيه (Blochet)، ١/ ٢٥٣.

٣. تاريخ جهانگشاي: الجُوَيْنيّ، علاء الدين عَطَا مَلِك محمّد بن محمّد (ت ٦٨١هـ)، سِت نسخٍ مخطوطة من هذا الكتاب محفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ في طهران تحت الأرقام ٢٧٦، ٨٩٢، ٥٧٠١، ٩٣١١، ١٤١٨٩، ١٦٤٢٧.

٤. تاريخ رويان: أولياء الله آملي (انتهى من تأليف كتابه سنة ٨٠٥هـ)، مخطوطة مجلس الشورى الإسلاميّ في طهران، تحت الرقم ٤٠٧٥.

٥. تاريخ طبرستان ورويان ومازندران: ظهير الدين المرعشيّ، ابن نصير الدين بن كمال الدين (كان حياً ٨٩٤هـ)، مكتبة مجلس سنا، طهران، تحت الرقم ٥٩٢.

٦. تجزية الأمصار وتزجية الأعصار: وصّاف الحضرة، عبد الله بن فضل الشيرازيّ (ت ٧٣٠هـ)، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ في طهران، تحت الرقم ١١٨ط.

٧. التحفة في نظم أصول الأنساب: الحسنيّ العلويّ، محمّد (من أعلام القرن السابع الهجري)، مخطوط اقتبس منه عباس العزاويّ في (تأريخ العراق بين احتلالين)، مطبعة بغداد، بغداد، ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م.

٨. تسلية الإخوان: الجُوَيْنيّ، علاء الدين عَطَا مَلِك (ت٦٨٣هـ)، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ، تحت الرقم ٧٥٥.

٩. تقويم التواريخ: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب چلبي القسطنطينيّ العُثْمَانيّ(ت ١٠٦٧هـ)، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ، طهران، تحت الرقم ٤٧٧٢.

١٠. درّة الأسلاك في دولة الأتراك: ابن حبيب الحلبيّ، الحسن بن عمر بن الحسن الشَّافِعِيّ (ت ٧٧٩هـ)، مخطوطة مكتبة أَيَا صوفيا، تحت الرقم ٢٣٣.

١١. قواعد ورسم الخط ومصطلحات تركي جغتايي: مجهول، كتيِّب مخطوط ملحق في آخر مخطوطة تاريخ جهانگشاي للجُوَيْنيّ المرقمة ٩٣١١ المؤرّخة في ١٣٢٧هـ، المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ في طهران.

١٢. مجمل التواريخ: كمال الدين المنجِّم، ابن جلال الدين، (دوَّن فيه الوقائع حتى نهاية سنة ١٠٤٨هـ)،

مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ في طهران، تحت الرقم ١٤١٣٥.

١٣. هفت إقليم: أمين أحمد الرازيّ (انتهى من تأليف كتابه سنة ١٠٠٢هـ)، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى في طهران، تحت الرقم ٨٣٣٨.

المطبوعة بالعربية

١٤. ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان: قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ، محمود بن مسعود بن مصلح الشَّافِعِيّ (ت ٧١٠هـ)، ترجمة وتحقيق: يوسف الهادي، مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة، كربلاء، ط١، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

١٥. إعادة كتابة التأريخ، إسقاط الخلافة العباسية أنموذجاً: الهادي، يوسف، دار الوسط، لندن، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، وصدر في طبعة ثانية تحت عنوان إعادة كتابة التأريخ، الغزو المغولي للعراق أنموذجاً عن المجمع العالميّ للتقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران، ٢٠١٢م.

١٦. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: الزِّرِكْلِيّ، خير الدين بن محمود بن مُحَمّد (ت ١٩٧٦م)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.

١٧. أعيان العصر وأعوان النصر: الصفديّ، صلاح الدين خليل بن أيبك الشافعيّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: الدكتور عليّ أبو زيد ورفقائه، دار الفكر المعاصر في بيروت، دار الفكر في دمشق، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٨. إقبال الأعمال: رضيّ الدين ابن طاوس، عليّ بن موسى بن جعفر العلويّ الإماميّ (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيوميّ الأصفهانيّ، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٤هـ.

١٩. البداية والنهاية: ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القُرَشيّ الدِّمَشْقيّ الشَّافِعِيّ (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: عَليّ شيري، دار إحياء التراث العَرَبيّ، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٠. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذَّهَبيّ، شمس الدين مُحَمّد بن أحمد بن عثمان الدِّمَشْقيّ الشَّافِعِيّ (ت ٧٤٨هـ) تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمريّ، دار الكتاب العَرَبيّ، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. واستندنا أيضاً إلى الطبعة التي حقَّقها الدكتور بشَّار عوَّاد معروف وصدرت في بيروت عن دار الغرب الإسلامي سّنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢١. تاريخ الزَّمَان: ابن العِبْرِيّ، جمال الدين غريغوريوس بن أهرون المَلطيّ (ت ٦٨٥هـ)، تَرْجَمَة: الأب إسحاق أرملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٢. التأريخ السياسيّ والفكريّ للمذهب السنيّ في المشرق الإسلاميّ من القرن الخامس الهجريّ حتى سقوط بغداد: بدوي، الدكتور عبد المجيد أبو الفتوح، دار الوفاء بمدينة المنصورة في مصر، الطبعة الثانية،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٣. تأريخ العراق بين احتلالين: العَزَّاويّ، المحامي عباس بن محمّد بن ثامر (ت ١٩٧١م)، مطبعة بغداد، بغداد، ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م.

٢٤. تأريخ علم الفلك في العراق وعلاقاته بالأقطار الإسلامية والعربية في العهود التالية لأيام العباسيّين من سنة ٦٥٦ - ١٣٣٥هـ/١٢٥٨ - ١٩١٧م: المحامي عباس العَزَّاويّ، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

٢٥. تاريخ مختصر الدول: ابن العِبْرِيّ، تحقيق: الأب أنطون صالحاني اليسوعيّ، دار الرائد اللبنانيِّ، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٦. تأريخ مدينة السلام: الخطيب البغداديّ، أحمد بن علي بن ثابت الشافعيّ (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٧. تذكرة الحُفَّاظ: شمس الدين الذهبيّ، تحقيق: عبد الرحمن المعلميّ، حيدر آباد الدكن، ١٩٥٥ - ١٩٥٨م.

٢٨. تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغوليّ: بارتولد، فاسيلي فلاديمير بارتولد (ت ١٩٣٠م)، ترجمة: الدكتور صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٩. تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب: ابن الفُوَطِيّ، عبد الرزاق بن أحمد بن مُحَمّد الشَّيباني الحَنْبَلِيّ (ت ٧٢٣هـ)، تحقيق: مُحَمّد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد، طهران، ١٤١٧هـ.

٣٠. جامع التواريخ، تأريخ المغول، الإيلخانيون، تأريخ أبناء هُولاكُو، تأريخ المغول: الإيلخانيون، تأريخ هُولاكُو (المجلد الثاني - الجزءان الأول والثاني): رشيد الدين الهَمَذَانيّ، تَرْجَمَة: مُحَمّد صادق نشأت ومحمّد موسى هنداويّ والدكتور فؤاد الصيّاد، وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، القاهرة، ١٩٦٠م.

٣١. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: آغا بزرك الطهرانيّ، محسن بن عليّ الإماميّ (ت ١٣٨٩هـ)، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٣٢. ذيل تأريخ الإسلام: الذهبيّ، تحقيق: مازن بن سالم باوزير، دار المغني، الرياض.

٣٣. الذيل على طبقات الحنابلة: ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد الحنبليّ (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان بن العثيمين، مكتبة العبيكان، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

٣٤. سقوط الدولة العَبَّاسِيَّة ودور الشِّيعَة بين الحقيقة والاتهام: الغامِديّ، الدكتور سعد بن مُحَمّد حُذيفة، دار ابن حذيفة، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٣٥. سُلَّم الوصول إلى طبقات الفحول: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب چلبي القسطنطينيّ العُثْمَانيّ (ت ١٠٦٧هـ)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، منظمة المؤتمر الإسلاميّ، إستانبول، ٢٠١٠م.

٣٦. سير أعلام النبلاء: الذَّهَبيّ، تحقيق: مجموعة من المحقّقين، بيروت، ١٤٠١هـ.

٣٧. صحيح البخاريّ: البخاريّ، محمّد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، طبعة بالأوفسيت عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول، ١٤٠١هـ.

٣٨. صحيح مسلم: مسلم النيسابوريّ، مسلم بن الحجّاج بن مسلم القشيريّ (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٣٩. عقد الجمان في تأريخ أهل الزمان: العينيّ، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحنفيّ (ت ٨٥٥هـ) الجزء الخاص بحوادث ٦٤٨ - ٦٦٤هـ، تحقيق: الدكتور محمّد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٤٠. علاء الدين عطا ملك الجوينيّ حاكم العراق بعد انقضاء الخلافة العباسية في بغداد: السعيد جمال الدين، الدكتور محمّد، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٤١. عيون التواريخ: ابن شاكر الكتبيّ، مُحَمّد بن شاكر بن أحمد الدارانيّ الدِّمَشْقيّ الشَّافِعِيّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: الدكتور فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.

٤٢. الفاطميون وتقاليدهم في التعليم: هالم، هاينز، تعريب: سيف الدين قصير، دار المدى، دمشق، ١٩٩٩م.

٤٣. فوات الوفيات: ابن شاكر الكتبيّ، تحقيق: عليّ محمّد بن يعوّض الله وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٤٤. كتاب البلدان: ابن الفقيه، أحمد بن محمّد بن إسحاق الهمذانيّ (كان حياً ٢٩٠هـ)، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٤٥. كتاب الحوادث: مجهول، آخر سنة أُرِّخَت فيها الوقائع كانت ٧٠٠هـ، تحقيق: الدكتور بشّار عوّاد معروف والدكتور عماد عبد السلام رؤوف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٩٧م.

٤٦. كشف الظنون: حاجي خليفة، تحقيق شرف الدين يالتقيا ورفعت بيلكه الكليسي، إستامبول، ١٣٦٠هـ/١٩٤١م.

٤٧. مختصر التاريخ من أول الزَّمَان إلى منتهى دولة بني العباس: ابن الكازَرُونيّ، ظهير الدين عَليّ بن مُحَمّد بن محمود البَغْدَادِيّ الشَّافِعِيّ (ت ٦٩٧هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد، وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٠م.

٤٨. المراصد الفلكية في العالم الإسلاميّ: صابيلي، الدكتور آيدين، ترجمة: الدكتور عبد الله العمر، مراجعة: الدكتور عبد الحميد صبرة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ١٩٩٥م.

٤٩. مسند أحمد: أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن محمّد بن حنبل الشيبانيّ المروزيّ البغداديّ (ت ٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت.

٥٠. معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحَمَويّ الرُّوميّ (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: فرديناند وستنفلد، لايبزك، ١٨٦٩م.

٥١. معجم التاريخ الإسماعيلي: دفتري فرهاد، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٦م.

٥٢. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: ابن واصل، محمّد بن سالم بن واصل المازني التميميّ الحمويّ

الشافعيّ (ت ٦٩٧هـ)، ج٦، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٥٣. المقتفي على كتاب الروضتين: البرزاليّ، علم الدين القاسم بن محمّد بن يوسف الشافعيّ (ت٧٣٩هـ)، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا -بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٥٤. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي: ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الأتابكيّ الحنفيّ (ت ٨٧٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمّد محمّد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٥٥. هدية العارفين، أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين: إسماعيل باشا البابانيّ، ابن محمّد بن أمين البغداديّ (ت١٣٣٩هـ)، إستانبول، ١٩٦٠م.

٥٦. يوحنا ابن العبريّ حياته وشعره: بهنام، المطران غريغوريوس بولس، حلب، ١٩٨٤م.

المطبوعة بالفارسية:

٥٧. تاريخ جَهَانْگشَاي: الجُوَيْنيّ، علاء الدين عَطَا مَلِك بن محمّد بن محمّد (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: شاهْرُخ موسويَّان، استناداً إلى الطبعة التي حقّقها مُحَمّد بن عبد الوهاب قزويني، نشر دستان، طهران، ٢٠٠٦م. كما استندنا أحياناً إلى طبعته الأصل التي طبعها قزويني في ليدن سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م.

٥٨. تجارب السلف: هندوشاه النَّخْجَوَانيّ، ابن سنجر بن عبد الله الصاحبيّ (كان ما يزال يُدَوِّن كتابه هذا سنة ٧٢٤هـ)، تحقيق: عباس إقبال، كتابخانه طهوري، طهران، ١٩٧٩م.

٥٩. جامع التواريخ (تاريخ أقوام پادشاهان ختاي): رشيد الدين الهَمَذَانيّ، فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير بن موفَّق الدولة عالي بن أبي شجاع الشَّافِعِيّ (ت ٧١٨هـ)، تحقيق: محمّد روشن، نشر مؤسسة ميراث مكتوب، طهران، ٢٠٠٦م.

٦٠. جامع التواريخ (تاريخ چين): رشيد الدين الهمذانيّ، تحقيق: الدكتورة وانغ يي دان، مركز نشر دانشگاهي، طهران، ٢٠٠٠م.

٦١. جامع التواريخ (تاريخ المغول): رشيد الدين الهَمَذَانيّ، تحقيق: الدكتور بهمن كريمي، نشر إقبال، طهران، ١٩٨٣م. كما استندنا إلى طبعته التي حقّقها: محمّد روشن ومصطفى موسويّ، مؤسسة نشر ميراث مكتوب، طهران، ٢٠١٦م

٦٢. درّة الأخبار ولمعة الأنوار: ناصر الدين المنشئ الكرمانيّ، ابن عمدة الملك منتجب الدين المنشئ اليزديّ، أهداه إلى الوزير غياث الدين بن رشيد الدين (حكم خلال السنوات ٧٢٥ - ٧٣٦هـ)، شركت سهامي، طهران، ١٩٤٠م.

٦٣. زبدة التواريخ (القسم الخاص بالفاطميّين والنزاريّين): الكاشانيّ، جمال الدين عبد الله بن عليّ بن محمّد (ت ٧٣٦هـ)،تحقيق: محمّد تقي دانش بزوه، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي، طهران، ١٩٨٩م.

٦٤. مجمع الأنساب: الشبانكارئي، محمّد بن علي بن محمّد (انتهى من تأليف كتابه سنة ٧٣٣هـ)، تحقيق: مير هاشم محدِّث، منشورات أمير كبير، طهران، ١٩٨٤م.

٦٥. مجمل التواريخ: فصيحُ الخوافيّ، أحمد بن مُحَمّد بن يحيى الباهِليّ (ت بعد ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمود فَرُّخ، كتاب فروشي باستان، مشهد، ١٩٦١م.

٦٦. مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار: الآقْسَرَائيّ، كريم الدين محمود بن مُحَمّد (توفي في المدة ما بين ٧٢٣ و٧٣٣ هـ)، تحقيق: الدكتور عثمان توران، أنقرة، ١٩٤٣م.

٦٧. ميمون دِز أَلَمُوت: مجيدي، عناية الله، موقوفات دكتور أفشار، طهران، ٢٠٠٤م.

وصف تحليلي لوثائق من الأرشيف العثمانيّ تخصُّ مدينة عقرة في كوردستان العراق

Analytical description of manuscripts from the Ottoman archives belonging to the city of Aqra in Kurdistan Iraq

الأستاذ المساعد الدكتور قصي منصور عبدالكريم

كلية العلوم والتربية الأساسية بعقرة / جامعة دهوك

العراق

Prof. Assit. Dr. Qusay Mansor Abdulkarim

University of Duhok

College of Sciences and Basic Education in Aqrah

Iraq

الملخّص

لا شكَّ في أنَّ الوثائق باختلاف أنواعها وموضوعاتها تُعدُّ أحد أهم مصادر دراسة الموضوعات ما؛ كونها تشتمل على معلومات فريدة قد لا نجدها في مصادر أخرى، وبخاصة عندما تكون تلك الوثائق عبارة عن مخاطبات رسمية توثّق قضايا وأحداثاً مختلفة، وهنا تكمن أهميتها.

يحوي الأرشيف العثمانيّ في إسطنبول مئات الآلاف من المخطوطات والوثائق، وهو جزء من أرشيف الدولة العثمانية على مدى أكثر من أربعة قرون، وقد وفِّق الباحث للحصول على مجموعة من الوثائق التي تعود إلى العصر العثمانيّ الأخير تخصّ مدينة عقرة، القضاء الذي كان يتبع في أثناء العهد العثماني الأخير لواء الموصل، أمّا الآن فإنّه قضاء تابع إدارياً لمحافظة دهوك في كوردستان العراق.

وعمد الباحث في هذا البحث إلى عرض تلك الوثائق وتحليل محتواها، وخرج منها بمجموعة من الحقائق الحضارية لمدينة عقرة؛ منها أنّه كان يقطنها سكّان من مختلف الطوائف كالكلدان المسيحيين، يتعايشون بسلامٍ مع إخوانهم في المدينة من المسلمين وغيرهم من الديانات، كما أفصحت هذه الوثائق عن دقّة التنظيمات الإداريّة في الدولة العثمانية وعائديّة مؤسّساتها وارتباطها، وأيضاً كشفت عن إحصائيّات وبيانات ومعطيات الرسوم والضرائب التي كانت تُدفع من قبل السكّان لتصل إلى خزينة الدولة، وغير ذلك من المعلومات المهمّة عن هذه المدينة التاريخية.

Abstract

No doubt that the documents of different types and subjects is one of the most important sources to study a subject as they include unique information that we may not find in other sources, especially when those documents are official letters documenting different issues and events, and here lies their importance. The Ottoman archive in Istanbul contains hundreds of thousands of manuscripts and document. It is part of the archives of the Ottoman Empire for more than four centuries

The researcher obtained a collection of documents dating back to the last Ottoman era belong to the city of Aqrah, the district which was followed to Mosul during the last Ottoman period, but now it is administratively followed to Dohuk province in Kurdistan Iraq.

Intentionally, the researcher shows these documents and the analysis of their contents to come out of sets of civilizational facts about Aqrah. It was inhabited by people of different denominations of the Christian Chaldeans who coexisted peacefully with their Muslim brothers in the city and other religions. These documents also revealed the accuracy of administrative regulations in the Ottoman Empire and its institutions.

They also revealed the statistics and data of fees and taxes that were paid by the people to reach the state treasury, and other important information about this historic city.

المقدّمة

يحوي الأرشيف العثمانيّ في مبناه الجديد بالعاصمة إسطنبول مئات الآلاف من المخطوطات والوثائق التي تعدّ أرشيف الدولة العثمانية على مدى أكثر من أربعة قرون، وما يهمُّنا من هذا الأرشيف الحصول على نماذج محدّدةٍ من الوثائق التي تعود الى العصر العثمانيّ الأخير تخصُّ مدينة عقرة؛ القضاء الذي كان يتبع خلال العهد العثمانيّ الاخير لواء الموصل، أمّا الآن فإنّه قضاءٌ تابع إدارياً لمحافظة دهوك في كوردستان العراق.

وفي زيارةٍ شخصية إلى مبنى الأرشيف العثمانيّ بإسطنبول تمكّن الباحثُ من الحصولِ على عددٍ من الوثائق التي سيتمُّ عرضها وتحليلها بشكلٍ عام.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في أنّه يعرّج على طبيعة الوثائق المحفوظة في الأرشيف العثمانيّ؛ والتي تهمُّ جميع مدن العراق التاريخية بشكلٍ عام خلال العهد العثمانيّ الأخير، ومدينة عقرة التاريخية والتراثية بشكلٍ خاص، وإجمالاً فإنَّ الباحث في محتوى الوثائق يجدُ تشابهاً كبيراً في لغة الخطِّ المستخدم في كتابة مخطوطات العهد العثمانيّ ونوعه، إضافةً إلى تكرار بعض الجوانب والمواضيع التي تتناولها المخطوطات، وعلى هذا الأساس فإنّ الراغب في دراسة تاريخ مدينةٍ تاريخية من مدن العراق خلال العهد العثمانيّ وتحليله سوف يجد تجربةً سابقة من خلال اطّلاعه على موضوع الوصف التحليلي لمخطوطاتٍ من الأرشيف العثمانيّ لمدينة عقرة خلال العهد العثمانيّ الأخير.

عناصر الموضوع:

سيتمُّ التطرُّق إلى جملةٍ من العناصر والأسس المتَّبعة في تحليل المخطوطات ووصفها، وقبل ذلك سنقدِّم دراسةً شاملةً عن موقع مدينة عقرة ومكانتها، ثم ستتناول الدراسة شرحاً وافياً لنماذج من المخطوطات، وطبيعة الحصول على الوثائق والتعامل مع الإدارة الخاصة بالأرشيف العثمانيّ بإسطنبول، لغرض إتاحة الفرصة للمهتمين بالحصول على مخطوطاتٍ لمدنٍ ومواضيعَ أخرى يمكن أنْ تسهم في رفد التاريخ الحضاريّ لمدننا

الشامخة خلال مدّةٍ زمنيةٍ محدّدةٍ، وهي مدّة العهد العثمانيّ الأخير؛ لذا ستكون ورقتنا -فضلاً عن المقدمة- بالشكل الآتي:

- تمهيد جغرافيّ وتاريخيّ عن مدينة عقرة.
- عرض خمسة نماذج من الوثائق التي تُدرس لأول مرة.
- الخاتمة.

المبحث الأول
تمهيد جغرافي وتاريخي عن مدينة عقرة

قضاء عقرة بما فيه من أماكن ومواقع سياحية تقع في الحدود الإدارية للمدينة؛ التي تضمُّ مواقع أثريةً ودينيةً وترفيهيةً داخل المدينة (القلعة) وخارج مركز المدينة والضواحي القريبة في ضمن حدود محافظة دهوك في كوردستان العراق(انظر الخارطة رقم ١).

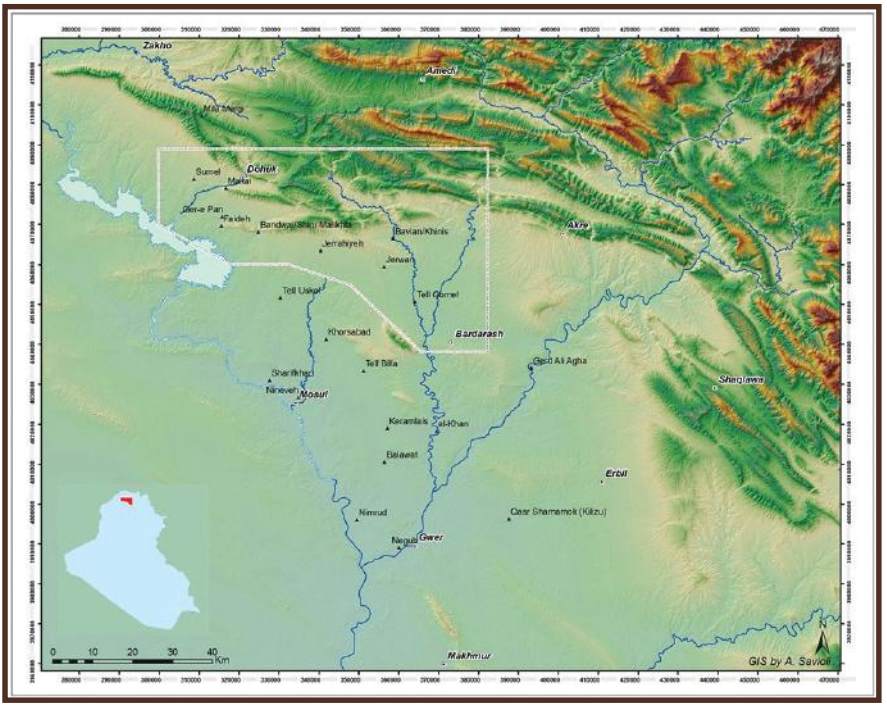

خارطة رقم (١) طوبوغرافية موقع مدينة عقرة والمنطقة الواسعة المحيطة بها.[1]

(1) Upper Greater Zab Archaeological Reconnaissance Project Season 2013 = (UGZAR)

١. تاريخ مدينة عقرة العتيق:

من المعروف لدى المختصِّين في الدراسات الاركيولوجية والانثروبولوجية أنّ مدينة عقرة تتمتع بتاريخٍ مُوغل في القدم يتجاوز العصور التاريخية، وربّما إلى العصر الطباشيريّ؛ إذ تشير أدلة المستحثات والمتحجرات الحيوانية المكتَشَفة في مدينة عقرة - ومنها أصداف متكلّسة لحيواناتٍ مائية بأشكال هندسيةٍ جميلة[١] (انظر شكل رقم ١)- إلى أنّ هذه المكتشَفات المتحجِّرة تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وهذا يؤكد أنّ مدينة عقرة كانت من بين المناطق التي غمرتها مياه البحر الكبير المسمّى بحر (تيثيس) منذ أكثر من أربعمائة مليون سنةٍ مضت، بل تشير المصادر ذاتها إلى أنّ أول المناطق التي ظهرت للوجود بعد عملية الغمر هي مرتفعات مدينة عقرة.[٢]

شكل رقم (١) بعض المتحجّرات لقواقع وأصداف وحيوانات بحرية مختلفة اكتُشفت في مدينة عقرة[٣].

(١) عاشت وهلكت ثم صارت نفطاً، شفيق مهدي: ١٨.

(٢) دليل ئاكري السياحيّ: فائق أبو زيد سليم ئاكره يى: ١٠.

(٣) نقلًا عن:
دليل ئاكرى السياحيّ: فائق أبو زيد سليم ئاكره يى: ١١.

وقد أثبتت المسوحات الحديثة ومنها مشروع المسح المسمى (UGZAR)؛ الذي قامت به مجموعة من الخبراء من معاهد ومؤسسات دراسية وبحثية لجامعاتٍ متعدّدة من دولة (بولونيا) بقيادة البروفيسور(رافال كولينسكي) (Rafał Koliński)[١] أنّ مدينة عقرة وضواحيها تعجُّ بمئات المواقع الأثرية التي سكنها الإنسان القديم أو استعملها في مواسم معينة. بيد أنّ التاريخ الحقيقيّ الذي يمكن الحديث عنه باعتبار مدينة عقرة آهلةً بالسكان وتمتُّعها بطبيعةٍ سياحية خلّابة يعود إلى زمن العصور الآشورية الأولى من تاريخ بلاد الرافدين، مع بداية الألف الثالث والثاني قبل الميلاد، ثمّ بمرور المدينة بحُقب تاريخ العصور الكلاسيكية وتاريخ ما قبل الإسلام ومدّة الإمارات الكوردية خلال التاريخ الإسلاميّ لتصل دورة الحياة التاريخية في مدينة عقرة إلى زمن التاريخ الحديث والمعاصر، باعتبارها واحدةً من بين أهم مدن إقليم كوردستان العراق الأثرية والتاريخية.

٢. التضاريس الطبيعية:

لقد حظيت مدينة عقرة بتضاريس متنوّعة مع انبساط سهولها وخصوبة أوديتها، إضافةً إلى سلاسل المرتفعات الجبلية، بل إنّ مدينة عقرة تتميز بارتفاع أبنية بيوتها الشاهقة في شكل قلعةٍ حصينة طبيعية، وصفها المؤرّخون وكأنّها (مدرج روماني)[٢]؛ بسبب تكوّنها من عدّة طبقاتٍ بعضها فوق بعض (انظر صورة رقم١)

(١) تعدّ أعمال المسح الأثريّ الذي اعتمدنا عليه في دراستنا هذه للموسم الثاني في ضمن مشروع UGZAR؛ والذي يُعنى بـ (تاريخ كردستان العراق)، وقد بدأ المشروع في ٢٣ سبتمبر من عام ٢٠١٣م، وركّز البرنامج في مجاله العام على الجزء الغربي من المنطقة الأولى، التي شملتها الدراسة منذ عام ٢٠١٢م من قبل الفريق الإقليميّ لنينوى من جامعة أوديني، إيطاليا. والمشروع الحالي يخصُّ مسح مناطق في ضمن حدود مدينة عقرة ومناطق على طول جبال عقرة وحدّها الغربيّ، من خلال فريقٍ ميدانيّ بقيادة البروفيسور رافال كولينسكي(معهد عصور ما قبل التاريخ، جامعة آدم ميكيفيتش) Institute of Prehistory- Adam Mickiewicz University وللمزيد من المعلومات حول نتائج المسح يمكن مراجعة التقرير المنشور في الموقع الرسميّ الآتي:
http://archeo.amu.edu.pl/ugzar/indexen.htm

(٢) العراق قديماً وحديثاً: السيّد عبدالرزاق الحسنيّ: ٢٦٤.

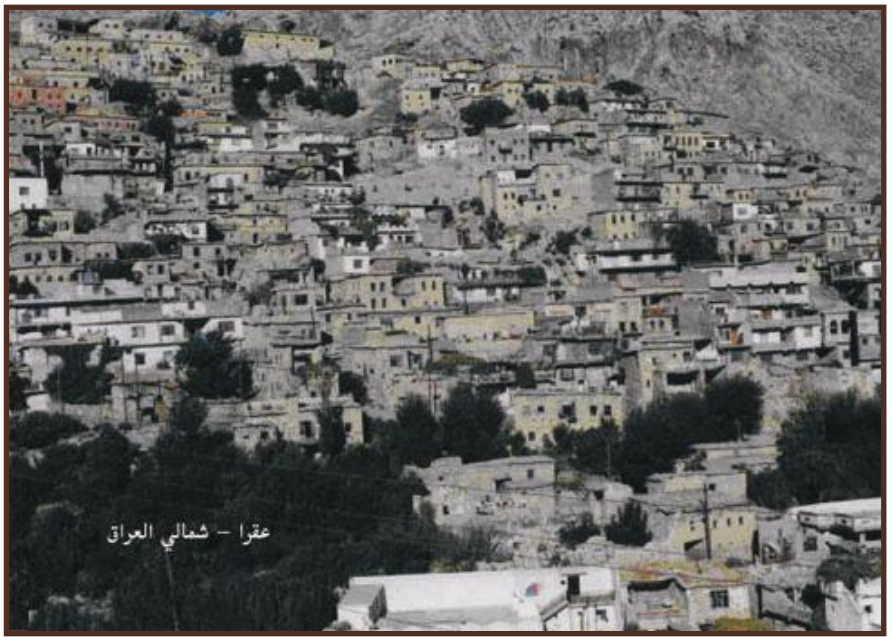

صورة (رقم ١) منظر عام للبيوت المتراكمة فوق بعضها البعض في قلعة عقرة

كما أنَّ تدرّج ارتفاع السلاسل الجبلية التي بُنيت على قممها وسفوحها في أغلب الأحياء القديمة والحديثة تعطي لوحةً فنية متجانسة في أغلب فصول السنة بألوانٍ زاهية، لاسيّما وأنّ بساتينها تجود بأصناف الفواكه والخضروات وأنواع الحبوب. ومن أشهر المرتفعات الجبلية التي من خلال أسمائها باللغة الكوردية نعرف أنّها مرتفعات جبلية- إذ إنّ كلمة (الراس) أو (القمة) هو المقطع الأول لأغلب أسماء هذه المرتفعات- مثل جبل عقرة (سه رى ئاكره ى)، جبل بيرس(سه رى بيه رس)، جبل سادا (سه رى سادا)، جبل زنديك (سه رى زه نديک)، جبل شوش (سه رى شوش)، جبل القلعة (سه رى گـه لى) ... إلخ من المرتفعات الجبلية المتعدّدة.

٣. مدينة عقرة في المصادر التاريخية:

لقد تناولت المصادر الأصلية ذكر أهم قلاع عقرة وحصونها باعتبارها واحدةً من أهم بلدان العالم الإسلاميّ؛ إذ ذكر صاحب معجم البلدان كلًّا من قلعة عقرة وحصن

الشوشعلى، باعتبار أنّ في عقرة قلعةً حصينةً تقع في جبال الموصل الشرقية، ولأنّها كانت مركزاً للأكراد الحميدية، نُسبت إليهم وسُمّيت (عقر الحميدية)، ويتبعها حصن يُدعى (الشوش)؛ وهو قلعة عظيمة أيضاً[١]. وذكرت المصادر ذاتها أنّ ما يحيط بكلٍّ من هاتين القلعتين من أراضٍ وأعمال زراعية غزيرة الإنتاج، يكفي لأن يُجبى منها سنوياً شتّى أنواع الحبوب كالرز، إضافةً إلى القصب والأخشاب، كما تنتشر في أنحائها قرى مثل (الغيضة)، (وجوجر) التي ينسب إليها الرز الفاخر، و(خلبتا) القريبة من الشوش، المعروفة بمناخها المعتدل وخصوبة تربتها ووفرة مياهها وكثرة البساتين فيها.[٢]

أ. أهمية مدينة عقرة عند الآشوريين وأصل تسميتها:

إنّ التاريخ الحقيقيّ الذي يمكن الحديث عنه باعتبار مدينة عقرة آهلةً بالسكان يعود إلى حقب العصور الآشورية الأولى من تاريخ بلاد الرافدين، مع بداية الألف الثالث والثاني قبل الميلاد، وقد اجتذبت منطقة عقرة نظرَ ملوك بلاد الرافدين وحكّامها القدماء؛ نظراً لما تتمتّع به من غنى في الموقع الجغرافيّ، وأهميتها كونها ترقد على خزينٍ من الثروات الطبيعية ومصادر المياه العذبة والأخشاب والأشجار حتى بعض المعادن، والمروج التي تحوي كلّ أصناف المحاصيل الزراعية والثمار والفاكهة والغلّة، فضلاً عن أهمية موقعها الاستراتيجيّ؛ الذي عُدَّ معبراً شمالياً لانطلاق حملات بعض الملوك الآشوريين باتجاهين؛ شماليّ شرقيّ إلى مناطق السوبارتيين واللولو وغيرهم، أو باتجاه شماليّ غربيّ نحو الأورارتيين والحثيين والآراميين؛ لذا نجدهم أولَوها من العناية الكبيرة ما نلمسه في نصوصهم المسمارية ذات العلاقة بمنطقة عقرة.[٣]

وبقدر تعلّق الأمر بموضوع دراستي، فإنني أجد أنّ عدداً لا بأس به من المواقع العائدة لمنطقة عقرة قد جاء ذكرها في المصادر المسمارية، ومن أهمها مركز المدينة القديمة عقرة نفسها التي ورد اسمها في النصوص المسمارية بصيغة (كرُبائيل Kurba'il)

(١) ينظر: معجم البلدان: ياقوت الحمويّ: ٣٣٤/٣، ٦٩٦.

(٢) ينظر: معجم البلدان: ٢/ ١٤٣.

(٣) ينظر: بعض المواقع الجغرافية لمنطقة عقرة ومحيطها في ضوء المصادر المسمارية بالعصور الآشورية: عامر الجميليّ: ١.

باعتبارها عاصمةَ مقاطعة تعود إلى العصر الآشوريّ الوسيط، وقد أصبحت مركز محافظة خلال العصر الآشـوريّ الحديث الذي ذُكرت مراراً في نصوصه، ومن بينها النصوص المُكتشَفة في مدينة كلخو (نمرود) وغيرها.[١] وتشير المصادر الكتابية المختصة إلى أنّ كُربائيل كانت تقع على الطريق الشماليّ الشرقيّ عبر نهل الكومل، والمعروف أنّ هذا النهر اليوم يمرّ قريباً من مدينة عقرة[٢].

وتخبرنا نصوص العصر الآشوريّ الحديث أنّ كُربائيل كانت مدينة الإله أدد (إله المناخ والطقس والرعد) في اعتقاد العراقيين القدماء، الذي كرّس له الملك شلمنصر الثالث تمثاله المكتشَف في نمرود، وقد نقش على هذا التمثال نصّاً آشورياً موجّهاً إلى أدد كُربائيل[٣].

ويفصِّل المختصّون بتحديد المواقع الجغرافية القديمة وأسمائها صيغة مدينة (كُربائيل Kurba'il) في اللغة الأكدية على النحو الآتي: قربان الإله، أو صلاة الإله، وهي مشتقة من لفظين: الأول من المصدر الأول كرابو Karabu: (يمجد، يبارك، يكرس، يقدّم قرباناً، يصون، يحفظ الإله) و: إيل il: (إله)[٤].

في حين يعني أصل تسميتها الحالية (عقرة)- فهي صيغة آرامية سريانية- أصل كلّ شيء، أصل النبات (الجذر)، لحف الجبل (أسفله)، عقاراً يرتفع عن الأرض، ذراعاً يشبه الباقلاء زهره أحمر، ينسبون إليه خواصَّ عجيبةً طيّبة وسحرية، معدن الذهب والملح ونحوهما[٥].

(١) ينظر: بعض المواقع الجغرافية لمنطقة عقرة ومحيطها في ضوء المصادر المسمارية بالعصور الآشورية: ٢.

(٢) ينظر: مدن قديمة ومواقع أثرية- دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي: حنون نائل: ١٩٩- ٢٠١.

(٣) ينظر: مدن قديمة ومواقع أثرية- دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي: ٢٠١.

(٤) ينظر: بعض المواقع الجغرافية لمنطقة عقرة ومحيطها في ضوء المصادر المسمارية بالعصور الآشورية: ٣.

(٥) ينظر: قاموس كلدانيّ- عربيّ: أوجين منّا: ٤٧٥. ينظر كذلك: روض العلم- معجم عربيّ- سريانيّ: بنيامين حداد: ٢/ ٧٣١. نقلاً عن: بعض المواقع الجغرافية لمنطقة عقرة ومحيطها: ٣.

ب. أهم المعالم التاريخية في مدينة عقرة:

تعدّ أبنية قلعة عقرة وسطحها مقصداً سياحياً، إذ يشكّل منظراً غايةً في الجمال؛ فيجد الزائر متعةً في مشاهدة مدرجات أبنية المنازل الجميلة المعلّقة التي تبدو في المساء للناظرين لها وكأنّها نجومٌ متلألئة في السماء. وأذكر في هذا الصدد ما قاله وزير البلديات والسياحة السابق عندما وصف مدينة عقرة بموقعها هذا بقوله: «صورة ئاكري عالقة في ذاكرتي كمدينةٍ معلّقة من السماء بفنِّها المعماريّ وبيوتها المبنية فوق بعض كعنقود عنب»[١]، وتضيف البساتين الوفيرة بالخيرات ومن خلالها عيون الماء والينابيع والشلالات، فضلاً عن بعض المزارات الدينية والمساجد العريقة والكنائس القديمة، أهميةً تاريخيةً ومقصداً سياحياً جذّاباً، بخاصةٍ مع وجود منتزهاتٍ حديثة ذات خدمات سياحة متميزة؛ من إيواءٍ ومطاعم ومقاهي وغيرها من الأماكن المطلّة على مناظر جميلةٍ وفريدة لمدينة عقرة.

ويوجد في مدينة عقرة عددٌ من الأودية الخضراء ذات الطبيعة الساحرة؛ ومن أشهرها (وادي شيخ عبدالعزيز، وادي زنطة، وادي نهلة، وادي سيل «گـه لى سيلى»، وادي زيبار... إلخ). أمّا أهم معلَمٍ تاريخي في عقرة فهو: (قلعة عقرة).

قلعة عقرة:

تحتل قلعة عقرة مساحةً واسعةً من قمة جبل عقرة، وقد نقرت أجزاء منها في الجبل نفسه على هيأة حجراتٍ وممرات وسلالم، تعود إلى عهودٍ قديمة، و تضمّ منشآت كثيرةً تتضمّن قاعات منقورةً في الصخر وحفراً وأحواضاً، وقد ذكر المختصّون أنّ هذه الأجزاء كانت تمثل تجمّعاً ديرياً يعقوبياً؛ بدليل وجود بقايا نحت على بابها يمثّل أفعى تعضُّ ذيلها، وهو شعار اليعاقبة، وهذا النحت وُجد ما يشبهه على جدران أديرةٍ أخرى، هذا فضلاً عن شعاراتٍ ودلائل أخرى.[٢]

لقد تعدّدت المصادر الإسلامية التي تصف قلعة عقرة بشكلٍ واضح وصريح، وقد أبدع

(١) دليل ئاكري السياحي: ٥.

(٢) ينظر: تاريخ الأديرة في منطقة العمادية وعقرة ودهوك: بروين بدري توفيق: ١٢٧.

بخاصة أستاذنا المؤرّخ المعروف عماد عبدالسلام رؤوف (أطال الله عمره) بجمع ما ذكرته تلك المصادر والتعليق عليها؛ إذ ذكر أنّ قلعة عقرة ذُكرت في كتابات (الباليسانيّ)[١] عندما وصفها في رحلاته المشهورة، وقال: « إنّ قلعتها تعدّ من القلاع المشهورة التابعة لولاية العمادية»، وكانت قلعة عقرة الرابضة في قمة جبلها المطل على البلدة في عهد الباليسانيّ مقرَّ حكم أميرها البهدينانيّ، ورمز سلطته، وقد وصف الباليسانيّ مشقّة الصعود إلى هذه القلعة وهو الذي بلغ عمره آنذاك خمساً وأربعين سنة، وكان يتقدّمه في ذلك الصعود المتعب (ملّا طه) خطيب جامع عقرة قائلاً: «فصعدنا تكلّفاً لأنّ الطريق إليه نحو ميل، فمشى هو بنا [و] ربّما في بعض المواضع أضع يدي على الحجارة الكائنة في جانب الطريق خوفاً من الوقوع والسقوط إلى وراء، وهكذا نمشي حصة ونجلس حصة إلى أن قربنا من باب القلعة». وما زال جانب كبير من هذا الطريق قائماً حتى الآن، وهو قد نُقر في الجبل على هيأة السُلَّم، بيد أنّه يخلو في الأصل من سياجٍ يمنع الصاعد من السقوط إلى الوادي إذا ما اختلّ توازنه، على ما أثار خوف الباليسانيّ كما رأينا. وحينما بلغ الباليسانيّ بابها وقف يتأمّل مشهد البلدة في أسفل القلعة، فهاله ارتفاع هذه القلعة وإشرافها على ما حولها فقال: «ونحن جلسنا عند باب القلعة ننظر إلى البلد كأنه ما هو البلد الذي جئنا منه؛ لعلوِّ القلعة نراه بعيداً، فسبحان الخالق المصوّر، لا إله إلّا الله!!».[٢]

(١) وهو الرحّالة طه بن يحيى ابن الأمير سليمان الباليسانيّ الخوشناويّ، الذي زار عقرة وأقام فيها مرتين؛ الأولى في حدود سنة ١١٨٨هـ/١٧٧٤م، والثانية في حدود سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٦م، ينظر: عقرة في رحلة الباليسانيّ الكرديّ: عماد عبد السلام رؤوف: ١.

(٢) عقرة في رحلة الباليسانيّ الكرديّ: ٣.

المبحث الثاني
وثائق من العهد العثمانيّ الأخير عن مدينة عقرة في الأرشيف العثمانيّ

تتناول هذه الدراسة عرض قراءةٍ أوّلية وتحقيقاً لعددٍ من الوثائق المحفوظة في الأرشيف العثمانيّ بإسطنبول؛ التي تعود إلى العهد العثمانيّ الأخير لمدينة (عقرة) شمالي ولاية الموصل العائدة للدولة العثمانيّة آنذاك.

وما سرّني في تجربة البحث عن وثائق في مبنى الأرشيف العثمانيّ الرئيسي ذلك التعاون الأخوي والتواضع المفرط من مدير الأرشيف السيّد (صباح الدين بايرام) ومساعديه، فقد غمروني بحفاوة الاستقبال وفتحوا لي الأبواب من أجل البحث والتقصّي مذلّلين كلّ الصعاب، ولا أدلّ على ذلك ما أرسل مدير الأرشيف نفسه عبر الإيميل بعد مغادرتي إياهم معرباً عن أمله في التعاون واستعداده للمساعدة من جديد، واسمحوا لي أن أدوّن ما وصلني منه بالحرف الواحد دون تغييرٍ، مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ السيّد (صباح الدين بايرام) لا يجيد اللغة العربية إجادةً تامّة:

«إلى الدكتور قصي التركيّ المحترم:

أولاً أشكر لك لكلماتك في رسالتك فى الئيميل خطاباً لي ولزميلي دورموش. أنا مسرور جداً بتعارفنا في الأرشيف العثمانيّ بإسطنبول.

أرجو منك أن تعرف أن لك أخ في تركيا، و في إمكانك أن تتصل بنا دائماً متى ما تحتاج إلينا. سألت الأستاذ دورمش (مساعد المدير) عن المشروع و هو حضّر بعض النماذج وأرسل لك إن شا اللّه. أتمنى أن تكون جيّدةً للمشروع. أخيراً سأكون أيضاً سعيد بمقابلتك في جامعتكم بدهوك. مع تحياتي».

وعليه من الممكن إدراج نماذج من الوثائق التي حصلت عليها بالصورة والإيجاز لفحواها، مع التعريج قليلاً على محتوى الوثائق:

الوثيقة المرقم (I.MVL.00453):

تاريخ الوثيقة يعود إلى (سنة ١٢٢٥هـ).

تخصّ الوثيقة بدل رسمٍ سنويّ لضريبة عشر من الغنم، وقد كُتبت من قبل السيّد (عبدالفتاح أفندي) من الباب العالي، وقد وجّه كتابه إلى متصرّفي مناطق مثل منطقة بردرش وغيرها من القرى، يذكر في الوثيقة أنّ المبلغ المكتوب الذي من المفترض أنْ يصلَ إلى الخزينة هو (٢٩) ألف قرشٍ، بينما تبيّن أنّ المبلغ فيه نقص مقداره (٢٩١٥) قرشاً، وذكر الموظف أنّه كان من المفترض أن يصل المبلغ كاملاً إلى الخزينة دون نقص.

الوثيقة المرقمة (I.DH.00440):

تاريخ الوثيقة يشير إلى (عام ١٢٣٦هـ).

والوثيقة تخصّ تقريراً عن دفع رسوم الأغنام من قبل دائرة المالية في قضاء عقرة والزيبار بمبلغٍ قدره (٢٤) ألف قرشٍ، وفي الوثيقة مغروض (هامش) يشير إلى أنّه يجب استرجاع المبلغ وإيداعه في خزينة مالية الدولة.

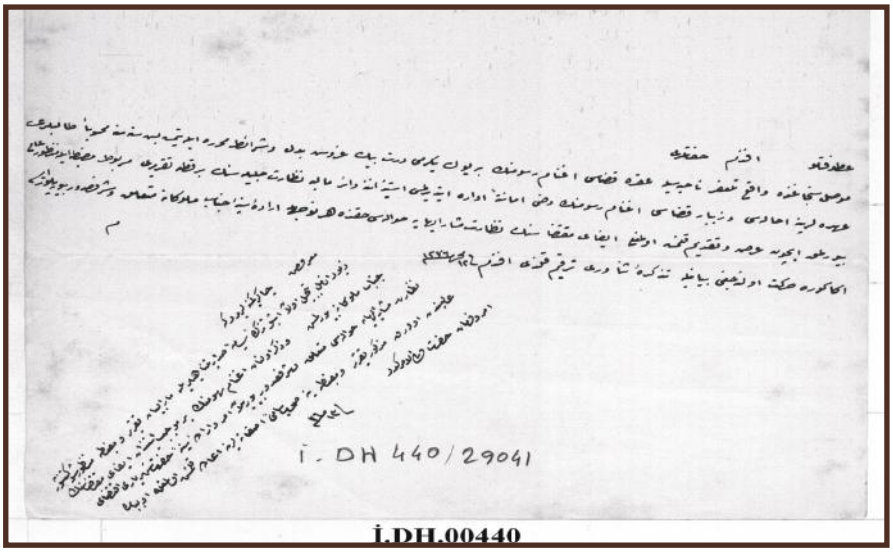

İ.DH.00440

الوثيقة المرقمة (EV.d 13544)

يرجع تاريخ الوثيقة إلى (٤ ذي القعدة من عام ١٢٧٧هـ)، الوثيقة مرسلة من مدينة عقرة في ولاية الموصل آنذاك إلى والي بغداد (نامق باشا)؛ تتعلّق بالحسابات الخاصّة بدفاتر الخزينة ومضابطها عن وصولاتٍ وسندات مالية مرسلة إلى خزينة الدولة، وفيها جردٌ لمصاريف تخصُّ مدينة عقرة، مع بعض الأمور المالية التي دُفعت إلى الخزينة.

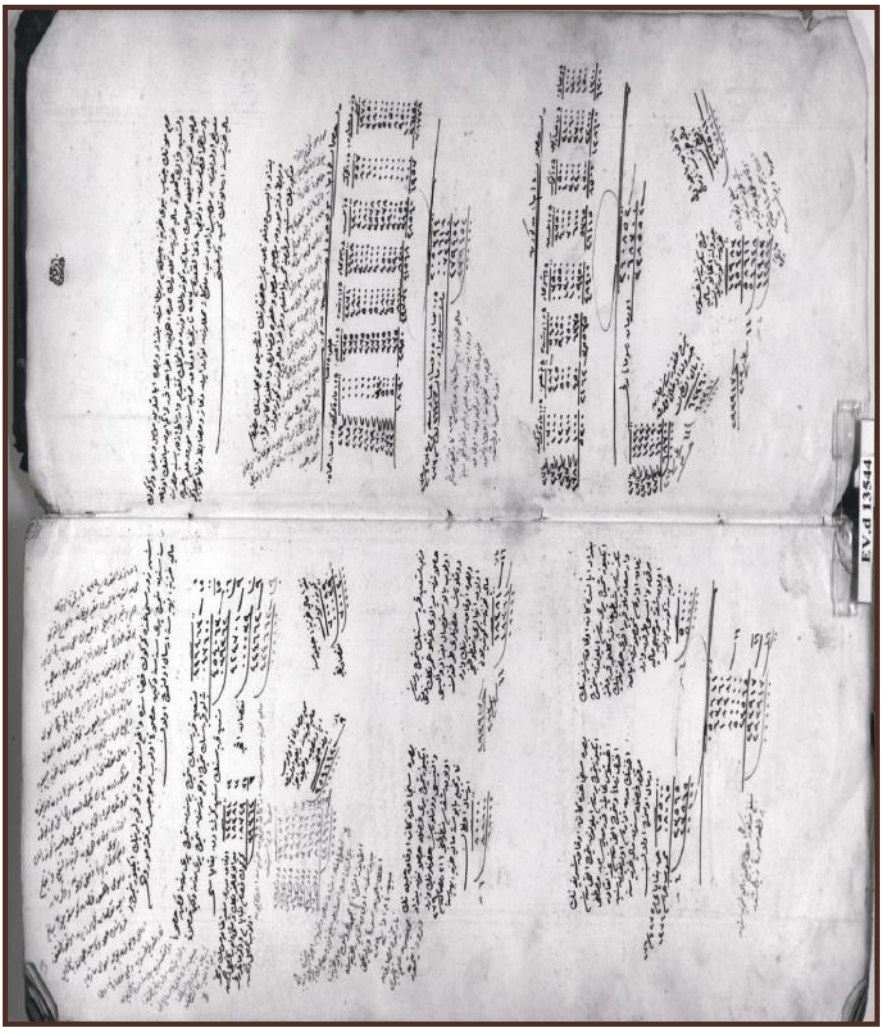

الوثيقة المرقمة (IMMS. 00067):

كُتبت الوثيقة من قبل مجلس الأعيان في مدينة عقرة إلى مركز الولاية في (٢٦ رجب ١٢٩٤هـ).

موضوع الوثيقة يتعلّق ببنايةٍ حكومية في مدينة عقرة التابعة لولاية الموصل، ومن خلال دراسة الوثيقة تبيّن أنّ هناك تأخيراً في العمل بالبناية، ونتيجةً لذلك كُلّف قائمقام مدينة زاخو السابق (عثمان بن مظهر أفندي) بالتحقيق في أسباب التأخير في إنجاز البناية، وكُلّف السيّد القائمقام بتحديد المبلغ المطلوب لإكمال البناية؛ إذ حدّد مبلغاً قدره (٢٠) ألف قرشٍ دُفع من قبل خزينة الدولة وليس من أموال تبرعات المواطنين، وبعد التأخّر في العمل لأسبابٍ معيّنة فقد بقي من المبلغ الكلي (٨٥٢٩) قرشاً فقط. وقد ذُيّلت الوثيقة بأختام أعضاء مجلس الشورى.

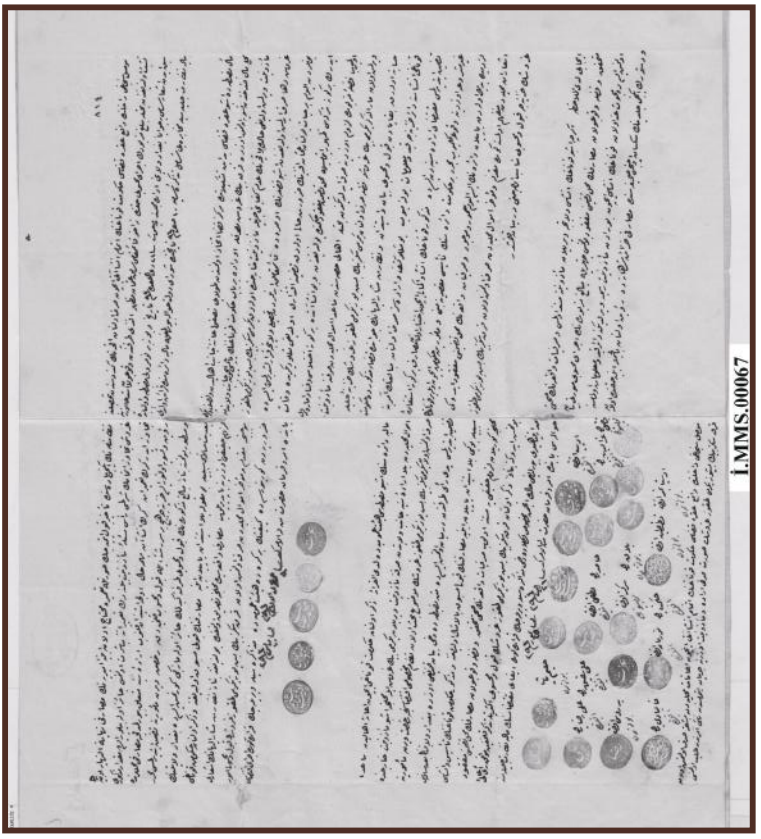

الوثيقة رقم (I.DH.01305):

مؤرّخة في خاتمتها بتاريخ (سنة ١٣٠٦هـ).

موضوع الوثيقة من سجلّ الأحوال المدنية، وعلى ما يبدو يخصّ سيرةَ خدمةٍ لقائمقام مدينة عقرة؛ الذي شغل في آخر منصبٍ له قائمقام مدينة عقرة، ويدعى (قدري أفندي)، وقد ذكرت الوثيقة أنّه وُلد في مدينة كركوك سنة (١٢٧٥هـ)، ودرس في مدرسة الرشدية في راوندوز، وبعد أنْ بلغَ عمره (١٥) عاماً في سنة (١٢٩٠هـ) درس علوم الصرف والنحو والجغرافيا والتاريخ، وأنّه كان يعرف اللغة الفارسية، ثم ذهب في عام (١٢٩٢هـ) إلى سنجق الحديدة وأصبح مساعداً في إدارة السنجق في عام (١٢٩٥هـ) من شهر ذي الحجة، وكان راتبه الشهري (١٢٠٠) قرشٍ.[١]

(١) في عام (١٣٠٨هـ) أصبح قائمقام قضاء المنتفك وكالةً ولمدة ثلاث سنواتٍ، ثمّ أصبح قائمقام قضاء الشطرة، وفي عام (١٣١٠هـ) نُقل إلى مدينة عقرة وأصبح قائمقام المدينة.

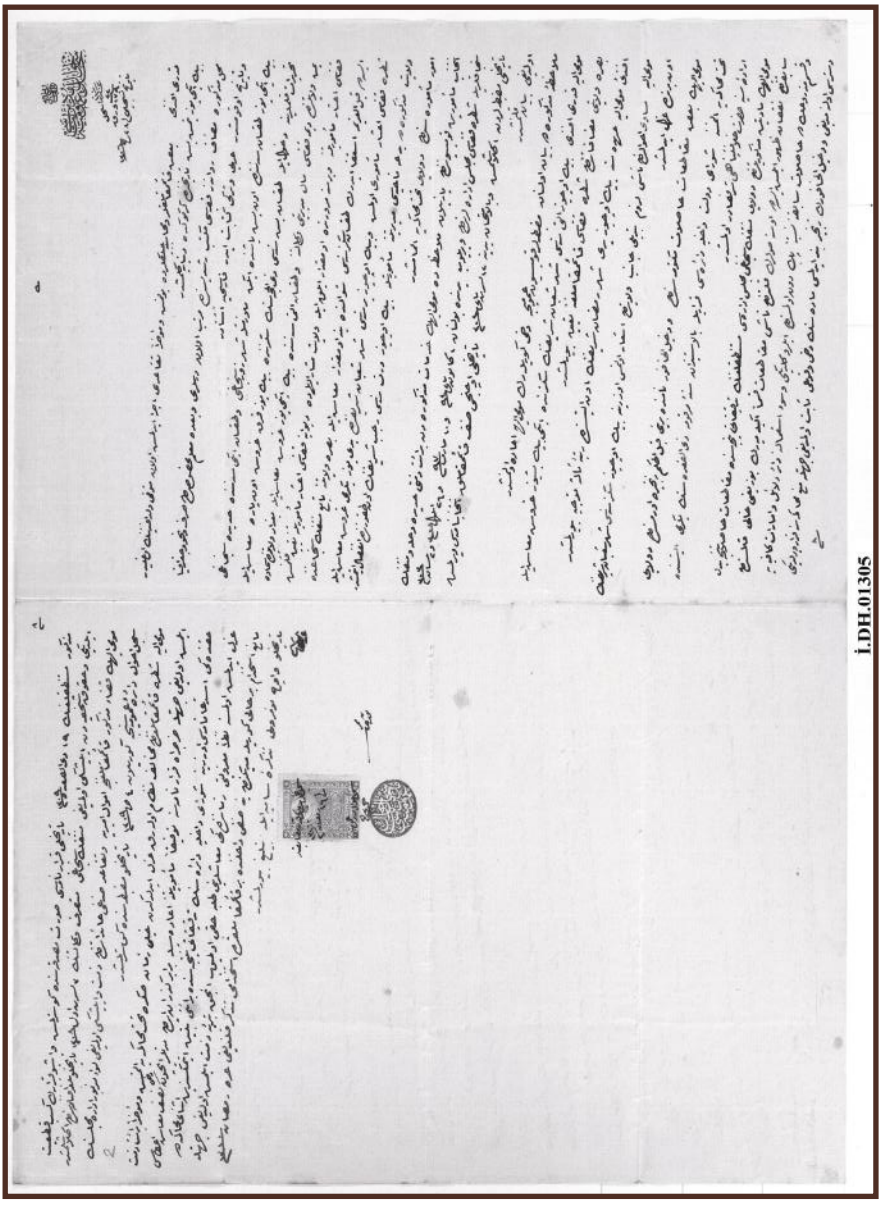

الوثيقة رقم: (I.DH.01305)

الوثيقة المرقمة (ISD. 00116):

تأريخ هذه الوثيقة في (١٦ من شهر شعبان لسنة ١٣٠٩هـ) الموافق (٩ مارس ١٣٠٨).

وموضوع الوثيقة عبارة عن التماسٍ قدّمه طائفة من الكلدان القاطنين في قضاء عقرة داخل ولاية الموصل يطلبون فيه إعادة إعمار كنيستهم التي أصبحت قديمة البناء وآيلةً إلى السقوط، وقد قُدّم الطلب من قبل وكيل بطريرك الكلدان لمنحهم إجازة بناء كنيسةٍ جديدة على عرصةٍ تحت تصرّفهم، وأنّ الطائفة المذكورة ستوفّر مصاريف البناء.

وحسب جواب نَظارة العدلية والمذاهب وقلم الديوان الهمايونيّ وبعد بموافقة حضرة السلطان، صدر الأمر والفرمان (أي الأمر السلطانيّ) لِمَن له الأمر (يقصد بذلك السلطان العثمانيّ). وقد ذُيّلت الوثيقة بإمضاءاتٍ، وأختام مجلس شورى الدولة البالغ عددهم (١٢).

الخاتمة:

تكمن أهمية الوثائق المعروضة في أنّها أماطت اللّثام عن مجموعةٍ من الحقائق الحضارية لمدينة عقرة في العهد العثمانيّ الأخير؛ إذ كان سكانُها من مختلف الطوائف كالكلدان المسيحيين يتعايشون بسلامٍ مع إخوانهم في المدينة من المسلمين وغيرهم من الطوائف، وهذا ما نجده إلى يومنا هذا، إذ كفل دستور إقليم كوردستان وقوانين حكومة الإقليم كافّة حقوق الطوائف الدينية والأقليّات العِرقية. كما بيّنت الوثائق أنّ النظام الإداريّ في المدينة كان يدقّق كلّ شيءٍ، بحيث لم يترك شاردةً أو واردةً لم يحصها أو يتطرّق إلى تدقيق جميع المعاملات لاسيّما الرسوم والضرائب وضبطها بشكلٍ دقيق، إضافةً إلى المتابعة والمراقبة الشديدة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ زيارة مبنى الأرشيف العثمانيّ في إسطنبول للبحث عن الوثائق التي تخصّ مدينة عقرة خلال العهد العثمانيّ تمّتْ بيُسرٍ وسهولة، وأنّ جميع الوثائق المرقمة توجد في ضمن مخازن الأرشيف العثمانيّ، وتحديداً في أرشيف رئاسة الوزراء التركيّة في إسطنبول/ المديرية العامة للوثائق، وقد وجد الباحث أنّ فيها أعداداً هائلةً من الوثائق، وقد تمّ اختيار هذه المجموعة منها لعرضها في هذا البحث.

ومن خلال قراءة الوثائق وتحليلها يتبيّن لنا الآتي:

١. أماطت الوثائق اللثام عن أسماء أعلامٍ وأعيان من مجلس شورى الدولة العثمانيّ.
٢. أفصحت الوثائق عن دقّة التنظيمات الإداريّـة في الدولة العثمانيّة وعائديّة مؤسساتها وارتباطها.
٣. سلّطت الوثائق الضوء على إحصائيّاتٍ وبيانات، ومعطيات الرسوم والضرائب التي كانت تُدفع من قبل السكان لتصل إلى خزينة الدولة.
٤. أوضحت الوثائق وقوف مجلس الشورى إلى جانب طائفة الكلدان في مدينة عقرة من إخوانهم المسيحيين؛ من خلال الموافقة على بناء كنيسةٍ لهم بعد تهالك الكنيسة القديمة.

٥. أوضحت إحدى الوثائق الأهمية البالغة لمدير الوحدة الإدارية (القائمقام)، وما يجب أنْ يتعلّمه من علمٍ ودراسة وتجربة قبل أن يتسلّم منصبه الإداريّ، ثمّ إنّه تنقّل بين أقضيةٍ متعدّدة في جنوب العراق وشماله إلى أنْ استقرّ به الحال في مدينة عقرة.

المصادر والمراجع

١. بعض المواقع الجغرافية لمنطقة عقرة ومحيطها في ضوء المصادر المسمارية بالعصور الآشورية: عامر الجميليّ: مؤتمر عقرة الدولي الأول – عقرة بين ألق الماضي وإشراق المستقبل- كلية العلوم والتربية الأساسية بعقرة – جامعة دهوك، ١٣-١٤ نيسان ٢٠١٤م.

٢. تاريخ الأديرة في منطقة العمادية وعقرة ودهوك: بروين بدري توفيق، أطروحة دكتوراه غير منشورة، مقدَّمة إلى معهد التاريخ العربي للدراسات العليا، بغداد، ٢٠١٣م.

٣. دليل ئاكري السياحي: فائق أبو زيد سليم ئاكره يى، وزارة البلديات والسياحة، حكومة إقليم كوردستان العراق، أربيل، ط١، ١٩٩٩م.

٤. روض العلم (معجم عربيّ- سريانيّ): بنيامين حدّاد، منشورات مركز جبرائيل دنبو الثقافي، بغداد، ٢٠٠٥م.

٥. عاشت وهلكت ثم صارت نفطاً: شفيق مهدي: السلسلة العلمية، بغداد، ١٩٨٦م.

٦. العراق قديماً وحديثاً: السيّد عبدالرزاق الحسنيّ، منشورات دار اليقظة العربية، بغداد، ط٧، ١٩٨٢م.

٧. عقرة في رحلة الباليسانيّ الكرديّ: د. عماد عبد السلام رؤوف، مؤتمر عقرة الدولي الأول – عقرة بين ألق الماضي وإشراق المستقبل- كلية العلوم والتربية الأساسية بعقرة – جامعة دهوك، ١٣-١٤ نيسان، ٢٠١٤م.

٨. قاموس كلدانيّ- عربيّ: أوجين منّا، منشورات مركز بابل، بيروت، ١٩٧٥م.

٩. مدن قديمة ومواقع أثرية- دراسة في الجغرافية التاريخية للطرق الشمالي: حنون نائل: دار الزمان، دمشق، ٢٠٠٩م.

١٠. معجم البلدان: ياقوت الحمويّ، شهاب الدين أبوعبد الله ياقوت بن عبد الله الحمويّ (ت٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.

11. http: //archeo.amu.edu.pl/ugzar/indexen.htm.